

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ
عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

عليه السلام
النبي إبراهيم
في القرآن الكريم
دراسة وتحليل

فاضل محسن الشرقي



مركز الشهيد الصامد للدراسات والبحوث
Martyr Al Samad Center for Studies and Research

مخطوطة
مجمع حقون

الطبعة الأولى

٢٠١٩م / ١٤٤١هـ

صف: أحمد عبد الحميد الحاكم

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل



اليمن - صنعاء

Mobial : 774373456 – 737247737

e-mail : markazalshahidalsamad@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

تنبيه مهم

النصوص التي من محاضرات ودرّوس السيّد حسين بدر الدين الحوئي أُلقيت خلال الفترة من العام ٢٠٠٢م إلى العام ٢٠٠٤م وقد تركناها كما هي دون إجراء أيّ تعديلات فنيّة أو لغويّة؛ للعلم بأنّه قد ورد تنويه بهذا الخصوص في كلّ الدروس والمحاضرات؛ وإليكم نصه:

(هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت وقد أُلقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحليّة العاميّة، وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النّحو. والله الموفق).

الإهداء

إلى كل الأحرار والأبطال رجالاً ونساء..

أحرار البشرية

وأبطال الحق والحقيقة.

إلى كل الإبراهيميين المحمديين

محطمي الأصنام الوثنية والبشرية

أتباع الملة الحنيفية

والديانة السماوية

في كل زمان ومكان

نهدي هذا الجهد المتواضع.

الكاتب

مقدمة مركز الشهيد الصماد للدراسات والبحوث

يسر مركز الشهيد الصماد للدراسات والبحوث في مطلع العام الهجري الجديد أن يقدم للقراء الكرام أولى إصداراته البحثية والموضوعية حول النبي إبراهيم الخليل (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يمثل محطة مضيئة، وشخصية استثنائية، ومدرسة واسعة حافلة بأرقى وأجود أنواع الدروس والآيات والعبر والمواقف لكل البشرية، ويعتبر ركيزة ودعامة أساسية في مسيرة الدين والرسالات منذ آلاف السنين.

إن مركز الشهيد الصماد للدراسات والبحوث سيعمل جاهدا على إثراء الواقع الفكري والثقافي والسياسي والإجتماعي والإقتصادي والإعلامي للأمة بكل ما يسهم في تنقيح الرؤى والأفكار واستخلاصها من كل الشوائب، ويسهم في رفع مستوى الأمة في كل الاتجاهات والمسارات والميادين والأصعدة، ويدفع باتجاه تحقيق المشاركة الفاعلة في حماية كيان الأمة ووحدةها وهويتها، ونسيجها الإجتماعي والحضاري، وقيمها ومبادئها الحقة، ومكانتها الثقافية والسياسية والإقتصادية، ونموها وازدهارها، بما يمثل علامة فارقة وحالة استثنائية في مستقبل وميدان العمل الثقافي والسياسي، والإتجاهات والتوجهات الحضارية الشاملة من خلال حزمة من الخطط والبرامج والدراسات والبحوث الشاملة والمركزة التي تنفع الناس وتغير واقعهم ومستقبلهم، وتحقق النفع لهم، وتزيع

ترسبات زبد السياسات والثقافات المزيفة والمضللة ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

في هذا السياق تأتي هذه الدراسة الموضوعية التحليلية التي تعتبر حالة فريدة هي الأولى من نوعها فيما نعرفه على مستوى الساحة اليمنية، وربما العربية والإسلامية، وتعتبر توثيقاً تاريخياً من جهة ومواكبة معاصرة من جهة أخرى يمكن أن يستفيد منها البشر جميعاً من حيث توقيتها وموضوعها فشخصية النبي إبراهيم القيادية والعالمية قد تمثل منعطفاً مهماً في تغيير مسارات التفكير والعمل والحركة والقناعة والتوجه تقضي للإيمان بالله ورسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) كنتيجة حتمية للإيمان بالله والإعتقادات الدينية وتوجيهها التوجه الصحيح - في بيئة الثقافات والتوجهات العالمية - تستقر بالبشرية في ملة النبي إبراهيم الحنيفية والديانة الإسلامية الواحدة التي يجسدها ويمثلها خاتم الأنبياء والمرسلين.

إن دراسة رسالات وحياة الأنبياء وتحليلها تمثل المرفأً السليم للبشرية، والنواة الحقيقية للتغيير والإصلاح والإستقامة والصلاح، وتخليص البشرية وانقاذها من مستنقع التيه والضلال والتوجهات والمعتقدات الباطلة، والأفكار الظلامية المنحرفة التي انحرفت بالبشرية وجرفتها، ودمرة الحياة وشوهتها، وتحريرها من قبضة المتسلطين والطفغاة في كل زمان ومكان، وتخليصها من التجديف الفكري والثقافي والسياسي الذي عبث بها ولا زال منذ قرون..

ونحن في مركز الشهيد الصماد للدراسات والبحوث لن نألوا جهداً في خدمة الأمة كل الأمة، والحق والحقيقة، وسنسهم بعون الله في تقديم كل ما ينفع الأمة وينتزعها من بين مخالب الأعداء وبرائين الجهل والظلمات، والإستفادة من كل الخبرات والتجارب والإستشارات المفيدة والفاعلة بحثاً ودراسة وتحليلاً، والله الموفق والمعين، والهادي إلى سواء السبيل.

رئيس المركز

١ محرم ١٤٤١هـ

٣١ / أغسطس / ٢٠١٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

في الحقيقة أنّ هذا البحث هو عبارة عن سلسلة من خطب الجمعة - عدد (٦) خطب - أُلقيت في الجامع الكبير بمدينة ذمار حرسها الله، خلال الفترة من تاريخ/ الجمعة ٢/ ذي القعدة /١٤٤٠هـ الموافق ٧/٥ / ٢٠١٩م إلى الجمعة ٨/ ذي الحجة / ١٤٤٠هـ الموافق ٩ / ٨ / ٢٠١٩م، وذلك تزامناً مع الذكرى السنوية للصرخة في وجه المستكبرين، نظراً لما لموضوع الصرخة والبراءة من علاقة بشخصية النبي إبراهيم الخليل، ومواقفه في وجه المستكبرين، وبراءته من المشركين حيث جعله الله سبحانه وتعالى القدوة الحسنة في خطّ الرسالة، ومسيرة الحياة، والحركة الدينية كما سيمرّ بنا، ونظراً للتفاعل الجماهيري والشعبي الذي حصل مع هذا الموضوع، وما تركه من أثر وصدى، وطلب الكثير من الإخوان تزويدهم بهذه الخطب الموثقة، ولأهمية الموضوع بالدرجة الأولى فقد شجّع كل ذلك على إعادة صياغتها، وإخراجها في هذا البحث المتواضع، مع مراعاة الفرق بين الأسلوب الخطابي والكتابي، إذ الأسلوب الكتابي أكثر صعوبة من الإلقاء الخطابي، وقد قمت بصياغتها وتهذيبها بما يتناسب مع أسلوب وطريقة البحث والكتابة، مع مراعاة عدم التوسع الذي لا فائدة منه.

عملي في هذا البحث

قمت بتجميع الآيات الموضوعية التي تتحدث عن شخصية النبي إبراهيم وتبرز مواقفه، وتتعرض لها بتفاصيل موجزة بليغة ومؤثرة، كما هي عادة القرآن الكريم ومنهجيته في العرض والإيجاز البلاغي الواسع المعاني والتفاصيل، الذي يحمل دلالات ومعانٍ واسعة، وهذا معروف في الأسلوب البلاغي حيث يكون المعنى والمضمون والمفهوم أوسع وأبعد من المنطوق والألفاظ، ثمّ قمت بتقسيمها إلى مواضيع معنونه كما هي في البحث، وبحسب نفس التقسيم والتسلسل الموضوعي الذي قُدّمت به في خطب الجمعة، مع مراعاة ترتيبها حسب التسلسل الزمني التاريخي في مسيرة حياة وحركة النبي إبراهيم الدعوية والعملية الذي يفهم من خلال القرآن الكريم، لأنّ الأسلوب القرآني في العرض للأحداث التاريخية، والسير النبوية لا يركز على طريقة التسلسل الزمني المرتب للوقائع والأحداث عند عرضه لقصص الأنبياء والأمم الماضية غالباً، لأنّ الموضوع ليس موضوع العرض والسرد الزمني التاريخي، بل الدروس والعبر والموعظة والآية في إطار عرض المواقف العامة لترسيخ قضية ما، أو التأكيد عليها، والتشجيع والتحفيز من جهة، والتحذير والإنذار من جهة أخرى، كلّ ذلك في إطار منهجية الإتياع، والإقتداء، والآيات، والعبر، والعظّات، وهذا أسلوب متميّز، وفريد، وشيّق في عرض القضايا والمواضيع، ودمجها ببعضها البعض، وإسقاطاتها الفنيّة، ومن ثمّ قمت بكتابتها بإيجاز وإختصار يتناسب مع الموضوع والعرض القرآني، ولا يخلّ

به، كقواعد وخطوط طويلة وعريضة في خطِّ الرِّسالة تحمل تفاصيل كثيرة، ومعانٍ كبيرة، وأفاق واسعة وعميقة في مسيرة الدَّعوة والحركة، مع ترك البعد والعمق الفكري، والثقافي، والسياسي، وغيره ممَّا يميِّز ويختصُّ به القرآن الكريم لمزيد من التأمل والدراسة والبحث، فهو بحرٌ لا يدرك قعره كما قال الإمام علي (عليه السلام)، وكتاب واسع لا تنفذ كلماته كما قال الله سبحانه وتعالى.

طريقة البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج والأسلوب القرآني، حيث لم نرجع إلى شيء من كتب التفسير والكتب التاريخية -العقلية والنقلية- والموروثات الفكرية الثقافية والتاريخية، ولا ما يسمى (التفسير بالمأثور) إلا ما كان خاصاً بأعلام أهل البيت (عليهم السلام)، وكذلك (التيشير في التفسير) للسيد المجاهد العلامة/ بدر الدين الحوثي، (وفي ظلال القرآن) للسيد قطب، (ومن وحي القرآن) للسيد/ محمد حسين فضل الله (رحمهم الله) بغرض الإطلاع والتأمل في القليل النادر، حيث تتميز بأسلوب ومنهجية القرآن الكريم في الكثير من مواضعها، وتجنبنا كلَّ كتب التفسير، والتاريخ، والموروث الفكري والثقافي تقادياً للوقوع في الثقافات المغلوطة، والروايات الغير صحيحة والخرافية في أكثرها التي لا تنسجم مع منهجية وهدى القرآن الكريم، وبالتالي نكون قد اعتمدنا فقط على ما يلي:

- ١- القرآن الكريم وطرقه، ووسائله، وأساليبه.
- ٢- الدروس والمحاضرات للشَّهيد القائد السَّيد/ حسين بدر الدين الحوئي (رضوان الله عليه) التي تمثِّل المنهجية القرآنية، ولن يجد لها الباحث نظيراً.

هدف ومنهج البحث

الهدف الأساسي لهذا البحث إبراز شخصيَّة النبي إبراهيم كقائد وقدوة في مسيرة الأنبياء وحركة الرِّسالة، وممثل لقيم ومبادئ الإيمان، والعدالة، والإتباع، والتسليم لله في الواقع، ورمز كبير في مواجهة الطواغيت والظالمين، ولتطبيق وسائله وأساليبه الموضوعية التي تدرج وتتناسب مع مختلف الظروف والوضعيات، وتتلائم مع ظروفنا وأوضاعنا الثقافيَّة، والفكريَّة، والسياسيَّة، والإجتماعيَّة المعاصرة، وتتشابه معها في كثير من الجزئيات والتفاصيل في الخطوط العامة لحركة الرسالة والدعوة، وإن اختلفت العناوين والمسميات خاصة في هذه الوضعية التي تتعرَّض فيها الأمة لهجمة شرسة، وعدوان شامل لتحقيق الإستفادة منه في كلِّ ما ذكر.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي (تحليل المحتوى) والذي يعرفُ بأنَّه طريقة منظِّمة يتم من خلالها قراءة وتصنيف وتحليل شكل ومحتوى المواد المكتوبة والمسموعة، وهذا المنهج هو الملائم لموضوع البحث.

إنَّ موضوع قراءة ودراسة سير وتاريخ الأنبياء من خلال القرآن

الكريم يحقق تثبيت الفؤاد والإطمئنان في وحدة مسيرة العمل والحركة، فتجد نفسك تلتقي مع كل أنبياء الله ورسله في طريقة ومنهج واحد يدل على وحدة التشريع والدين، وتعايش واقعهم كأنك تعيش معهم وأحد أفرادهم وأتباعهم، مع ملاحظة بعض الخصوصيات كحالة نادرة تكمن في بعض التفاصيل والجزئيات، ولكن في أجواء وحركة واحدة في الإطار العام، تستلهم منهم كل ما له قيمة عملية في الطريق إلى الله مع عظماء الحياة، ومنتهى الكمال البشري في الملة الواحدة، وهي قيمة نبيلة وكريمة تحقق العظة والعبرة في الإتجاهين لكل البشر لا يمكن أن تحصل إلا من خلال ما عرضه القرآن الكريم في سوره وآياته عن أنبيائه ورسله في إسقاط موضوعي واقعي مرتب وحكيم، كما يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُبِّئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١].

وهنا تكمن أهمية دراسة سير وقصص الأنبياء والرسل من خلال القرآن الكريم كمصدر رئيسي لدراسة حياتهم، وأهم مصدر لمعرفةهم، وفي المقدمة سيرة وحياة رسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وقد

اخترنا في بحثنا هذا موضوع النبي إبراهيم نظراً لما سبق وأن بيّناه. لقد احتلت شخصية النبي إبراهيم مرتبة متقدمة ومساحة واسعة في القرآن الكريم، حيث ذُكر أكثر من ستين مرة، وركّز عليه القرآن الكريم في كثير من مواضعه، وأبرز شخصيته ومواقفه نظراً للوضعية الصعبة والظروف الضاغطة التي كان يعيش فيها، في ظل قيام دولة طاغوتيه، ومجتمع معادي ومشرك، لعب فيه النبي إبراهيم دوراً كبيراً، وقدم موقفاً عظيماً في مسيرة وحركة الأنبياء حتى اتخذه الله خليلاً، وقال إنني جاعلك للناس إماماً، ومن خلال هذا كان هو موضوع بحثنا، ولعدة أسباب واعتبارات سنوضحها في الموضوع التمهيدي لهذه الدراسة الذي يلي هذه المقدمة، على أمل أن يكون لنا محطات ووقفات تأمل ودراسة وبحث مع بقية أنبياء الله ورسله إن شاء الله.

والله ولي الهداية والتوفيق،،،

فاضل محسن الشرقي

٩/ ذي الحجة/١٤٤٠هـ

٢٠١٩/ ٨ /١٠م

أهمية دراسة شخصية النبي إبراهيم (ع)

تمهيد:

احتلت شخصية النبي إبراهيم مكانة متقدمة ومساحة واسعة في القرآن الكريم من خلال عظمة مواقفه، وكمال إيمانه، وتسليمه المطلق لله رب العالمين، ومقارعة الظالمين والمستكبرين، وارتبطت به قضايا كبيرة جداً مركزية ورئيسية وأساسية ثابتة في مسيرة الحياة وحركة الرسل، إلى الدرجة التي اتخذها الله فيها خليلاً، وجعله إماماً للناس وعلماً بارزاً في مسيرة الأنبياء، وأمر باتباع ملته والتأسي والإقتداء به، وترك عليه الثناء الحسن في الآخرين، وأمر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بتلاوة نبأه، وذكر خبره وقصته على الناس.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"نبي الله إبراهيم أيضاً، أثنى الله عليه في القرآن الكريم ثناء عظيماً ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: من الآية ١٢٥] مكانة عجيبة، وقرب عجيب من الله سبحانه وتعالى أن يقول هكذا: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ رفع لإبراهيم ذكره أيضاً، جعله أباً للأنبياء جميعاً، الأنبياء كلهم من بعد من بني إسرائيل كلهم من أولاده من ذريته، حظي بتكريم إلهي عظيم، ورفع الله له ذكره" ^(١).

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة "معنى الصلاة على محمد وآل محمد".

يعتبر النبي إبراهيم من الأنبياء القدامى في سلسلة أنبياء الله ورسله، وعادة ما يذكر بعد نبي الله نوح (عليه السلام)، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ويذكر الله نبيه نوح ثم يقول: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤].

وقبل أن ندخل في صلب موضوعنا وبحثنا نتعرض لبعض المحطات المهمة في حياة النبي إبراهيم، ونعرض بعض الإشارات التي تدل على أهمية وضرورة معرفته، ومعرفة بعض التفاصيل من حياته وسيرته من خلال القرآن الكريم كخطوة تمهيدية لموضوع الدراسة قبل الدخول فيها، نعرضها باختصار في النقاط التالية:

١- أوجز القرآن الكريم ملامح شخصية النبي إبراهيم في ثلاث كلمات هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

٢- شكّل بمفرده أمة كاملة في ميادين وساحات الدعوة، والعمل، والحركة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

٣- بلغ قمة الوعي، والرشد، والنضوج الفكري، والثقافي، والإيماني، والرجحان العقلي والنفسي والعملية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ

آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدَهُ مِنْ قَبْلِ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿[الأنبياء: ٥١].

٤- جعله الله سبحانه وتعالى إماماً للناس جميعاً في كل المراحل والعصور وإلى أن تقوم الساعة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

٥- ارتبط به بناء الكعبة كأول بيتٍ وُضع للناس ارتبط به البشر في مسيرة حياتهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].
ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

٦- ارتبط به حج البيت الحرام كمؤسس له، ومؤذن به في الناس، وصاحب أول دعوة إليه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

٧- أثنى الله سبحانه وتعالى عليه، واصطفاه في الدنيا والآخرة، وجعل له الذكر الحسن في العالمين حيث ذكر في كل الرسالات، وقرن ذكره مع كل الأنبياء والمرسلين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨-١١١].

٨- ذكر الله سبحانه وتعالى صحفه التي أنزلها عليه، وذكر بها وبما جاء فيها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَرَوْا زُرَّةً وَأَزْرَةً وَزُرَّ أُخْرَىٰ * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٣٩].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنَبِيِّ الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

٩- جعل الله ملته ودينه الذي هو دين الإسلام العنوان والإطار العام لكل الناس، ولكل الرسائل، وأمر باتباعها، واتخذها الله خليلاً، أي: المحبة التي تعني خالص المودة والملاصقة والقرب من الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

١٠- أمر الله رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) باتباع ملة إبراهيم، ملة الإسلام الحنيفية التي كان الممثل والمجسد الحقيقي لها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

١١- أمر الله رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) بذكر النبي إبراهيم وتذكره، وتلاوة سيرته على الناس، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩، ٧٠].

١٢- جعله الله سبحانه وتعالى القدوة والأسوة الحسنة في مسيرة الدعوة والعمل والحركة، والبراءة من المشركين، وأمر بالإقتداء والتأسي به، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَعْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة: ٤-٦].

(١)

أسلوب الحوار والمحاورة

تعتبر أساليب ووسائل وطرق الأنبياء من أهم ما يمكن الإعتماد عليه في الدعوة والعمل والحركة، وفي أهم موضوع منها، وهو موضوع الحوار والمناقشة، ومع قوة طرحهم وشجاعتهم يتميزون وتتميز أساليبهم بالحكمة، والرأفة، والرحمة، والرفق، والنصيحة، والحرص على البشر، وعلى هدايتهم بعيداً عن أساليب ووسائل الإستفزاز، والمكابرة، والعناد، والخصام، مع ربط كل المواضيع باللّه سبحانه وتعالى، وفي مقدمة هذه الكوكبة من الأنبياء والرسل تبرز مواقف النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) وفي هذه الآيات المباركات التي سنستعرضها من "سورة البقرة" عن النبي إبراهيم نؤكد أولاً أنّ لها إرتباط بما قبلها وبما بعدها أيضاً، وهكذا كلّ الآيات والسور في القرآن الكريم مرتبطة ببعضها البعض بما يشكل التكامل في الهداية ومضامينها، فالقرآن الكريم هو كتاب هداية مرتبط ببعضه البعض، وهذه الآيات المباركات آيتان منها ترتبط بموضوع النبي إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله)، وآية عن عبد صالح من عباد الله، وولي من أوليائه يقال أنّه "عزيز" واللّه أعلم، ونحن هنا نستعرضها كاملاً، لأنها مرتبطة ببعضها البعض في موضوعها، وأهدافها، ودلالاتها، وهي تتحدث عن ولاية الله لعباده المؤمنين، ووقوفه الدائم معهم وإلى جانبهم في كل القضايا والأحداث التي تحصل في مسيرة العمل والحركة، وكيف يخرج الله أوليائه من الظلمات إلى النور، في مقابل صورة أخرى، هي صورة الذين كفروا وأوليائهم من الطواغيت الذين يخرجونهم من النور إلى الظلمات، وينتهون بهم إلى النار خالدين فيها أبداً، وتعلم منها

أيضاً أسلوب ومنهجية القرآن الكريم في الحوار والمحااجة، التي تعترض العاملين والمتحركين في سبيل الله في مسيرتهم وحركتهم العملية في الحياة، وهي تعرض ثلاثة مواقف مهمّة وكبيرة تدلّ على ولاية الله ورعايته لعباده المؤمنين على النحو التالي:

(أ) الموقف الأول: موقف النبي إبراهيم أمام الملك الذي حاجّه في ربه أن آتاه الله الملك، في موقف خرافي وسفسطائي يدعي فيه ربوبيته وقدرته على الإحياء والإماتة، وهذا موقف كبير جداً وقفه النبي إبراهيم أمام هذا الملك المغرور والمتجبر، وأمام قضية كبيرة من هذا النوع يغرّر ويظلل بها على البسطاء من الناس، ويعتبر موقف الحوار والمحااجة المباشر وجهاً لوجه مع ملك متجبر يدعي الربوبية موقفاً صعباً يحتاج إلى تدخل ورعاية من الله سبحانه وتعالى، وبرعاية وتأييد من الله لنبيه إبراهيم، وكما هو الحال في كل مواقفه التي عرضها القرآن الكريم، وطرحه وحججه القوية التي آتاه الله إياها، استطاع في لمح البصر أن يبيّته ويفحم هذا الملك المتعجرف والمتكبر، وربما أن هذا الموقف كان على ملاءٍ ومشهدٍ من الناس، ليكون أبلغ في الحجة والإفحام والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، لأنّ الله لا يهدي القوم الظالمين، وأسقط النبي إبراهيم هذه الدعوى الخرافية، وعرّى وفضح هذا الملك الطاغية المغرور بالفتاة بسيطة ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ على مرأى ومسمع من الناس، ومن هذا الموقف نتعلم من النبي إبراهيم ومن هدي القرآن الكريم ومنهجيته، أسلوب الحوار

والمحاكمة التي تعترضنا دائماً في مسيرة العمل والحركة، فعندما يدخل الإنسان في حوار ونقاش ما أمام أي قضية أو أطروحة تمثل الإدعاء والخرافة، أو تثير الشك والشبهة، فإنّ عليه أولاً: تقييم الوضعية، والقضايا، والأطروحات، وخلفياتها، ومنطلقاتها، وفهم أسبابها، ومنشأها، وظروفها السياسيّة، والإجتماعيّة، والثقافيّة، والفكريّة، وغير ذلك، فبعضها قضايا وأطروحات خرافية، منشأها الكفر والجحود والنكران، والبعض لإثارة الشك والريب والشبه، والبعض الآخر الجهل وانعدام الوعي والمعرفة، والتأثر بالعادات والتقاليد والموروثات الغير صحيحة، وبعضها لأغراض وأهداف سياسية بغرض التتويه والإستهلاك، ومن خلال ذلك يكون الأسلوب الأمثل للحوار والمحاكمة أمام تعدد وتنوع القضايا، والأطروحات، والدعايات على النحو التالي:

- ١- قضايا وأطروحات تعرض عنها تماماً، وتنتقل لمواضيع وقضايا أخرى، تستطيع من خلالها وبصورة سريعة تقديم الحجة المقنعة، وإفحام وتعرية الطرف الآخر دون الخوض في التفاصيل والخرافات الجزئية كما في أسلوب النبي إبراهيم مع هذا الملك الظالم.
- ٢- قضايا وأطروحات ترد عليها بأسلوب غير مباشر.
- ٣- قضايا وأطروحات تدخل فيها وتتعاطى معها مباشرة.

وهذا كله يتم وفق منهجية القرآن الكريم في الحوار والمناقشة، لأن القضية ليست قضية مقارعة الحجة بالحجة كما يقولون، فتبقى المسألة مجرد سؤال وجواب، وحوار ومناقشة ومقارعه على طول، بل تكون الأمور

تسير وفق المنهجية القرآنية في الحوارات، والمناقشات، والمناظرات، وتوفيق ورعاية من الله لعباده المؤمنين الذين يتولونه فيخرجهم من الظلمات إلى النور في كلِّ المواقف، ويلهمهم التسديد والصواب، ويؤتيهم الحكمة وفصل الخطاب، وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣] وهذه لها شواهد كثيرة في ميدان العمل والحركة يُثَبِّتُ الله فيها عباده الذين آمنوا بالقول الثابت، فقد روي أنَّ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) حين دَخَلَ صنعاء دخل في حوار ومناظرة مع (القَدْرِيَّةَ والجَبْرِيَّةَ)^(١) وجمع وحُشد لها الناس، وانتخب القَدْرِيَّةَ والجَبْرِيَّةَ أكثرهم علماً ومحااجة ليمثلهم في هذه المناظرة، فاجتمع علماؤهم وعندما دخل الإمام الهادي إلى ساحة وميدان الحوار والمحااجة باشره ممثلهم لبيته بقوله: مِمَّن المعاصي؟ فأجاب الإمام الهادي مباشرة بقوله: ومن العاصي؟ فبهت ممثلهم بتسعة أحرف، ولم يُحر جواباً، فقال له قومه: أجب عليه فقال: لا أستطيع لقد غلبني وأسكتني بأوجز من كلامي، فإن قلت: الله كفرت، وإن قلت: العبد خرجت من مذهبي، ودخلت في مذهبه^(٢).

(ب) **الموقف الثاني:** موقف الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها،

(١) هم الذين ينسبون أفعال العباد إلى الله.

(٢) انظر: سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد لمحمد بن الحسن بن القاسم، أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين للإمام الحسن بن بدر الدين، المتوفى سنة ٦٧٠هـ، متأثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، محمد بن علي بن يونس الزحيف المعروف بابن قند، المجلد ٢، ط مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ٢٠٠٢م.

أي: ساقطة سقوفها ومتهدّمة أركانها وجوانبها، خالية من البشر، فخطرت له في نفسه خاطرة ظلامية فيها شيء من الشك في الموضوع، فحدث له هذا التساؤل قال: أنى يحيي الله هذه بعد موتها؟ وهو مسافر لوحده لا يصطحب إلا حماره وطعامه، فضرب الله له مثلاً من نفسه، وحماره، وطعامه، وجعله آية للناس، فلما تبيّن له ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وهنا تجلت رعاية الله وولايته لأوليائه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولو بالأفعال الخارقة للعادة أمام أي قضايا، أو اطروحات، أو خواطر تحصل.

ج) الموقف الثالث: يتعلق بالنبي إبراهيم، عندما قال: ربّ أرني كيف تحيي الموتى؟ وهو مؤمن بالقضية، وموقن بها، لا يختلجه أي شك فيها، وإنما يتساءل عن الكيفية ليزداد يقيناً واطمئناناً، قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي، فالإنسان في مسيرته وحركته العملية - خاصة الأنبياء - يحتاج أحياناً أن يصل إلى أرقى درجات اليقين والإطمئنان، وهذا شيء طبيعي يحصل في مسيرة العمل والحركة، وخاصة في خضم الأحداث وقضايا الصراع الكبيرة، فاستجاب الله له، وأراه آية بيّنة، وفعلاً خارقة للعادة أمام عينيه وبيديه.

١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا

مِنَ الْمُغْرِبِ قُبْهَتِ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ
 وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
 قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِثَّةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ
 وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
 ثُمَّ نَكْسُوهَا حَمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ
 أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
 الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ
 أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٢٥٧-٢٦٠﴾.

وحول هذه الآيات المباركات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدر الدين الحوثي

(رضوان الله تعالى عليه):

"﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨] لاحظ كيف تكون
 ولاية الله في المجال العملي أعني: وهذا شيء طبيعي عند الناس إذا لم
 تكن أنت مؤمناً بهذا الشكل الذي تشعر بأن الله وليك أنت بحاجة إلى أن
 تتولاه، ما صح إيمانك، عندما يشعر الإنسان بأنه ليس في حالة وكأنه
 يحتاج إلى الله يمثل بالنسبة له ناصراً ومؤيداً ومعيناً ما صح إيمانه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي
 يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨] أليس هذا طاغوتاً؟ يحاول
 يقدم نفسه وكأنه إله، كيف سيكون عمله مع الناس؟ أليس هو سيخرجهم
 مما يجب أن يكونوا عليه من عبادة الله وحده، إلى عبادته فيكون قد
 أخرجهم إلى الظلمات؟.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨].
ليست هذه إنارة لإبراهيم في الحجة مع هذا الطاغية؟.

إذاً هناك أمانا عدة أمثلة هامة جداً في مسألة ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. فتكون حكيماً في مواقفك، لأن الحكمة هي نور، حكيم في كل موقف، سواءً كان موقف محااجة مع آخرين، أو حتى في حالة ارتياب معين، أو تساؤل معين يحصل لديك وأنت متولي لله، يحصل من جهة الله ما يدفعك فيخرجك من هذا الظلام الذي داخل نفسك إلى نوره فتأتي في قصة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩].

من الحكمة في هذا، في موقف إبراهيم كيف كان بالشكل الذي أفحمه جعله كما قال: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨]، ألم يفحمه؟ قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨]، لأن الطغاة لا يمتلكون إلا ظلاماً، والظلام هل يمكن أن يتفوق على النور؟ هل يمكن أن يغطي النور؟ أو النور هو الذي يزيح الظلام؟ ليس لديه إلا ظلام هو في نفسه، وفي أطروحاته.

فإذا كان الإنسان متولياً لله يخرج من الظلمات إلى النور، قد تكون الظلمات في حالة كهذه عندما لا يكون ردك حكيماً، عندما لا يكون موقفك حكيماً، عندما لا يكون لديك جرأة فتعطى نوراً هنا، النور هنا موقف حكيم، رد حكيم، وقوة في طرح الرد.

لم يأت على الطريقة التي عند المتكلمين، ولهذا نحن نقول في القرآن الكريم: ينبهنا إلى موضوع القضايا التي تطرح أمامك فيها ما يمكن أن

ترد عليها هكذا مباشرة، وفيها ما تنتقل بالرد إلى أسلوب آخر، وفيها ما يكون إعراضاً تاماً، ليست القضية الأساسية بأنه على كل قضية قبالها على طول، على طول، يجب أن تقيّم القضايا أولاً، وتقيّم الأطروحات أولاً.

هذا الأسلوب في القرآن الكريم هام جداً. لاحظ في أسلوب المتكلمين عندما انطلقوا أمام كل أطروحة معينة، أطروحة معينة يقاومها هي، هي، وفي الأخير قدموا لنا منهجاً فيما يتعلق مع الزنادقة، الذين يسمون زنادقة، أو ملحدين، بعدما قدموا كيف واقع الإنسان بالنسبة لمعرفة الله، ثم على أساس أن هناك ملحدين، وزنادقة، أولّ خلل بأنهم ما فهموا أنّ المسألة في الإسلام ليست فقط مجرد دعوة.. مجرد دعوة. هو منهج حركي، منهج حركي. هناك فئات في المجتمع هي لا تقدم إلاّ الشيء الذي يتنافى مع فطرة الناس، ولن ينفق أمام الناس إلاّ إذا كانت الساحة خالية، هذه الفئة يمكن ماذا أن يكون عمك في الساحة بالشكل الذي يهملها تماماً، لا هي في حد ذاتها ممكن أن تقبل شيئاً لأنها قد خرجت هي عن الفطرة، لم تعد تقبل مثلاً أطروحات معينة لأنّ الملحد أو الزنديق الذي يسمونه يحاول يتنكر لمعرفته لله، يتنكر لله، هذا إنسان يقاوم فطرة لديه هو، يقاوم فطرة لديه هو، فهل بالإمكان يقبلك وهو لم يعد قابلاً لنفسه هو، لم يعد قابلاً لفطرته هو، فهل يمكن أن يقبلك؟ قد أصبح يقدّم الأشياء بطريقة فلسفية وشبه يلفقها.

النوعية هذه ممكن بأساليب في أن تبهتهم بها، واشتغل في الساحة تتجاوزهم، اجعلهم يضيعون هناك.

لا، قدمت المسألة يوجد واحد زنديق هناك يشغلوننا به، ويشغلون الأمة به، وينزلون شبهه وأطروحاته، وأخذ ورد ليس هناك أثر، يوجد أشياء أعني: هناك فئات من أعداء الدين ممن يقدمون أطروحات معينة، هم في خلال العمل يتلاشون، ويصبحون لا شيء فلا يبقى لهم ذكر، لا لهم ولا لأطروحاتهم بطريقة تلقائية لم يعد هناك ميدان لهم لأن الشيء الذي يتنافى مع الإيمان الذي هو موجود عند كل إنسان، إيمان بالله سبحانه وتعالى يكون مقاوماً للفطرة، يحتاج إلى أطروحات تشكيكية وعمل مستمر عندما مثلاً لا يتمكن أن يكون له ميدان يكون هناك عمل إسلامي في الساحة، عمل متكامل وليس مجرد فقط نقاش مع ذلك وتقدم ما قلت له، وقال.. وقال. ما قال هو، وما رديت عليه!.

سلك المعتزلة والمتكلمون بشكل عام الطريقة هذه، وتجدهم فعلاً [حنبوا]^(١) أمام شبه معينة كان منشؤها أسلوبهم الخاطئ في التعامل مع هؤلاء، وإذا في الأخير لا جعلوا الزنادقة يسلمون ولا سلم الناس منهم. هنا كان جواب إبراهيم عندما ادعى هذا الملك: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾. لم يأت يناقشه في مسألة أنه كيف تستطيع أن تحيي، وكيف، وكيف... إلى آخره، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨]، طلعهما من الغرب ﴿بُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، عرف أنه عاجز وأنه كذاب في دعوته الربوبية.

(١) أي عجزوا.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩] أليس فيها عملية استبعاد يعني كيف ستم المسألة هذه، ولاحظوا الناس عادة في بعض المراحل يكون هناك أخذ ورد ونقاش كثير، وتساؤلات وجدل حول نقطة معينة تكون أحياناً بالشكل الذي توجد لديك حالة من الريبة فيما لو....، لاحظ مثلاً تحصل داخل المسلمين الآن تجد علماء كباراً لكن قضايا معينة هي في الواقع ليس لها أساس من الصحة تجده يتهيب أن يخرج منها، ولها أثر في نفسه، تجد كتاباً كبيراً من [الاثنا عشرية] وعلماء كبار [آية الله كذا]، ومؤمن بمسألة أن المهدي موجود من [عام ٢٥٥ هجرية] إلى الآن، وإلى الله أعلم، إلى أي وقت، قضية مستبعدة جداً أن يكون هذا إمام وحجة يجلس غائب الفترة الطويلة هذه وهو حجة الله على عباده! لكن الأخذ والرد والثقافة التي نشأ وهي تردد في البيت، في المدرسة، في المسجد، في المناسبات، في التجمعات، في كذا، جعلته يتأثر بهذه.

هنا عندما تكون مسألة البعث مما حصل فيها من أخذ ورد وجد الكثير حصل عنده بادرة من هذه، خاطرة معينة يعني: كيف تتم عملية إعادة هذه؟ أليس هنا حصل ماذا نسميها؟ أعني: خاطرة ظلامية، لكن هذا الإنسان يبدو هو من المؤمنين، لكن الإنسان المؤمن يحتاج إلى هداية مستمرة، إلى رعاية مستمرة فيكون بينك وبين الله في علاقتك به أسس ثابتة تساعدك على أن يردك في اللحظات التي تبدو خطيرة بالنسبة لك.

هنا أعطاه مثلاً من نفسه: ﴿فَأَمَّا اللَّهُ فَمَأْتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩]،

ثم قال بعد: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩] ، ويبدو أنه في وضعية منفرد هو لوحده، لاحظ هنا فقط هو وحماره وأكله وشرايه، وصل منطقة، قرية وهي خاوية على عروشها، أعني: لا يوجد هناك سكان ولا شيء ﴿أَنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كيف يمكن هذا! مات هو مائة عام، وبعد المائة عام يبعثه الله ويقول: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩] خلال الفترة هذه لم يتغير لتعرف أن الأشياء لا تكون على أساس أنها حتميات داخلها، لاحظ مثلاً هذه القرية، سكانها فنوا، والذي قد يكون الفناء أحياناً بطريقة أنه جسم الإنسان قابل للنمو ثم الإنهيار، أليس هكذا؟ قليلاً قليلاً ليست هذه قضية بمعنى أنها شيء حتمي وثابت. الله جعل القضية على هذا النحو هو، ثم قد يكون عندك كيف يمكن أن تعود المسألة!! لاحظ طعامك وشرابك ما تأثر بينما الحمار تأثر، أليس الحمار تحول إلى تراب؟ أليس الحمار انتهى؟ بينما الطعام والشراب لم يتغير. أعني: القضية هي خاطره مثلاً في نفسيته موضوع الطعام والشراب ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لتعرف أن القضايا الله هو الذي سن السنن، وقرن القوانين، وموضوع الهرم هو شيء يطرأ من جهة الله جعل الأجسام على هذا النحو، وجعل الأشياء على هذا النحو، سواء الإنسان أو الأشجار، النباتات، أو هذا الحجم الكبير، هذا الجرم الكبير الأرض، وهذه الكواكب كلها، أليست كلها تتلاشى؟ تنتهي في الأخير.

﴿وَإِنظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩] قصته عندما

يسطرها الله سبحانه وتعالى، وهو هو عندما يخبر الناس.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩]. بمعنى: نقيمها، أو ﴿نُنشِزُهَا﴾ بمعنى: الإحياء. النشر كأن معناه: عملية الإحياء، والنشز كأن معناه: إقامتها ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أي: رأى الحمار أمامه يتركب تلقائياً، عظامه تتركب وتكسى لحماً، وينهق، جاهز، أليست عملية أمامه؟ لاحظ هذا مظهر من مظاهر رعاية الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٧].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما كان المسألة هنا فيها خاطرة شك؟ شك في المسألة لم يشك في إيمانه بالله أي نوع خاطرة سيئة، خاطرة ظلامية ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٩] أليس هو هنا خرج من ظلمات إلى نور؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠] هذه العملية دون بالنسبة لقصة الذي مرَّ على قرية، هو مؤمن بالقضية فقط يريد هو أن يرتقي إيمانه إلى حالة يقينية مشاهدة ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ كما قال، يعني: المسألة عنده تختلف عن مسألة الشخص الأول ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. هنا قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠] الإستقرار الإيماني، وهذه قضية مهمة، أعني: قضية أن الإنسان يكون حريصاً على زيادة وعيه وإيمانه، وحشر كلما يستطيع أن يجد من شواهد للقضية الإيمانية، ليصل إلى مستوى عالي

مسألة هامة جداً.

لاحظ كيف ارتقى نبي الله إبراهيم بروحيته هو، وروحيته، كيف كانت موافقه قوية، من روحيته، هو حريص على أن يرتقي إلى الدرجات العالية في الإيمان. هنا ليس لديه شك في المسألة كقضية إيمانية أنه يعلم بأن الله هو يحي الموتى، لكن يرغب هو أن يحصل أيضاً على شيء راقى جداً في موضوع الإيمان، ليطمئن قلبه؛ لأنه أحياناً في بعض الأشياء القضية الإيمانية المجردة هكذا، ما هناك معها شواهد معينة، تكون معرضة للتساؤلات، معرضة للكثير من الدققة للشك عليها، كثير من القضايا، قضايا تكون بعضها من هذا النوع.

﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ أنا مؤمن ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تَمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠].

هذه القضية تختلف عن قضية الأول، الأول جعل منه هو مثل في ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هناك حالة معينة يريد نوراً كثيراً يمسحها تماماً، لكن هنا: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وتجد فيها مثلاً على أنه - تقريباً - ولو نسميه ظلاماً خفيفاً، خفيفاً جداً أن الله يزيحه.

هناك ظلام يكون ظلاماً دامساً أحياناً، وظلاماً خفيفاً مثل ظلام وقت المغرب أليس هو ظلام خفيف؟ ليكون قلبه كله مشرق، قلبه كله نور، لم يعد فيه أي شيء ولهذا قال: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

ليست مسألة يقول واحد قد عنده شك أو شكوك، أو أن عنده كفر، أو

أشياء من هذه. لا، إن القضية الأساسية أن تعرف أن كل مخلوق، ملائكة، أنبياء، إنس، جن، كلهم بحاجة إلى هدى الله، وأن الله هو الذي يهدي، أنه هو الذي يهدي، وليست المسألة وكأن الإنسان [تماتيك] يخرج، يكون هناك أشياء ثابتة لديه هنا يقول: ﴿بَلَى﴾ أولم تؤمن بأنني أحيي الموتى ﴿قَالَ بَلَى﴾ أنا مؤمن، فقط لديه رغبة أن يزداد هدى، ويزداد نوراً، ولا يكون هناك أي مجال نهائياً لأيّ خواطر سيئة.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠]. لاحظ طريقة القرآن الكريم في ماذا؟ في تقديم الحادثة ما أجملها هنا عندما يقول: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أليس هذا واضحاً أن معناها: أنه سيدبحها، ويقطعها، ويخلطها، ويفرقها، إجمعها إليك ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾. لم يتناول الأشياء التي هي معروفة أي: منطقة الفراغ هنا معروفة ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنِكَ سَعِيًّا﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠]. هنا قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنِكَ سَعِيًّا﴾ ستعود إليك، وتعود هي، هي، نفس الطيور تلك التي أنت أمسكت بها، وجمعتها، وذبحتها، وقطعتها، وخلطتها، ووزعتها.

﴿وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠]. وموضوع البعث له علاقة بعزته بأنه قادر، لا يعجزه شيء، معنى أنه عزيز: أنه قادر لا يعجزه شيء، وقضية مرتبطة بالحكمة أن يكون هناك يوم آخر وبعث يعتبر يوم للجزاء على الأعمال بالشكل النهائي.

إذا هذا مثل في مسألة النور عندما يكون هناك متولين لله، أنه ينير لهم^(١).

تأمل النبي إبراهيم

خاض النبي إبراهيم (عليه السلام) معترك الحياة والصراع بكل قوة وشجاعة، وصدر في الحياة أعظم وأروع المواقف، في مسيرته وحركته العملية والدعوية، حسبما عرض الله في القرآن الكريم، حيث كانت روحيته ونفسيته وهمته عالية جداً، حتى جعله الله قدوة وأسوة للناس وإماماً، ووصل إلى أعلى درجات اليقين والإطمئنان، في أوضاع وظروف سياسية واجتماعية إستثنائية صعبة ومعقدة جداً استطاع تجاوزها والتغلب عليها، حتى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وهذه الآيات المباركات التي سنستعرضها لها علاقة بموضوعنا هذا (أسلوب ومنهجية الحوار والمحااجة).

إن تأمل النبي إبراهيم الذي عرضه الله في هذه الآيات هو أسلوب من أساليب وطرق ووسائل النبي إبراهيم في الإحتجاج على قومه، وليكون من الموقنين بمعنى: أنه لم يكن باحثاً عن الله عز وجل، فالآيات من بدايتها وفي أثنائها تقدمه مؤمناً كامل الإيمان، وإنما هو هنا ينتهج أسلوباً من أساليب الإحتجاج، التي تميز وعرف بها مع قومه، وينهج طريقة الإستدلال على قومه بإسلوب الإستدراج، ولفت الإنتباه على حقارة ودنائة هذا المعتقد الهابط المتمثل في عبادة الأصنام والأوثان، وليسخ قضية ومبدأ الكمال في العبادة والإله الذي ينبغي أن يُعبد، وهذا هو ما تقرره وتؤكد هذه الآيات المباركات، ولم

(١) درس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الحادي عشر، سورة البقرة.

يكن أسلوبه كأسلوب وطريقة المتكلمين والفلاسفة في الإستدلال، والبحث، والنظر في موضوع العقيدة، لأنّ هذا الأسلوب الأخير أسلوب عقيم وهابط يجمّد القضايا في مكانها دون الوصول إلى أيّ نتيجة، ويستهلك الوقت ويستغرق القضايا ويختزلها في الجزئيات والتفاصيل.

٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرْتَنِخْذُ أَنْصَانَا مَا إِلَهَةَ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بِرَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعام: ٧٤-٨٣].

وحول هذه الآيات المباركات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدرالدين الحوثي

(رضوان الله تعالى عليه):

"هنا يستعرض احتجاجاً لنبي الله إبراهيم على قومه، أسلوب من الأساليب مثلاً، هنا يذكّرهم مباشرة، ويقول لرسوله (صلوات الله عليه وعلى

آله) أن يقول لهم كذا وكذا.. إلى آخره. وهذا فيما سبق، ثم يعرض لهم في نفس الموضوع قصة حصلت، إبراهيم قال كذا كذا، إلى آخره، إبراهيم رجل يسمعون به، العرب يسمعون به، ويعرفونه، وهنا لاحظ هنا أليس هو سيأتي بقصة من قصص أنبياء الله؟ قصة تتعلق بنبي الله إبراهيم، لكن ماذا؟ في مجال عملي، فهو يقدمها هنا، تعطي عبرة، ويتذكر بها من يسمعا.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرُ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]، إذا إبراهيم موحد أليس معناه في الآية هذه أنه موحد؟ موحد، ويستنكر اتخاذ آلهة، ويستنكر حتى على أبيه خلي عنك باقي الناس ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] إن الله سبحانه وتعالى كما بيّن في أكثر من موضع هي سنته مع أنبيائه، يريهم ملكوت السماوات والأرض؛ ليكونوا من الموقنين، فيما يتعلق بمعرفته سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بالطريقة التي يسيرون عليها، لاحظ كيف بالنسبة لرسول الله **(صلوات الله عليه وعلى آله)**، هو قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: من الآية ١] ألم يقل هكذا؟ كذلك في مقام آخر يقول: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، الأنبياء يحتاجون إلى آيات كثيرة في مسيرتهم، آيات كثيرة ليس على أساس أن يؤمن بوجود الله، أو ليوحد الله، القضية معروفة لديه، لا، الميدان واسع جداً، بحيث يعرف أن هناك هذه الطرق يقيناً أنّها طرق ناجحة، يقيناً أنّها آيات تترك أثرها، ونوعية من الناس لا تترك أثرها

فيهم؛ لخلل من عندهم، وقد يكون الله طبع على قلوبهم، - كما تقدم -
أليس هكذا يذكر؟ يقدم آياته هي آيات توجد في نفس الإنسان يقيناً،
تصل إلى أعماق نفسه.

لاحظ الآن ما الذي نفقده نحن؟ ما الذي يفقده المسلمون؟ أليس
اليقين بآيات الله؟ لسنا من الموقنين، يعني بشكل عام، يقول لنا القرآن لا
يوجد يقين بأنّ القرآن يكفي، القرآن يكفي أمام مسلمين، أمام مختلف
طوائف المسلمين، أمام مشركين، أمام يهود، أمام نصارى، أمام فلاسفة،
أمام ملحدين، أمام زنادقة، أمام كل الفئات، هو يكفي، أليست هذه
القضية تحتاج أن تصل إلى درجة اليقين فيها حتى تنطلق؟ لهذا لا بد أن
يكون من الموقنين بالنسبة لله سبحانه وتعالى، وهناك عندما سأله: ﴿رَبِّ
أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠] يأتي بقصة
الطيور الأربعة، مؤمن بالله، مؤمن بالآخرة، نبي يعمل، لكن لاحظ أنبياء
الله هم أساساً بشر يحتاجون إلى هدى الله، يكونون نوعية قابلة، واثق
بالله، يقبل من الله سبحانه وتعالى، وينطلق، ويثق بشكل عالي جداً.

الآن تجد مثلاً يوجد علماء، ومرشدين، ومعلمين، ودعاة، أليست هذه
القضية حاصلة؟ وكتّاب، ومفكرين إسلاميين، وفلاسفة إسلاميين، لكن
يفقدون ماذا؟ أنهم ليسوا من الموقنين بهذه الآيات، هذه الإشكالية الكبيرة.
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، هل أنه
ما قد رأى إبراهيم التّجوم والشمس والقمر إلا تلك الليلة؟ ولهذا جاء بكلمة:
كذلك، يعني: ضمن السنّة الإلهية مع نبيه أنه هكذا، هكذا يريه ملكوت

السموات والأرض، وليكون من الموقنين، لما أصبح من الموقنين قدّم احتجاجاً قوياً جداً على قومه، قدم احتجاجاً قوياً، وفعلاً يلامس أهم قضية في موضوع تعلق الناس بالأصنام؛ ولهذا استطاع إبراهيم أن يجعلهم في الأخير يبهتون ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] غرب الكوكب، قال: إذا هذا ناقص، هذا قاصر، هذا مملوك، هذا مسير. إذا هناك أكمل منه، هناك الذي يسيره، وهناك أكمل منه، حتى يقرر في نفوس قومه مسألة: أن الألوهية مرتبطة بالكمال، وأن هذه الأصنام التي يعبدونها هي قاصرة، هي قاصرة، وناقصة، أكمل منها النجم هذا، لاحظوا النجم هذا نفسه أصبح أيضاً ناقصاً، أكمل من النجم القمر، والشمس كذلك، ثم الشمس في الأخير ماذا قال؟ ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٧] ماذا تعني هذه؟ أليست تعني: أنه مؤمن برب، مؤمن بالله، هو قال هنا: ﴿لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ كيف ممكن أنت تدور لربك وأنت تقول في نفس الوقت يهديني ربي ﴿لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُؤِنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ يعني: هذه نفسها قوله: ﴿قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ تدلّ على أنه مؤمن في نفس الوقت بالله، وأنه في نفس الوقت يقدم هذه القضية أمام قومه، أو مجموعات من قومه؛ ولهذا قال بعدها: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٨].

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُؤِنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٨] أكبر من القمر، أكبر

من الكوكب ﴿فَلَمَّا أَفَلَكْتَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٨] أليس هنا يتحدث مع قومه؟. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، إذا فهذا واحد من الاحتجاجات الهامة التي استخدمها نبي الله إبراهيم فيما يتعلق بإثبات وترسيخ - بطريقة عملية - أن الألوهية مرتبطة بالكمال المطلق، وأن هذه الآلهة هي ناقصة لا تعمل شيئاً، ليست جديرة بأن تعبد، ناقصة؛ لأنه عندما يكون الكوكب مسيراً، أليس معناه أن الذي سيره هو أكمل منه؟ فهو الجدير بأن يعبد، القمر ناقص، مسير، هو هذا مملوك ومسير هو، إذاً هناك أكمل منه هو الله، وهكذا بالنسبة للشمس.

وقضية الكمال هي مترسخة في فطرة الإنسان، الأولوية بالنسبة للكمال هي مترسخة في فطرة الناس، في حياتهم اليومية، خلي عنك أن تكون قضية نادرة، الإنسان يعطي أولوية للأكمل في أي شيء.

ليس المعنى أن إبراهيم لم يكن عارفاً لله، وأنه جلس يبحث، وفي الأخير التفت إلى السماء! هل يتصور أنه لا يعرف هو هذه الكواكب، افترض له في هذا العمر قد يكون له كم سنين، مثلاً خمسة وأربعين سنة، أو نحوها، على أقل تقدير، يعني على مدى الأربعين السنة الماضية لم يكن عارفاً للكواكب والشمس والقمر أنها تطلع وتغرب؟! لكن هنا يذكر أنه في مقام معين مع قومه، وأنها - قضية الاعتماد على هذا الأسلوب الإلهي في محااجة الآخرين على آيات الله في محااجة الآخرين، أنها - قضية تحتاج إلى إيقان.

وهذه القضية ملموسة عندنا أنه لم يحصل إيقان بالطريقة هذه، أليس هذا معروفاً؟ اقرأ كتب علم الكلام تجد منهجيتها هناك ثانية، يبدو من خلال منطوق البعض فيها وكأن هذه المنهجية في القرآن هنا ليست إلى درجة أن تزيج شبهة من نفس ملحد، أو على ما يقولون: كافر، ما بالك أن تخلق إيماناً في نفوسهم؛ لأنها لم تأت على طريقة أنه [إذاً فثبت أنها محدثة إذاً لها محدث]!! كان تكفي من خلال الكوكب، ما كانت تكفي من خلال الكوكب نفسه؟ لكن ألم يترقّ هنا في الموضوع؟.

القضية حول ماذا؟ حول الألوهية، الناقص لا يستحق أن يعبد، من الكوكب إلى القمر إلى الشمس، أليس هذا تسلسلاً في درجات كمال؟ وليس حول حادث ومحدث، محدث ممكن يضرب لهم أمثلة من عندهم، من أي واحد منهم، يقول: أنت كنت قبل سنة كذا غير موجود، ثم وجدت، لا يحتاج يطلعهم إلى هناك، لكن بالنسبة لألهتهم، الكوكب أكمل من الآلهة، أليس أكمل؟ معه مثلاً خشبة، أو حجر، أو أشياء من هذه، ثم أكمل من الكوكب القمر، وأكمل من القمر الشمس، فيما عليه كل واحد منها، لا يقولوا: إن هذه من الإستدلالات، تدل على أن هذه هي الطريقة الصحيحة: دلالة الحادث على المحدث.

وعندما يقول إبراهيم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، هم يعلمون هم من هو الذي فطر السماوات والأرض، لكن تجد منطوق نبي الله إبراهيم، وموسى، هم كانوا في ظل دولة أدعى الملك فيها الربوبية يكون هناك منع، لا أحد يذكر الله، أو يذكر اسم الله، تجد في

منطق إبراهيم بالذات، ومنطق موسى، يأتي في عبارات كثيرة: ربي، أو ربنا، أو الذي خلق السماوات والأرض، فطر السماوات والأرض، هو يعلم أنهم يعرفونه؛ لأنه ماذا؟ لأنه قد هو يعتبر تعميماً على أن لا ينطق الإنسان باسم الله - على حسب لغتهم - لا يذكر اسم الله نهائياً؛ لأنَّ المَلِك قد ادعى الربوبية، ولا يريد أن يذكر غيره، لا يذكر الله، وتكون الآلهة الأخرى باعتبارها آلهة له يعني: يعبدونها وهو الربُّ الأكبر مثلما عند فرعون ﴿وَيَذَرُكَ وَالْهَتَكَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٢٧] ما يزال معهم آلهة خاصة لكن إله فوق إله، وهذا الإله الأكبر، قد صار فرعون يعتبر نفسه الرب الأكبر.

إذاً هذا أسلوب من الأساليب الهامة بالنسبة لنبي الله إبراهيم، ونبي الله موسى كان منطقهم بالشكل الذي لا يعيق الآخرين عن أن يستجيبوا لهم، لا يعيق الآخرين عن أن يسمعوا كلامهم، العبارة هذه المعممة مثل كلمة: الله - أو على أيِّ مفردة تساويها في لغتهم، تكون هناك عبارات غيرها - لو أنه غير فاهم بأنه عندما يقول: فطر السماوات والأرض لا يعرفون أنه الله لما أمكن أن يقول هذا، لكان سيصرح، منطقته مثل منطق موسى تماماً، ألم يذكر موسى عندما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: من الآية ٢٣] قال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: من الآية ٢٤].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كلمة: مشركين تشهد بأنهم كانوا يعرفون الله، ويعتبرون الأصنام آلهة مع الله، يشركونها في عبادة الله، في الحكم لها بالألوهية مع الله.

عندما تقول: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أي أخلصت وجهي، لن أتجه إلى هذه الآلهة الأخرى أبداً، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، مجادلة مثلاً من جهة قومه، حاجّوه يعني: جادلوه في موضوع الألوهية والتوحيد، هنا كان جوابه قوياً، ألم يكن جوابه قوياً وصريحاً؟ ﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ لأنه في مقام أن يكون صريحاً، هم هم الذين يحاجّون، ﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ بعيد جداً أن أستجيب لكم، أو أن أتأثر بمنطقكم، أليس معناه هكذا؟. هذا منطوق يقعد المحاجّين، تظهر نفسك قضية مسلمة عندك ليس فيها جدل، واثق منها تماماً، لكن وعلى الأسلوب هذا نفسه ﴿وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ هم ما زالوا يهددون، سيأتي عليك كذا من الأصنام، وقد يحصل لك ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ هذا المنطوق يأتي كثيراً من الأنبياء ﴿إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: من الآية ١١١] ﴿إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي﴾ لأنه هنا ينطلق عبداً لله، مسلماً نفسه لله، لا يخرج حتى في منطوقه ﴿إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي﴾ شيء من جهته.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ولن يأتي شيء من جهة الأعداء لا يعلمه، من جهة أصنامكم هذه، أنا مخلص لله، ومهتدي بهدي الله، ومؤمن بالله وحده، وأعلم بأنه عليم بكل شيء، فلست خائفاً من هذه؛ لأنها لن يأتي شيء على الإطلاق من جانبها يكون ماذا؟ احتمال الله لم يعلم به، فأخاف أنه قد يحصل من جانبها شيء يضرني في وقت يكون

الباري غير عالم، الله هو يعلم لا يخفى عليه شيء، إذا أتى شيء فلن يكون إلا بعلم الله فليكن ما كان.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ [الأنعام: ٨١] وفعلاً
 قدم هذا منطقاً قوياً جداً في الاحتجاج؛ لأنهم هم بالنسبة لهم عندما يذكرهم بالله هم يعرفون أنه خلق السماوات والأرض، هو الذي خلقنا، هو قادر على كذا هو... هو إلى آخره. إذا أنتم تخوفوني بهذه الأصنام التي تنحتونها أنتم، كيف تخوفوني بألهتكم هذه ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أنتم الذين يجب أن تخافوا أنكم أشركتم بالله، فأنتم في موقع من يجب أن يخاف عذابه، من يخاف عقوبته.

ولاحظ كيف قدّمها نبي الله إبراهيم بأسلوب راقى، تجد أسلوباً الناس بحاجة إليه الآن، عندما يأتون يخوفونك من دولة، يخوفونك من أمريكا، يخوفونك من كذا، والقضية عندما تجد القرآن الكريم هم من يجب أن يخافوا هم؛ لأنهم هم الذين ابتعدوا عن الله، وهم الذين يعتبرون الآخرين وكأنهم أكبر من الله، وهم الذين جعلوا الآخرين وكأنهم أنداداً لله، فهم ماذا؟ الذين يجب أن يخافوا هم من الله، يعني هم مثلما قال الله في آية أخرى: ﴿وَيَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: من الآية ٣٦].

إذا فمن هو الذي يجب أن يخاف، الذي يتجه إليه الله فيضربه، أو حجر صماء، أو إنسان كيده ضعيف، أو إنسان هو نفسه الله قاهر فوقه، إنسان مغلوب على أمره، من الذي يجب أن يخاف، من؟ أليس هم الآخرون، هذا يحصل، أليسوا الآن يخوفون الناس؟ فالتناس بحاجة إلى

أن يقولوا: وكيف أخاف - إذا صحت العبارة - يعني أجواء هذه العبارة التي حكاها الله عن إبراهيم، يخوفك [سيأتي عليك وبا.. وبا.. وبا...]. أليس هنا يقدم تخويفاً ممن؟ من الذين من دون الله، قل له: وأنت لاحظ في القرآن ماذا قال لك: سيأتي كذا [وبا.. وبا.. وبا... الخ] من هو الذي يجب أن يخاف؟ هل الذي وراءه الله أو الذي وراءه إنسان ضعيف؟ الله قاهر فوَّقه، يستطيع يوقفه، ويحبط عمله وكيده.

بعد ذلك قال: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ من الذي يعتبر آمن في الواقع؟ وأحق أن يقال له آمن؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لهذا قلنا: إنه من الأسف أنه فعلاً [سورة الأنعام] هي نزلت إلى المشركين، وما نزال في أمس الحاجة إليها بعد ألف وأربعمائة سنة من وجود الإسلام، من وجود هذا القرآن! ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، تفهمون الأشياء برؤية من خلال المقارنة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢] هم الموعودون بالأمن، هم الذين يستحقون أن يقال أنهم آمنون، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣] حجة إلهية هذه، نلاحظ هنا في نفس رؤية إبراهيم ملكوت السماوات والأرض كيف يأخذ منها وبهدى الله سبحانه وتعالى وسيلة لمحاجة قومه، لعرض براهين لقومه، ليس معناه الرؤية الخاصة له هو، هناك موضوع الطير، ألم يحكها هناك في موضوع آخر؟ لأنه هنا قدم لنا أمثلة هي ماذا؟ أمثلة احتجاج إبراهيم مع قومه، أمثلة عرض براهين فيما يتعلق بالألوهية مع قومه.

هل هذا الموضوع على أساس أنه استدلال على أن هناك الله؟ داخل الآيات هذه تدلك فعلاً من أول آية ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَبُّهُ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤] أليس معناه موحد؟ هل يمكن أن تحمل الآيات من بعدها على أنه إنسان ما قد عرف الله، وأنه يريد أن يعرف الله، وأنه قدّر أن الكوكب ربه، ثم انكشف له أنه غرّب؟! أليس هذا منطوق رجل، منطوق إنسان قد صار رجلاً؟ هل هو لأول مرة يشاهد الكوكب؟ لأول مرة رأى الكوكب، واعتقد أنه رب ثم إنه بعد ذلك غرّب، إذاً لا يصلح، والقمر هل هو أول مرة يراه في منتصف الشهر؟

لاحظ العبارات واضحة عندما قال: ﴿لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ [الأنعام: من الآية ٧٧] وبعدها قال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٨] ثم عندما حاجوه ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ إذاً هو الذي قد هداني لكني أحاججكم، ولاحظ هنا ألم تتجل هداية الله له لم حاجتهم؟ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ وهو من هدى الله، من هدى أن تملك أنت قدرة في الاحتجاج على الآخرين. هذا مما يعلمنا القرآن، الله يعلم الناس من خلال القرآن كيف يكون عندهم قدرة على محاكاة الآخرين، وعلى الحديث مع الآخرين، وعلى الدعوة للآخرين.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ هنا يبين العلم نفسه الذي يرفع الدرجات، هناك في آية أخرى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: من الآية ١١]، دائماً الناس يقرؤونها في الإحتفالات إذا قد أمامهم أي شخص اسمه عالم، قرأ

كذا كذا، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهو لا يدري بأنهم هناك، [مَنْزَل] وأنزلوا الناس معهم، كثير منهم حقيقة.

لاحظ الطريقة، العلم الصحيح الذي هو بهداية من الله، وهذا مظهر من مظاهره، ألم يقدم هنا مظهراً من مظاهره؟ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ أليست هذه الحجة هي من هدى الله؟ هو يأتي أيضاً بالكلام عن الهدى، في موضوع الهدى، والهدى من النوع الخاص ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءٍ﴾ هذه تبين لنا منهم أولوا العلم الذين ماذا؟ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ حكيم عليم، ويهدي من يشاء من عباده ليكون عنده حكمة وعلم.

لو يستخدم الناس المنطق هذا ستجد فعلاً أنه مؤثر في الآخرين، فلان يريد يخوفك من الناس عندما تقول له: انطلق معنا في موضوع كذا، وأمام أعداء الله فيقول لك: [لكن ولكن، وأحسن لك كذا] ويخوفك، أليس هو هنا يخوفك؟ نقول له: [كملت]، لكن لاحظ الله يقول في القرآن كذا، ناس لا يتحركون، لا يستجيبون، لا يعملون في سبيل الله، موعودون بكذا كذا من الدنيا إلى الآخرة ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ هل يستطيع يقول لك، أبدأ هذا الشيء يجب أن أخافه، وتخافه أنت أكثر مما تخاف الشيء الذي من جهة الله؟! لا أحد يستطيع أن يقول لك، ولا حتى [بوش] نفسه، ولا حتى الرئيس الأمريكي نفسه.

كيف ستكون النتيجة بعد؟ سيرجع إلى نفسه هو، وسيجد أنه هو الذي ماذا؟ كما قال هنا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أنه هو الذي لا يعلم ما هو الخوف

الذي يجب أن يتوقاه، أنك عندما تخاف الله ستأمن من جانبه، وسيؤمّنك أيضاً من ضر الآخرين، مثلما هو منطلق القرآن، ومثلما حصل لإبراهيم نفسه، جمعوا له حطب ملان المكان الذي قد أعدوه، وأحرقوه إلى حد أنهم لم يتمكنوا من إلقائه فيها إلا بالمنجنيق من شدة لهيب النار ﴿قَلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، طفيت! وإذا بإبراهيم بخير لم يصب بأيّ أذى! ألم يأمن حتى من النار التي قد تعبوا وهم مجمعين لها؟^(١).

وهنا يقدّم النبي إبراهيم (عليه السلام) درساً مهماً جداً في مقام العمل والحركة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يخاف الإنسان إلا من الله، وما يمكن أن يأتي من جانبه، فلا خوف أبداً ممّا سواه، فهو الذي لا يعذب عذابه أحد، فالعذاب بيده، والخوف منه، والأمن بيده، وهذه هي الإنطلاقة الواعية التي جسدها النبي إبراهيم، وجميع الأنبياء والمرسلين.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوشي (رضوان الله عليه) :

"كان جواب نبي الله إبراهيم عندما كانوا يخوفونه بأنه ستضره الأصنام، سيحصل عليه كذا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ [الأنعام: من الآية ٨١]. تخوفوني بماذا؟! أنتم الذين يجب أن تخافوا وأنتم تشركون بالله، أنتم من تتعرضون للخطورة العظيمة لنار جهنم ولسخط الله.

لاحظوا نبي الله إبراهيم كيف كان إنساناً واعياً على درجة عالية من

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الخامس والعشرون، سورة الأنعام.

الوعي، انطلق من مقاييس المقارنة، من قواعد ثابتة لديه، يخوفونه بهذا ويخوفونه بهذا، وكل تخويف يبدو تخويفاً بشيء لا يشكل خطورة مع المقارنة بما يجب أن نخافه من قِبَل الله سبحانه وتعالى ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾؟ أنت تريد أن تخوفني من أجل أن تدفع بي إلى جانب الأمن، أليس كذلك؟ وأنا أخوفك بالله أريد أن أدفعك إلى جانب الأمن ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾؟ أي الفريقين يصح أن يقال: هو الأمن؟ من يكون في واقعه آمناً من عذاب الله وسخطه أو من يحاول أن يأمن من عذاب الناس وسخطهم، ويوقع نفسه في عذاب الله وسخطه، هل هو آمن؟ لم يأمن، آمن من شيء في الواقع لا يقارن بينه وبين ما يمكن أن يحصل من قبل الله؛ ولهذا جاءت الآية بالسخرية من التخويف بشيء من دون الله ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: من الآية ٣٦] يخوفنك بأنه سيحصل عليك كذا وكذا، تهديد من قبلهم أو سيحصل عليك من الأصنام ما يضرك، لا، أي تخويف بشيء من دون الله لا يشكل خطورة.

فالآمن هو من يأمن من عذاب الله وسخطه، وكل شر وكل عذاب، وكل أمر مخوف هو دون جهنم لا قيمة له، بل هو بالنسبة للواعين الفاهمين للخطورة العظيمة التي يجب أن يأمنوا منها، أنه إذا لم يحقق له الأمن من عذاب الله إلا أن يخوض هذه الغمار التي تبدو مخيفة للكثير، يخوضها بارتياح؛ لأنها لا تشكل شيئاً بالنسبة لما يخاف منه، وسيكون خوضها مما يحقق له الأمن يوم القيامة، الأمن من نار جهنم،

الأمن من أهوال القيامة، الأمن من شدة الحساب؛ ولهذا قال الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليخاطب الناس ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥] هذا الذي يخيفني، فلا بد أن أنطلق في طاعته، وفيما يحقق لي الأمن من ذلك الشيء المخيف من نار جهنم، مهما كان الأمر، لا يقعد بي أي أمر مخيف من أمور الدنيا، أي شيء مخيف على أيدي الآخرين، أو السنة الآخرين ﴿أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

هذا فيما يتعلق بجانب التخويف أن يكون لديك قاعدة ثابتة من ينطلق ليخوفك كيفما كان هدفه من تخويفك، فارجع إلى القرآن الكريم تعرف ما هو الأمر الذي يجب أن تخافه فعلاً وبيد من هو؟ هذه واحدة، تتأمل في القرآن الكريم عندما يتلو الإنسان القرآن الكريم تجد ما كان يحصل من تخويف للأنبياء للمصلحين، وكيف كانوا يواجهون من يخوفونهم بأنهم يخوفونهم بلا شيء بما ليس مخيفاً مقارنة بما يجب أن نخافه مما هو بيد الله، الله القاهر فوق عباده، الذي لا يستطيع أحد أن يحول بينك وبين أن يوقعك في هذا الأمر المخوف، نار جهنم" (١).

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، سورة المائدة، الدرس الثاني.

(٢)

**موقف النبي إبراهيم من
الأصنام وبراءته من المشركين**

إنّ هذا الموضوع له علاقة أيضاً بوسائل وأساليب الحوار والمحااجة التي تميز بها النبي إبراهيم مع أبيه وقومه في موضوع الشرك بالله وعبادة الأصنام، وهو يتنوع ويتفنن في وسائله وأساليبه البليغة والمؤثرة من أسلوب الحوار الخاص الهادئ واللطيف مع أبيه إلى أسلوب الحوار والمحااجة مع أبيه وقومه، ويتطور للتعرض للأصنام مباشرة والتعريض بها وصولاً إلى تحطيمها وتكسيورها، كلّ ذلك ليقرر في أنفسهم مبدأ الكمال في الألوهية والعبادة، وهذه هي طريقة الأنبياء مع أقوامهم ومجتمعاتهم، وهي القضية التي يعمل القرآن الكريم على ترسيخها.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"ونحن نقول - كما تكرر في القرآن الكريم في آيات كثيرة - : إنّ من أعظم ما يؤكد عليه القرآن الكريم ويعمل على ترسيخه في النفوس هو: الشعور بكمال الله المطلق، أي هو من لا يحتاج أبداً إلى غيره، هو الكامل، فعندما نصفه ونسميه كما سمى نفسه «عليم» فهو العليم الذي لا يجهل شيئاً، هو الذي أحاط علمه بكل شيء، هو عالم الغيب والشهادة.

ومتى ما سمعناه يسمي نفسه بأنه قدير فإنه يقول: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: من الآية ٣٩] لا يعجزه شيء، والقرآن الكريم عمل على ترسيخ مبدأ الكمال، كمال الله سبحانه وتعالى، وهو المبدأ الذي استطاع أن ينسف الشرك من نفوس العرب، عندما جاء ليقول لهم: إنّ الإله يجب أن يكون كاملاً، الإله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون كاملاً كاملاً مطلقاً، أمّا إذا كان ناقصاً محتاجاً فغيره أكمل منه، إذاً فغيره أولى

بالعبادة له منه، فتحدث عن أصنامهم بأنها لا تنفع ولا تضر، لا تسمع، لا تبصر.. ألم يتحدث في القرآن الكريم عن هذا كثيراً؟.

نبي الله إبراهيم عندما حطم تلك الأصنام؛ ليثير في نفوس قومه أن هذه الأصنام التي تعبدونها ناقصة قاصرة، لا تستطيع أن تنفع ولا تضر، لا تستطيع أن تدفع عن نفسها فكيف يمكن أن تدفع عنكم، فلماذا تعبدونها؟! إن من يجب أن تعبدوه هو الله سبحانه وتعالى الكامل، ذي الكمال المطلق، الذي لا أحد يستطيع أن يقهره، الذي إذا التجأت إليه نفعلك، إذا خرجت عن نهجه وتجبرت عليه ضربك، ويستطيع أن يضربك، ويقول لك: بأن كل من في السموات والأرض جنود له: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: من الآية ٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤] عرفوا أنه فعلاً أصنام تتحطم هي ناقصة، فكيف نعبدها، ماذا يمكن أن تعمل هذه الأصنام؟ من أي وجه تستحق العبادة؟ أي كمال لها تستحق به أن نعبدها، ونُخضع أنفسنا لها، ونثني عليها" (١).

إن هذا يعطينا الأسلوب الأمثل، والمنهجية الصحيحة، والرؤية الواضحة في الحوار والمحااجة والدعوة والحركة، فأساليبه ووسائله القوية لم تكن مجرد إنفعال متشنج ومباغته، بل مدروسة ومرتبطة من منطلق العلم، والمعرفة، والوعي، والبصيرة، وهذا الموضوع يركّز على موقف النبي إبراهيم من الأصنام، والبراءة منها، ومن المشركين، ولم يأت الموقف الأخير في تحطيم الأصنام وتكسيها إلا بعد أن قام النبي إبراهيم بثورة

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، معرفة الله، عظمة الله، الدرس الثامن.

فكريّة، وقاد حملة ثقافية، وتوعوية، وتنويرية كبيرة ومستمرة قائمة على الهدى والبصيرة استنفد فيها كلّ الخيارات، واستخدم فيها كل الوسائل والأساليب، إنّه النّبي القدوة والأسوة الحسنة في سلوكه وتصرفاته ودعوته وأعماله وحركته ومسيرته، يلتقي عنده الجميع وتتفرّع من ملته كلّ الرسالات، وعلى خطاه وطريقته سار كلّ الأنبياء والمرسلين، وتجسّدت في شخصيته، ووسائله، وأساليبه كلّ أسس ومعالم الدعوة والحركة الرساليّة.

حوار النبي إبراهيم (ع) مع أبيه

في هذه الآيات المباركات من سورة (مريم) يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) بأن يذكر موقف نبيّه إبراهيم مع أبيه الذي عرضه في الكتاب، أي: في القرآن الكريم، وهذا أسلوب من أساليب الحوار والمحااجة الدؤوبة والمستمرة التي انتهجها النبي إبراهيم مع أبيه وقومه دون خوفٍ أو كللٍ أو ملل، وهو هنا يخوض حواراً خاصاً ومنفرداً مع أبيه كما يبدو، لأنّ هناك حوارات أخرى عامة مع أبيه وقومه، ولعلّ النّبي إبراهيم كان يحاول هداية أبيه، ويحاوره على انفراد في ظروف ومقامات خاصة، لعلّه يتأثر أو يستجيب، وهذا أسلوب رائع ولطيف من أساليب النبي إبراهيم مع أقرب النّاس إليه بكلّ أدب ولطف واحترام وتقدير، والنبي إبراهيم يتدرج ويتنوع في أساليب الحوار والمحااجة كما سيمر بنا، وهو في نفس الوقت يخلط بين أسلوبَي الدعوة والحركة، وهذا هو التحرك والتوجه الصحيح، لأنّ الإسلام ورسالات الله في مناهجها وأساليبها ليست مجرد دعوة ونصائح ومواعظ فقط، بل

دعوة وحركة، قول وعمل في نفس الوقت، وهذا هو الأسلوب الإبراهيمي في التبليغ، وأسلوب ومنهج جميع الأنبياء والمرسلين.

في هذه الآيات المباركات يتخاطب النبي إبراهيم ويتحاور مع أبيه، ويبدوا أنّ هذا الموضوع من أولى مهماته وأولوياته، أي يركز على المحيط الأقرب منه وإليه، لأنّ أقرب الأقربين هو الأولى والمقدّم بالدعوة والعمل والحركة، حتى لا يتحرك الإنسان مع الآخرين، وينسى أهله وأسرته وعشيرته، فدعوة الأقربين والتأثير فيهم وتغييرهم وإصلاحهم يمثل نقطة قوة في مسيرة العمل والحركة، عندما تكون الأسرة كلها منطلقة ومستجيبة، وهذه مسؤولية دينية كبيرة لها الأولوية، وإهمالها وإغفالها يمثل نقطة ضعف، تؤثر على منهم في مقام الدعوة والحركة إلى الله، وكما يقول الله سبحانه وتعالى للرسول (صلى الله عليه وعلى آله): ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فكما أنّ هناك حقوق متبادلة بين الوالد وولده فإنّ من حق الإبن على أبيه وبرّه به أن يدعوه إلى الخير والصلاح والهداية والإستقامة، وهكذا مع كلّ أقربائه، ويبدوا هذا الموقف جلياً في النبي إبراهيم، والإنسان هو مسؤول عن هداية أهله وأسرته ووقايتهم من عذاب الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

في هذه الآيات يخوض النبي إبراهيم حواراً مؤدباً ولطيفاً في أجواء عاطفية من منطلق الشعور بالمسؤولية في دعوة أبيه إلى الإيمان بالله وعبادته، وصرفه عن الشرك بالله وعبادة الأصنام بأسلوب رائع جداً مرتبط بالله سبحانه وتعالى، ويثير الكثير من علامات الإستفهام، ولكنّ هذا الأسلوب الرائع والمؤدب واللطيف يواجه بالرد القاسي والتهديد من قبل أبيه.

١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١-٥٠].

تجلى عظمة شخصية نبي الله إبراهيم وسمو نفسه وروحيته - من خلال ما عرضه الله عنه في القرآن الكريم - في مستوى إيمانه وعلاقته القوية بالله، وإخلاصه الشديد للرسالة ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ صديقاً صيغة مبالغة تفيد التكثير أي: كثير الصدق والتصديق، فهو مصدق بالله وبوعوده الصادقة صادق مع ربه، ومع نفسه، ومع قومه، فكانت حياته كلها صدقاً من أولها إلى آخرها، وهو في المستوى الأعلى بين الأنبياء والرسل، ومن المهم والضروري استلهام واستيعاب هذه القضايا والأخلاقيات والالتزامات في مسيرة العمل والحركة على منهاج ودرج الأنبياء، والله سبحانه وتعالى يأمر هنا ويذكر نبيه بذكر النبي إبراهيم في موقفه هذا مع أبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ

وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿﴾ بأسلوب لطيف ومؤدب ومهذب وواقعي يثير أكثر من سؤال في نفسية وذهن وتفكير أبيه حول عبادته للأصنام التي لا تسمع أولاً، فهي لا تسمعه عندما يخاطبها ويناجيها ويسألها، وهي لا تبصر ثانياً، فهي لا تراه عندما يقف أمامها في خضوع وابتهاال، ويقدم لها الولاء والطاعة والقرايين، وهي ثالثاً لا تملك ضراً ولا نفعاً، لأنها لا تملك أي شعور أو إحساس يجعلها تتأثر وتؤثر، بل هي مجرد أحجار جامدة غائبة كلياً عن الإنسان والكون والحياة، كانوا ينحتونها ويصنعونها بأيديهم، فهي لا تمتلك أي قوة أو قيمة تجعلها بمستوى العبادة، ثم ينطلق إبراهيم في التبيين لأبيه مؤكداً له بأنه لا ينطلق في دعوته وموقفه من الأصنام من منطلق المعاندة والجهل، بل من منطلق وواقع العلم والمعرفة التي وهبه الله وآتاه: ﴿يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ فهو باتباعه له يهديه إلى الصراط السوي والطريق المستقيم الذي يقوده إلى الإيمان بالله، والعمل الصالح، والوعي، والبصيرة، والإنسجام مع الحياة ومتطلباتها، ويحقق له السعادة، والراحة، والطمأنينة في الدنيا والآخرة، لهذا عندما ينطلق الإنسان ويتحرك في أي قضية في مسيرة العمل والحركة والدعوة يجب أن يكون من منطلق العلم والمعرفة، والوعي، والبصيرة، والإستيعاب، كما يقول الله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] فهو على بينة من ربه فيما يعمله ويقوله ويدعوا إليه، ويسترسل إبراهيم في الحديث مع أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [الزمر: ٤٤] فأبى عبادة لغير الله وما

سواء إنّما هي عبادة للشيطان الذي كان أول من عصى الله، ويسعى جاهداً لإغواء الناس وإضلالهم: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [الزمر: ٤٥] فهذه الدعوة هي دعوة المشفق الناصح والحريص، فطاعة الشيطان وعبادته تجعل الإنسان محطّ عذاب الله، وتنتهي به إلى ولاية الشيطان، والهلاك والخسران والشقاء والظلال، وهكذا يجب أن ينطلق الإنسان في حركته مع النَّاس ودعوته لهم من منطلق الحبِّ لهم والإشفاق بهم، والحرص عليهم، والرحمة والشفقة بهم، ويحسّسهم ويشعرهم بذلك بحيث يلمسونه منه حقيقة، وهكذا كانت دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، وأمام هذا الأسلوب الرقيق واللطيف والصريح والبيّن كانت ردة الفعل المتشجعة المشحونة بالكفر والضللال والبغي والعدوان: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [الزمر: ٤٦] يهدّده بالقتل رمياً بالحجارة، ويأمره بالهجران الطويل والمقاطعة المستمرة كما يحصل من قبل الكثير من الطغاة الذين يلجئون إلى أسلوب التهديد والوعيد بالعذاب والإنقام، وأمام هذا الرد القاسي المفعم بالتهديد بالقتل والهجران يحافظ النبي إبراهيم على توازنه وأسلوبه الذي يبقي القضية في مسارها وحركتها الصحيحة: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [الزمر: ٤٧] لأنّه في موقف ووضعية وأجواء تفرض عليه الإستمرار في هذا الأسلوب البيّن والمؤثر فيعضوا ويصفح كما قال الله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الرحمن: ٦٣]

والحركة والدعوة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

يوصل النبي إبراهيم عمله مع أبيه مستعيناً بالله في هدايته قائلاً: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ والحفاوة: هي المحبة واللطف، ولم يكن موقف النبي إبراهيم هذا من منطلق إيثار القرابة والصلة على الحق والهدى، وإنما من منطلق المسؤولية والأمل في الإستجابة، ولهذا عندما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وقد وضّح الله أن موقف إبراهيم في الإستغفار لأبيه لم يكن إلا من هذا المنطلق، منطلق الحرص، والأمل، والمسؤولية: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا بِهَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤].

وهنا قرّر إبراهيم أن يعتزل أباه وقومه وما يدعون ويعبدون من دون الله: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]، وهذا هو الموقف الذي يفرضه عليه دينه ومسؤوليته بعد أن أعذر في الإبلاغ والتبيين، وظهر له الإصرار على الكفر والجحود والنكران، وفي مثل هذه الظروف أمام التكذيب والتهديد يحتاج الإنسان في مقام العمل والحركة أن يقوّي علاقته بالله، فينقطع إليه، ويستعين به حتى لا تضعف همته ومعنوياته، ويفتر نشاطه، ويصاب باليأس والإحباط بحيث تبقى الثقة بالله عظيمة، والأمل فيه كبير: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٤٩﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠].

فبعد اعتزال إبراهيم لأبيه وقومه، والهجرة إلى الله كما ذكر الله في آيات أخرى، أنعم الله عليه ووهبه الأبناء والذرية الصالحة، وجعل فيهم النبوة والإمامة، وغمرهم بواسع رحمته وفضله، وجعل لهم الذكر الحسن الرفيع القدر.

حوار النبي إبراهيم مع قومه

يعود بنا القرآن الكريم مرة أخرى إلى النبي إبراهيم، وأسلوب آخر من أساليب الحوار والمحااجة مع قومه، فهو في عمل وحركة كبيرة، ونشاط دؤوب ومستمر مع أبيه وقومه، وبأساليب متعددة ومتنوعة فتارة يحاور ويناظر، ويرشد، ويعظ، ويذكر في أجواء وظروف عامة وخاصة، وتارة يجري حواراً منفرداً مع أبيه، ومرة أخرى مع قومه، وأحياناً خطاباً مشتركاً مع أبيه وقومه، وينتهز كل الفرص لأداء دوره والقيام بمسؤوليته، ويقدم كل الحجج والبراهين، والأدلة المنطقية والعملية التي تسقط كل هذه الإدعاءات، والأقوال والأعمال المزخرفة، والقداسة المزعومة، والهالة المصطنعة للأصنام وعبادتها، وبأسلوب آخر يبين ضعف هذه الأصنام وافتقارها، مقدماً كلما يشد الناس إلى الله ويربطهم به، فهو يعظ، وينصح، ويرشد، ويذكر، ويحذر، ويخوف، ويبلغ، ويبين على أرقى مستوى، وفي هذه الآيات المباركة يقدم النبي إبراهيم احتجاجاً قوياً وبلغاً على قومه، مذكراً بالله، وعبادته، وتقواه، محذراً من العاقبة

الوخيمة للتكذيب.

٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وإبراهيم إذ قال لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أُنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مَن النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ * فَاَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ آجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ١٦-٢٧].

تأتي هذه الآيات بعد أن ذكر الله النبي نوح، وإرساله إلى قومه ونجاته وأصحاب السفينة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥] وفي الغالب ما يذكر النبي إبراهيم بعد النبي

نوح، إمّا لقصر الفترة ما بينهما، أو لتشابه الظروف والوضعية ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦] إذ قال لقومه أعبدوا الله واتقوه، فيدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فهو يعظهم وينصحهم ويدعوهم لعبادة الله وتقواه التي تعني الخوف والحذر، والطاعة والإلتزام، فعبادة الله وحده وتقواه في حركة وواقع الحياه كلّ الأمور مرتبطة بهما، وذلك خير لكم إن كنتم تعلمون، فهذه الأوثان التي تعبدها من دون الله ليست جيدة أبداً بالعبادة، وليست أهلاً للرجبة والرهبية: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فهي ليست إلا مجرد أصنام حجرية وخشبية تصنعونها بأيديكم كما سيأتي في قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ فهي لا تملك أي قدرة على المنفعة، ولا تحتل أي مركز لتقديم النفع أو الضر في الحياة يطمع فيه ويخشى منه، وهي لا تمثل أي معنى، وليس لها أي قيمة، ولا تحمل أي قداسة ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وهو أعلى درجات الكذب والإفتراء فيما تدعونه لها من الألوهية، وتشيرونه حولها من أوهام، وقداسات وتصورات، وليس بيدها ولا من عندها رزقكم، وهو أهم شيء في الحياة، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ﴾ لأنه بيده، وهو الذي يرزق جميع عباده ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لأنه الخالق الرازق المالك المنعم المستحق للعبادة والشكر، وإليه مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون، فالحياة والنعم بيده والمصير إليه، ويحذر إبراهيم قومه من خطورة الوقوع في التكذيب فيحل بهم ما حلَّ

بالأمم من قبلهم، ويكون مصيرهم كمصيرهم، ولا بد أنَّهُم يعرفون كيف كان مصير الأمم المكذبة قبلهم مثل: قوم نوح والذين من بعدهم، فليسوا خارجين عن سنة الله في المكذبين: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ فدور الرسول ووظيفته أن يبلغ رسالات ربه، ويبينها لقومه، وليس بضاره تكذيبهم، وإعراضهم، وانحرافهم عن مسيرة الله، وفي مقام العمل والحركة يجب أن يقدم البلاغ الواضح والبين لرسالة الله وهديه، لأنَّ التكذيب والإعراض بعد البلاغ والتبيين وراءه العقوبة والمواخظة الإلهية، وهذا تهديد شديد، وإنذار خطير من إبراهيم لقومه، ومن المؤكد أنَّ الله قد أهلكهم بعد أن كذبوا وتآمروا على نبيه إبراهيم، ثم يقول الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ * وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٣]

فتأتي هذه الآيات كما يسمونه اعتراضية وسط ما تقدم وما تأخر من قصة النبي إبراهيم للتأكيد على أهمية القضية، لأنها تتناسب مع قول إبراهيم وتحذيره وإنذاره لقومه، ويتحقق من خلالها ما يتناسب وهذه القصة مع قوم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وبعد هذا النصح والإرشاد والتذكير الواضح والبلاغ البين من النبي إبراهيم لقومه، يأتي الجواب المتشجع والتهديد الواضح بالقتل والحرق: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا

اَفْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ»، وهكذا يواجه الطغاة والمستبدون دعوات الحق ورسل الله والدعاة إليه، فهم لا يمتلكون إلا لغة التهديد والقوة، والوسائل والأساليب الإجرامية والعدوانية: **﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾** التي بنو لها بنياناً عظيماً، واحتطبوا لها حطباً كثيراً، وأضرموها ثم ألقوه فيها، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه وأنجاه منها، وكانت معجزة إلهية وفعلاً خارقة للعادة: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** وسيمر بنا الحديث عن هذا فيما سيأتي، وبعد هذه المحاولة الفاشلة للتكيل بإبراهيم وإحراقه وقتله، وبعد أن نجاه الله من النار انتهز إبراهيم الفرصة مرة أخرى، واستغل هذه الآية الكبيرة ليذكر قومه، ويحذرهم وينذرهم ويبين بطلان عقيدتهم وألتهم، ويكشف واقعهم ومصيرهم، فهو كما مر بنا رجل دؤوب وعملي ونشط في مهمته ورسالته، ويتصف بالجد والإستمرارية: **﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** فلم يكن اتخاذكم لها آلهة من دون الله منطلقاً من أي أسس واقعية، ولا مبنياً على أي حجج حقيقية، بل من منطلق علاقات المودة القائمة بينكم مع بعضكم البعض، والتعاون على الإثم والعدوان، وانطلاقاً وراء عادات وتقاليد الآباء والأجداد، وكثير من العقائد الباطلة والثقافات المغلوطة التي لا أساس لها من الصحة، وكل ما يثار حول هذه الأصنام من التقديس والمعتقدات مجرد أوهام وخرافات تكون ذات بعد تراثي واجتماعي مرتبط بالعادات والتقاليد لا أكثر، وبما مضى عليه الآباء والأجداد، ولكن هذه العقائد الباطلة القائمة على المودة المنحرفة، وموروث الآباء والأجداد، والعادات والتقاليد سرعان ما تتناثر وتتبعثر،

وتتحول وتتبدل إلى عداوة ولعنة دائمة: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَأَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ كما ذكر الله في أكثر من موقع في القرآن الكريم.

بعد هذه الآية الكبيرة الخارقة للعادة لم يؤمن به ويستجيب له إلا لوط، ليكون فيما بعد داعية إلى الله ومرسلاً إلى قومه، وبعدها قرر نبي الله إبراهيم مناظرة قومه والهجرة إلى الله، ومن المؤكد أن الله قد أخذ قومه وأهلكهم بعد هذه الحادثة، وبعد هجرة إبراهيم ومغادرته، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصفات: ٩٨] ففي هذا دلالة على أنهم قد تعرضوا للعذاب والعقوبة الإلهية كما هي سنة الله في كل الأمم المكذبة بعد إنذار الرسل وإبلاغهم البين واعتزالهم لأقوامهم، يول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨، ٩]، وقد أكرم الله نبيه إبراهيم (عليه السلام) بعد هذه الحادثة الكبيرة، وبعد المهاجرة، ووهب له إسحاق ويعقوب، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، وآتاه أجره في الدنيا فيما أكرمه الله به، وأمتن به عليه وعلى ذريته، وتخليد الصلاة والسلام عليه في كل رسالاته وإلى يوم الدين، وجعله للناس إماماً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٦، ٢٧].

الهجرة في الإسلام

تحدث الله سبحانه وتعالى هنا عن هجرة نبيه إبراهيم، والهجرة هي: الخروج والانتقال من مكان إلى مكان آخر لأسباب وظروف معينة، ولها أحكامها الخاصة، وهي تعتبر في الإسلام واجبة في بعض الظروف والوضعيات الخاصة، وقد عبر الله عن هجرة نبيه إبراهيم بقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [من الآية [٢٦] العنكبوت] وبقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصفات: ٩٩] وعبر عنها بالإعتزال بقوله: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]، وقد هاجر المسلمون في بداية الدعوة مرتين إلى الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية، وهاجر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومعه المسلمون من مكة إلى المدينة، وجعل المدينة قاعدة ومستقراً له وللدولة الإسلامية بدلاً عن مكة، كما هاجر نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، ولعل هناك الكثير من الأنبياء والمرسلين الذين هاجروا واعتزلوا أقوامهم، والهجرة في الإسلام والشريعة لها ظروفها وأوضاعها الإستثنائية الخاصة، سواء في دار الكفر أو غيره، وذلك عندما تصل إلى مرحلة ووضعية تستنفد فيها كل الخيارات، وتستخدم كل الوسائل والأساليب في الدعوة والحركة والبلاغ والتبيين، وتقابل بالكفر والجحود والنكران، وترى نفسك في أجواء ضاغطة لا تستطيع أن تعمل شيئاً، مكبلاً ومقيداً عن العمل والحركة، معرضاً أنت ومن معك من المؤمنين للفتنة التي تعني العذاب الأليم بهدف فتنة الناس عن دينهم، حيث يجاهر بالعصيان لله، وتفقد الأمل تماماً، وتصبح عاجزاً عن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

فتكون مضطراً حينئذ لهجرة بلدك، ومجتمعك إلى بلد ومجتمع آخر، حيث تتمكن من مواصلة عملك ومهمتك، والقيام بدورك وأداء مسؤوليتك، لأن العجز والضعف في الأجواء الضاغطة، والظروف الإستثنائية عن القيام بواجبك وأداء دورك ومسؤوليتك ليس بعذر مقبول ولا مُبرّر، فأرض الله واسعة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠].

٣- ويقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

البراءة من الأصنام

يعتبر موضوع البراءة من الشرك والمشركين والأصنام، وكل ما يتخذ أنداداً من دون الله من أهم المواضيع والمحطات في مسيرة ودعوة وحركة النبي إبراهيم، بل هي محور ارتكاز القضية والدعوة والحركة في مسيرة

وحركة النبي إبراهيم (عليه السلام)، وكذلك رسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فهنا تعود لنا قصة النبي إبراهيم بصورة جديدة، وأسلوب متطور في أساليب ووسائل الحوار والمحااجة، فبعد أن قطع النبي إبراهيم شوطاً كبيراً في موضوع الدعوة والحركة والتوعية الدينية، والفكرية، والثقافية، والأخلاقية، والسلوكية دون حصول أي نتيجة تذكر، انتقل إلى أسلوب متطور أكثر حدة وصرامة، وأقوى صلابة مع أبيه وقومه في موضوع عبادة الأصنام، والبراءة منهم ومما يعبدون ومن آبائهم الأقدمين، وهو في هذا المشهد القرآني يهاجم الأصنام مباشرة، ويتبرأ من أبيه وقومه، ويجاهر بالبراءة منهم والعداوة لهم بالقول قبل أن ينتقل إلى الفعل، كما سيمر بنا في محطة أخرى، ولكن مع بقاء الأسلوب الذي يربط الدعوة والحركة بالله، وقد أمر الله نبيه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يتلو على قومه نبأ إبراهيم، والنبأ هو: الخبر العظيم والمهم، لأنّ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يعيش في وضعية مشابهة لوضعية أبيه إبراهيم مع قومه وقبيلته قريش الذين هم من ذرية إبراهيم من أبناء ولده إسماعيل، منهمكون في الشرك وعبادة الأصنام، والحديث عن إبراهيم وتلاوة نبأه، وخبره وسيرته مهمّ جداً في كل الظروف والمحطات، وتبرز أهميته الكبيرة في وقتنا الحاضر وظروفنا المعاصرة.

٤- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ

وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ *
فَلِيَهُمْ عَذَابِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
وَيَسْقِينِي * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ
لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاعْفُرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ
* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿الشعراء: ٦٩-٨٩﴾.

فالحديث عن إبراهيم وتلاوة نبأه وخبره وسيرته على مشركي العرب سيكون له وقعه وأثره الخاص، فالنبي إبراهيم معروف عند العرب له ميزته واحترامه وقداسته، وانتسابهم إليه أيضاً، ومع واقعهم المنحرف عن ملته لعل الحديث عنه وتلاوة نبأه عليهم قد يمثل منعطفاً جديداً في حياتهم وتفكيرهم واعتقادهم: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فيأمر الله نبيه بسرد هذه القصة التي تتعلق بعبادة الأصنام، وهذا الحوار الساخن مع أبيه وقومه في حوار جماعي معهم جميعاً يثير علامات الإستفهام في قرارة أنفسهم بطريقة وأسلوب يفتحان باب الحوار والمناقشة الساخنة والمباشرة: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّهَا عَاكِفِينَ﴾ فلا يمتلكون إلا هذا الجواب الساذج فانتهاز الفرصة معهم بإسلوب الحوار والمناقشة الموضوعية المحددة والمركزة، وليبين لهم زيف عقيدتهم وبطلان آلهتهم التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ فيباغتهم بالأسئلة المحرجة والمحيرة التي

لا يمتلكون أمامها أي جواب: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فهم لا يمتلكون أي جواب أو دليل مادي أو معنوي مقنع، وإنما هذه العبادة لهذه الأصنام ناشئة من إرث وعادات وتقاليد الآباء والأجداد، ولعله كان في آبائهم وأجدادهم الأقدمين شخصيات لها رمزياتها ومكانتها وقداستها في نفوسهم كرموز تقليدية مؤسّسة للشرك وعبادة الأصنام، وعادةً ما يكون منشأ الضلال والانحراف هم السلف الأول، والموروث القديم الماضي الذي يعتبر الحاضر امتداداً له، لهذا نرى النبي إبراهيم يربط حاضره بماضيهم فالتعرض للماضي القديم برموزه وشخصياته وموروثه وعاداته وتقاليد المنحرف والضال لا بد منه في تصحيح الواقع لإحداث التغيير والتحوّل الإيجابي، وتستمر الآيات بإيجاز بليغ في عرض وسرد هذا الحوار الساخن الصريح والمباشر الذي يتعرض للآلهة المزعومة ورجال الحاضر والماضي: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو هنا يعمل بطريقة فكرية وثقافية وتربوية على تحطيم الأصنام وتدميرها ونسفها ذهنياً وعقائدياً بأسلوب علني مهما كان الموضوع حساس ومقدّس: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الإله الذي يدعو إليه إبراهيم ويعبده ويدعو قومه إلى الإيمان به وعبادته، وبأسلوب رائع جداً ومؤثر يشرح إبراهيم لقومه أثر هذا الإله عليه في حياته، متحدثاً عن نفسه بالشكل الذي يثير ويلفت انتباه المخاطبين والمستمعين، فهو الإله الخالق والهادي والرازق والشافي الذي بيده الموت والحياة والرحمة والمغفرة، وهذا أسلوب واستدلال تحفيزي في التذكير بالله وربط الناس

به بالشكل الذي يثير اهتمامهم وانتباههم، ولتبقى القضية تدور في فلك وأجواء الذات الإلهية، ثم ينطلق إبراهيم في مناجاة وابتهاال ذاتي إلى الله يطلب منه الحكمة التي هو مصدرها، ويستطيع بها التحرك في هذا الواقع المعقد في السير على منهاج وطريقة الصالحين، وليبقى له الذكر الحسن واللسان الصادق في الآخرين الذي جسده في حياته ليبقى امتداده يسير في العالمين، وليمثل في المستقبل القدوة والأسوة الحسنة، وليحظى برضوان الله وجنته ورحمته ومغفرته، يوم لا ينفع مال ولا بنون ولاجاه ولا سلطة، إلا من جاء بقلب سليم تتجسد فيه كل القيم والمبادئ والأعمال السليمة والصالحة: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْخَقِيقَةَ بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاعْفُورَ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٩].

إنّ هذا النبأ والخبر المهم والأسلوب الرائع الذي جسده النبي إبراهيم في ساحات وميادين العمل والحركة في مسيرته إلى الله، ويوثقه القرآن الكريم بأحرف من نور يمثل مصدر إشعاع وإلهام، وصوت يقظة وانتباه في مسيرة الحياة وظروفها وتعقيداتها وظلماتها، وهذه المواقف التي جسدها النبي إبراهيم وقدمها لنا القرآن الكريم يتردد صداها في كل زمان ومكان، وتشرق وتضيء لتبديد كل الظلمات والحجب التي تصنعها الأهواء ويختلقها المضلون، وهذه هي الكلمة الباقية في عقب إبراهيم إلى

يوم الدين ستحدث صوتاً مدوياً وتصنع اهتزازاً قوياً أمام كل الطغاة والضالين والمضلين في كل زمان ومكان إلى آخر أيام الحياة.

٥- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

تحطيم الأصنام

٦- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَتُنْفَكُوا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْظُقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٨٣-٩٨].

تعدد مواقع ومواقف النبي إبراهيم، وتتنوع وتتطور وسائله وأساليبه، فمن أسلوب الحوار الهادئ واللطيف مع أبيه إلى أسلوب الحوار والمحااجة العقلانية والواقعية والمنطقية مع قومه، مروراً بأسلوب الخطاب والحوار المرتفع الصريح والمباشر والساخن مع أبيه وقومه، وإعلان الموقف والبراءة منهم ومما يعبدون، بما لا يخل بالتوازن وبقاء الفكرة في مسارها واطارها الصحيح وأهدافها الواضحة، فهو صاحب

القلب السليم والفكر المستنير الراجح الذي يمثل الصدق والبراءة والنقاء والطهارة في زمن مليء بالكفر والشرك والضلال، وغالباً ما يذكر النبي إبراهيم بعد النبي نوح كما سبق، وقد وصفه الله بأنه من شيعة نوح، أي: من أتباعه وأنصاره السائر على طريقته ودينه، وهذا هو التوصيف والمصطلح الصحيح للأتباع، يقال لهم (شيعة) شيعة الرجل أي: الجماعة السائرون على طريقته ودينه، ونحن لا نعرف الفاصل الزمني بين نبي الله نوح ونبي الله إبراهيم، وربما أنه لا يوجد فاصل زمني كبير بينهما، فهو كان يجسد شريعة نوح (عليهم السلام) وهكذا بالنسبة لجميع الأنبياء (عليهم السلام) يجسد كل منهما شريعة ومنهاج الآخر، كحلقة في سلسلة واحدة تمثل دين الله وشريعته ومنهاجه، وإن كان هناك بعض الإمتيازات والإختصاصات حسب طبيعة الزمان والمكان والظروف والأحداث، وصولاً إلى نبي الله الخاتم رسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يمثل ويجسد كلّ رسالات الله، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] فقد كان النبي إبراهيم هو الذي يجسد شريعة وملة نبي الله نوح، لهذا وصفه الله بأنه من شيعته، لأن هذا كما تقدم هو المصطلح الديني الصحيح الذي يسمى به اتباع الأنبياء ويطلق عليهم، وكما قال الله سبحانه وتعالى عن موسى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَمِنَ الْآيَةِ [١٥] سُوْرَةِ

القصص] فهناك الشيعة الذين هم الأتباع وهناك الطرف الآخر الذين هم الأعداء، سواء تقدم أو تأخر، وهو مصطلح يطلق بصفة عامة على الأتباع ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وفي هذه الآيات المباركة يستمر الحديث عن إبراهيم والحوار والمحااجة مع أبيه وقومه، فهو يثير الأسئلة التي يحاصروهم بها من كل مكان: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَفُنُكَا آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٧] وسيمر بنا الحديث عن بقية الآيات من سورة الصافات التي لها علاقة بهذا الموضوع فيما بعد لأن أسلوب القرآن في تناوله وتكراره للقضايا والأحداث يتنوع بين الإيجاز والتفصيل.

٧- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ هُنَا عَاطِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هُنَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَحِثِّتْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جَذَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَلَمْ أَفُكُّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ

كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا
جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿[الأنبياء: ٥١-٧٣].

تتميز شخصية النبي إبراهيم بالأسلوب الهادي والقوي في مواجهة الشرك والمشركين والبراءة منهم، بصورة مشتركة تجمع بين الدعوة والحركة، والقول والعمل، كما سبق وأن مررنا، وكما سيأتي، الذي يمثل قمة الرشد والوعي والبصيرة واليقين: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: من قبل موسى وهارون والنبي محمد الذين ذكروا قبل هذه الآية، والرشد هو: إصابة الصواب ضد الغواية، فقد أتاه الله الرشد الذي يمثل قمة النضوج والوعي الفكري والعملية، وذلك بفضل الله وعلمه ورعايته، وهذه الآية المباركة تمهد للموقف الكبير والخطير الذي اتخذه النبي إبراهيم مع الأصنام، فهو ينطلق في قيادته وحركته من موقع الرشد والحكمة والكمال، لأنّ موقع القيادة موقع مهم وحساس تترتب عليه كل الأمور، والتصرفات الإدارية والعملية في حركة الحياة، وظروف الصراع، وإيقاعات تطورات المستقبل، بما يترتب على ذلك من قضايا وتوجهات سياسية، واجتماعية، وفكرية، وثقافية، وعملية، وحركية تعطي للأمة رصدها، وبعد أن قطع النبي إبراهيم شوطاً مع أبيه وقومه في الحوار والمحااجة، والدعوة والحركة، والبلاغ والتبيين، والتحطيم الذهني والفكري والنفسي والعقائدي للأصنام، وتعريتها ونسف قداستها، وكل ما يثار حولها، وصل به المطاف أخيراً إلى محطة فاصلة ونقطة الأعودة،

فتحرك عملياً ومادياً لتحطيم الأصنام وتدميرها بيده، وهذا ما تحتمه وتفرضه عليه رسالته ومسؤوليته، لأنّ الدين ليس مجرد دعوة فقط، بل هو قول وفعل، ودعوة وحركة، وإنّ بأساليب متدرجة كما مرّ بنا، مهما كان مستوى وحجم السلطة الضاغطة سياسياً واجتماعياً، وذلك بعد مرحلة من الدعوة، والبلاغ، والتبيين، والمحااجة لأبيه وقومه كما سبق، وهم لا يمتلكون أيّ جواب مقنع، أو حجة واقعية، ففي كل مرة يتهربون من مواجهة أسئلة النبي إبراهيم والجواب عليها، ويتمسكون بالخرافة والأوهام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٧]، وهنا استخدم النبي إبراهيم منطق القوة، وقرر تحطيم وتكسير هذه الأصنام التي يتحدونها آلهة تعبد من دون الله، لأنّ مهمة رسل الله وأولياءه، والمسؤولية الدينية تقضي بضرورة وحتمية التغيير، وتطهير الأرض من الكفر والشرك، والضللال والفساد، إمّا بالقول والدعوة إنّ أمكن، وإلّا بالعمل والحركة.

لقد اتخذ النبي إبراهيم قراره الحاسم والأخير المؤكّد بالقسم بأن يحطم هذه الأصنام ويكسرها: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ ليقدم دليلاً عملياً على عجز وضعف وبطلان هذه الآلهة التي لا تستطيع أن تحمي نفسها فضلاً عن دفع الضرر وتقديم النفع لغيرها، واتخذ خطة محكمة في ظروف وأجواء مناسبة تمنحه حرية التحرك والعمل لتنفيذ ما

يريد، وذلك على ما قيل أنه في يوم عيد لهم، حيث خرجوا جميعاً مما أتاح له فرصة الإنفراد بهذه الآلهة لينفذ فيها خطته وكيدته، كما قال الله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصفات: ٨٨-٩٠] وربما أنه من خلال تطلعه في النجوم يستخدم أسلوب التمويه على قومه، حيث كانت العادة السائدة في ذلك الوقت هي قراءة الواقع من خلال النجوم، والنظر إليها، والتطلع فيها: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: معتل النفس والقلب والفؤاد بسبب ما يراه من شرك وفساد قومه، وهي حالة يعبر عنها بالسقم والمرض، وربما أنها كانت تعتريه نوبة جسدية ما، وكل هذا يمنعه من الخروج مع قومه إلى حيث يريدون: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ لم يعيروه أي انتباه، وهنا خلى له الجو لتنفيذ خطته وقراره، والوفاء بقسمه ووعدته: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ أي: تسلل إلى المعبد الذي فيه هذه الأصنام: ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ حيث كانوا قد قدموا لها في هذا اليوم أنواع القرابين والطعام الكثير المتنوع، واستمر في مخاطبتها والسخرية منها والإستهزاء بها قائلاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ لماذا أنتم جامدون وصامتون؟ لا تمتلكون حتى القدرة على الدفاع عن أنفسكم: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: مال إليها وأنهال عليها يحطمها ضرباً باليمين، تعبيراً عن القوة واستخدام الآلة القوية في ضربها وتحطيمها وتكسيرها، وهكذا تكون ضربات أنبياء الله وأولياء الله وجنود الله، ضربات قوية وقاتلة، فجعلها قطعاً متناثرة، إلا كبير هذه الآلهة وهو الصنم الأكبر، في خطة وتدبير محكم وأسلوب من أساليب التمويه الذي يقصد من خلاله لفت إنتباههم

وإثارة دفائنهم، كأسلوب لتحريك أفكارهم ولفت أنظارهم وتذكيرهم وإرشادهم في نفس الوقت، فهو هنا يعمل ويقول ويتحرك ويدعو في نفس الوقت لعلهم يهتدون، وهو بهذا الأسلوب يقودهم إلى الصدمة الفكرية التي تهز قناعتهم، ويثير الكثير من الأسئلة في قرارة أنفسهم: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلاَّ كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨] فلما رجعوا وجاءوا إلى معبدهم ليمارسوا طقوس عبادتهم المألوفة تفاجئوا بصدمة عنيفة، حيث وجدوها محطمة ما عدا الصنم الأكبر: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يتسائلون فيما بينهم، من الذي فعل هذا بالهتنا؟: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ فهو الوحيد الذي كان يتعرض لهذه الآلهة، وهو في هذه المرحلة كان في سن الفتوة والقوة (سن الشباب) وهنا يأتي الدور الفاعل والمؤثر للشباب في هذه المرحلة من الفتوة التي يكون الإنسان فيها قوياً في نفسه وبدنه قادراً على العطاء والعمل والحركة: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فجاءوا به على مشهد عام من الناس، ليألبوا وليعرضوا عليه العامة من الناس وأخذوا يوجهون إليه الإتهام: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؟ إلا أن الجواب كان مفاجئاً، ويمثل صدمة كبرى مرة أخرى، إنه أسلوب ومشهد فني رائع يصوره القرآن الكريم حتى كأنك تعيش أجواء هذا الحدث، وحاضراً في هذا الموقف، وإبراهيم هو المحاور والمجاج الكبير ينتهز الفرصة هنا مرة أخرى لعله يثير فيهم يقظة الوعي وصحوة الضمير: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، فهو الوحيد

الذي بقي بينهم سالماً، وهو كبيرهم فلماذا لا يكون هو الفاعل؟! وهذه هي الآلهة التي تعبدونها من دون الله وهي من وقع عليها الإعتداء فأسألوهم يخبروكم من الذي فعل بهم هذا إن كانوا ينطقون؟ فربما أن كبيرهم غضب عليهم، وإذا كانوا آلهة كما تعتقدون فالمفترض أن تسألوهم، ومن المفترض والطبيعي أن يجيبوا عليكم ويخبروكم، وهذا الأسلوب هو أسلوب التهكم الأبلغ في السخرية والاستهزاء، وأيضاً هذا هو الشيء المفترض والواقعي، إنها محاججة قوية أظهرت مدى ضعفهم وعجزهم، وهذا الأسلوب الإبراهيمي الرفيع يتجسد فيه قول الله: ﴿وَتَلَكَّ حُجَّتْنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [من [٨٣] سورة الأنعام]، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤].

لقد استطاع هنا فعلاً أن يكبتهم، وأن يلحق بهم الهزيمة المدوية نفسياً ومعنوياً، فأقروا بخطيئتهم وجرمهم وظلمهم لأنفسهم، وسوء وبطلان آلهتهم وعقيدتهم الخرافية وأصبحوا في موقف العجز والضعف أمام شخص واحد كان يمثل أمة: ﴿ثُمَّ نَكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ وهنا لم يكن موقفهم إلا من منطلق الجحود والنكران، بعد أن شهدوا وأقروا على أنفسهم، وسقطت كل مبرراتهم أمام الجماهير وأمام التاريخ والمستقبل، وهنا يستغل إبراهيم هذا الحدث والإهتزاز النفسي والمعنوي والفكري والعقائدي لينطلق في تذكيرهم بالله مرة أخرى، متأففاً ومتضجراً منهم ومن حالهم ووضعيتهم ومما يعبدون من دون الله: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧]، وفي سورة الصافات يقول

اللَّهُ سبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصفات: ٩٤-٩٨].

لقد ثارت فيهم ثائرة الشرك والجحود والعناد، وقرروا أن ينزلوا بإبراهيم أشد العقوبة إنتصاراً لآلهتهم المزعومة، ليحافظوا على كبريائهم الذي سقط تحت كبرياء وعزة إبراهيم، وماء وجوههم الذي أريق على يده ولسانه: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، وهكذا تكون حمية الجاهلية وعصبية الباطل، لقد انطلقوا في جريمتهم البشعة هذه من منطلق الإستضعاف لإبراهيم، ونصراً لآلهتهم كما يزعمون، وإنه لمن العيب الكبير أن تكون عصبية وحمية الجاهلية ونصر الآلهة الخرافية في نفوس الضالين أقوى من حمية الدين وغيره الإسلام، لقد تكرر هذا المنطق مرة أخرى من قبل مشركي مكة وكفار قريش مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٤-٦]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢]، وتأمروا كذلك على قتل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِطُوا يَدَهُمْ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِبُوا جُودَكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَأْكُرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] لقد تشابهت قلوبهم وأعمالهم، فالكفر والضلال ملة وطريقة واحدة، وإن اختلف الزمان والمكان.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه)

"هذا الموضوع طرحناه سابقاً وقلنا أنه من العجيب أن نكون نحن المسلمين من لدينا كتاب الله سبحانه وتعالى هذا الدين العظيم دين الإسلام ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم لا يحصل لدينا حماية لهذا القرآن ولذلك النبي العظيم ولهذا الدين العظيم مثل ما كان يحصل عند بعض عبّاد الأصنام، ذكرنا لكم قصة قوم إبراهيم عندما كان يسرح^(١) كل واحد منهم يقطع حطباً حتى جمعوا جبلاً من الحطب... اهتمام، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨] ليس الوقت وقت نوم الأصنام في خطر، وهم منذ لحظات رأوا أصنامهم محطمة.

كذلك هؤلاء في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢] لو لم نقف وقفة رجال عندها لكسرها ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: من الآية ٦] امشوا، تحركوا، واصبروا على الآلهة، جاهدوا في سبيلها، كافحوا في سبيلها، لا تتركوها تتعرض لأي كلام يصرف الناس عن عبادتها، وهي أنها أحجار مركزة أو أخشاب مركزة مالها قيمة، فكيف بالمسلمين وإلههم رب العالمين الذي سيقف معهم إذا وقفوا، سينصرهم إذا نصرهم، سيضربهم إذا توانوا"^(٢).

إنّ هذا المنطق والعمل الذي قاله وقام به قوم إبراهيم هو منطق الطفاة والجبايرة في كل زمان ومكان، وإن اختلفت الأسماء والعناوين،

(١) أي: يذهب.

(٢) دروس من هدي القرآن الكريم، سورة المائدة، الدرس الثاني..

يواجهون قوة الحق والآيات البينات بلغة التهديد والوعيد ومنطق الحديد والنار، وهذه الصورة جلية وواضحة في عصرنا الحاضر، إنَّ قرار إحراق إبراهيم بالنار هو قرار إعلان الحرب عليه، والحرب هي جزء من النار، وإن اختلفت الوسائل والأدوات، فالمدافع والدبابات، والصواريخ والطائرات، والنار والتهديد بالأسلحة النووية والذرية التي تستخدمها أمريكا وإسرائيل ويستخدمها عملائهم في مواجهة المؤمنين كلها واحدة، هدفها القتل والتعذيب، وهكذا يبقى الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والخير والشر في صراع دائم كلاً له امتداده وممثليه وإن اختلفت الوسائل والادوات.

لقد شهد الكون والعالم في ذلك اليوم الذي قرروا فيه إحراق نبي الله إبراهيم حدثاً رهيباً تهتز له السماوات والأرض، حيث بنو بنياناً كبيراً، وجمعوا له الحطب من كل مكان، ثمَّ أضرموه ناراً لدرجة أنَّهم لم يستطيعوا أن يلقوا بإبراهيم فيها إلا بالمنجنيق، وفي هذه اللحظات حيث خضع وسكن العالم تدخلت القدرة الإلهية، وحلت الرعاية الربانية وجاء أمر الله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، وفي لمح البصر وبأمر من الله عز وجل تحولت النار في فعل خارق للعادة برداً وسلاماً على إبراهيم، إنَّ هذا يعطينا الأمل الكبير والثقة القوية بالله سبحانه وتعالى في رعايته لأوليائه والمجاهدين في سبيله، وقدرته المطلقة على صناعة المتغيرات، وإحداث التحولات لصالح عباده المؤمنين، مهما كان حجم التحديات والأخطار، فالذي أطفأ هذه النار التي بنى لها البنيان

العظيم، وأعد لها الإعداد الكبير، وحولها برداً وسلاماً على إبراهيم وأبطل مفعولها، وتحولت في ذاتها هي برداً وسلاماً على نبيه وخليله وأنجاه منها، هو القادر على إبطال مفعول سلاح أعدائه في كل زمان ومكان، وتحقيق النجاة لعبادة المؤمنين الصادقين المخلصين، وإنجاز وعده وإنفاذ أمره، وفي هذا الموقف درس وعبره وآية لنا في هذا الزمان.

لقد نجى الله نبيه إبراهيم ولوطاً إلى الأرض المقدسة التي بارك الله فيها للعالمين، وهي أرض الشام (فلسطين) التي هاجر إليها إبراهيم الخليل بعد هذا الموقف، ووهب له الذرية الصالحة نافلة منه، بما يعني الهبة والهدية والعطية الإلهية التي تعبر عن محبته ورعايته وإكرامه له، وجعلهم أنبياء وأئمة يهدون بأمره ويدعون إليه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢، ٧٣].

النبي إبراهيم (ع) القدوة والأسوة الحسنة

من خلال ما سبق وما سيأتي تتضح لنا الصورة أكثر عن النبي إبراهيم بما مثله وجسده من قيم، ومبادئ، ومواقف، لا نظير لها، جعلته في موقع الإمام القائد، والقدوة الحسنة لكل الناس، فالملّة هي ملّة إبراهيم، والطريقة هي طريقته، فقد تجلّت في حركته ومسيرته العملية المواقف العظيمة، وفي مقدمتها منابذة المشركين والبراءة منهم، وصولاً إلى تحطيم وتدمير الأصنام دون أن يتأثر بالأجواء والظروف الضاغطة، وموقف السلطة والنظام الحاكم، ولا بموروث الآباء والأجداد، والعادات

والتقاليد، ولا بروابط النسب وصلة القرابة، فقد كان موقفه صريحاً وواضحاً مع الجميع وفي المقدمة والده الذي تبرأ منه عندما تبين له أنه عدوٌ لله، مروراً بالهجرة إلى الله، وبناء البيت، والأذان في الناس بالحج، والتسليم الكامل والمطلق لله.

إنّ وقوفنا في هذا البحث أمام كلّ هذه المحطات التي عرضها القرآن الكريم وسردها بأسلوبه البديع والمؤثر عن النبي إبراهيم، واستعراضنا لها يرسّخ في أنفسنا ومشاعرنا وأفكارنا قيمة وأهمية هذا النبي القائد الكبير، الذي شكّل أمة بمفرده في مرحلة استثنائية، وظروف سياسية واجتماعية صعبة جداً ومعقدة للغاية، وهذا يجعلنا أولاً نعي وندرك ماذا تعني القدوة والأسوة في مسيرة الحركة والعمل واتجاهات الحياة وضغوطها؟ ولماذا كان النبي إبراهيم هو القدوة والأسوة الحسنة لكل السائرين في طريق وحركة الرسالة؟ وثانياً: يؤهلنا هذا للإتباع والتأسي والإقتداء، ومعرفة كيف نتأسي ونقتدي؟ وبماذا نتأسي ونقتدي؟ وبمن نتأسي ونقتدي؟ إذ لا يمكن تحقيق ذلك في واقع العمل إلا من خلال معرفتنا بالمتأسي به - النبي إبراهيم - ومعرفة وضعيته وظروف وأجواء وطبيعة حركته ومواقفه التي تتصل بها ظروفنا، وأوضاعنا، وبيئتنا، ومواقفنا قطعاً، فنقف معه في نفس الطريق، ونلتقي به في نفس الخط قدوة وأسوة حسنة غني وثري بالتجارب الحية الخالدة، والدروس والعبر.

٨- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ

وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا ينهاكمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلوكمُ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكمُ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ينهاكمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلوكمُ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكمُ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿الممتحنة: ٤-٩﴾.

هذه الآيات المباركات تؤكد على التآسي والإقتداء بالنبي إبراهيم في موضوع مهم جداً، هو موضوع الموالاتة والمعاداة، والبراءة من المشركين، وهذا الموضوع بطبيعته موضوع حيوي ومتحرك يمثل محور الصراع في كل زمان ومكان، وبالتأكيد أن هذه الآيات لم تأت إلا في مرحلة متأخرة في مسيرة الإسلام، حيث وردت في سورة (الممتحنة) وهي سورة مدنيّة، بعد أن كان القرآن قد عرض في مواضع متعددة منه قصة ومواقف النبي إبراهيم مع قومه وبراءته منهم ومما يعبدون من دون الله في سورة المكية، وهذه الآيات سبقتها آيات ساخنة تتحدث عن موضوع الموالاتة والمعاداة، ونحن نستعرضها هنا:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا

بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا
أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَتَفَقَّهُوكُمْ
يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ
تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿الممتحنة: ١-٣﴾، فهذه السورة في موضوعها تتحدث عن قضية الموالاتة

والمعاداة، وتوجه تحذيراً شديداً للهجة للمؤمنين من الوقوع في موالاتة أعداء الله، وهذه الآيات لها قصة ذكرت في أسباب النزول وذلك عندما قرّر النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) مهاجمة مكة وفتحها، وذلك بعد أن نكث المشركون الإتفاق، وغدروا بمجموعة من المؤمنين وقتلوهم، ووضع رسول الله ترتيبات دقيقة، وخطة محكمة وسرية تمكنه من فتح مكة ودخولها بدون قتال وإراقة دماء، نظراً لحرمة الكعبة، مع أنّ الله كان قد أباحها له ساعة من نهار، ولكن رسول الله كقائد حكيم رسم لها خطة حكيمة، ووضع لها ترتيبات دقيقة جداً مكنته من فتحها ودخولها، وتفادي وقوع القتال، وإراقة الدماء، حيث روي أنّ (حاطب بن أبي بلتعه) حين علم بهذا كتب كتاباً سرياً إلى أهل مكة يخبرهم فيه بقرار النبي مباغتتهم بالهجوم، فنزل جبريل وأخبر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بما كان من حاطب، وأنّ الكتاب الذي أرسله إلى بعض المشركين في مكة مع (الضّعينة) فأرسل رسول الله الإمام علي والزبير والمقداد فلحقوا بها في (روضة خاخ) موضع في طريق مكة، وأخذوا منها الكتاب، وعادوا إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وسلموه الكتاب، فدعا رسول الله

حاطب وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله هؤلاء المهاجرون كلهم معهم قرابات يحمون بيوتهم وأهلهم، وأنا أهلي هناك ليس معهم من يحميهم فأردت أن أتخذ يداً عند قريش، فنزلت هذه السورة تحذر وتنتهي عن موالات أعداء الله وأعداء المسلمين، وإلقاء المودة إليهم وإسرارها، ويذكر الله فيها التأسى بالنبي إبراهيم والذين معه، فيقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة:٤]، حيث تجسّد شخصية النبي إبراهيم والذين معه القدوة والأسوة الحسنة في البراءة من قومهم المشركين، وما يعبدون من دون الله، وهذا الموقف لا يخضع لأي مؤثرات، أو صلات عائلية ومادية، ولا عشائرية، أو وطنية، أو قومية فالموضوع هو موضوع عقائدي، تربطه الروابط الدينية والإسلامية ويخضع لها ولتوجيهاتها، ويتطلب الكفر بأعداء الله وإظهار وإعلان العداوة والبغضاء لهم حتى يؤمنوا بالله وحده، فلا بد من إظهار وإعلان العداوة والبغضاء لأعداء الله وترجمتها إلى مواقف عملية في مسيرة العمل والحركة، فلا ينفع أن يقول الإنسان أنا أكرههم وأبغضهم بقلبي، إذ لابد من إعلان وإظهار العداوة والبغضاء لأعداء الله والكفر بهم أي: الرفض لهم، كما تنص عليه هذه الآية حيث عبر عنها بقوله: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾، أي: بصورة مستمرة

ودائمة حتى يؤمنوا بالله وحده لا يشركوا به شيئاً، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وهذا يسمى بالإستثناء المنقطع لأنه لم يكن إلا عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وهنا ينطلق النبي إبراهيم من منطلق التوكل على الله، والإنابة إليه، والثقة المطلقة به، لأنَّ الإنطلاقة العملية في تبني المواقف العملية والحركية يحتاج فيها الإنسان إلى الإستعانة بالله، والتوكل عليه، والثقة به في مواجهة كلِّ التحديات، والصَّعاب، والمعاناة، والضغط في طريق الجهاد والعمل والحركة في سبيل الله، فلا ينطلق الإنسان بمفرده وهو يغفل عن الإرتباط المستمر بالله، وطلب العون والتوفيق والهداية منه، حتى يتمكن من القيام بدوره وأداء مسؤوليته، فالله سبحانه وتعالى هو المعين والهادي والناصر، ودعائه والإبتهال إليه يكون في هذه المواطن، فأنت في مواقفك بحاجة إلى رعاية الله المستمرة، حتى لا تتعثر وتسقط في الطريق، ويفتك الذين كفروا، وتحتاج في نفس الوقت إلى طلب المغفرة من الله العزيز الحكيم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المتحنة:٥].

ويؤكد القرآن الكريم مجدداً على ضرورة التأسى والإقتداء بالنبي إبراهيم والذين معه لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة:٦]، ومن يتولى ويعرض عن التأسى والإقتداء بهم فإنَّ الله غني حميد، وهذا يعتبر تهديد من قبل الله للمعرضين، ولأنَّ مسيرة

الهداية وحركة الدين تسيير بشكل طويل ومستمر، وعندما ينطلق الإنسان في عداوته لأعداء الله متجرداً من كل المؤثرات والرغبات حتى ولو خسر وضحى بأرضه وماله وأهله في سبيل الله فإن الأمور كلها بيد الله عز وجل، فعسى أن تحصل المتغيرات في مسيرة وحركة الدين يوماً من الأيام، وتتبدل وتتغير المواقف بتبدل وتغير مواقف وعقائد الطرف الآخر فيهتدي، لا بتغير الزمان والمكان والظروف والأحداث: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَادْتُمْ مِنْهُمْ مودةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧]، ولأنها ليست عداوة شخصية، ولا مواقف ذاتية، ولا أحقاد وضغائن، بل ينطلق الإنسان في مواقفه من أجل الله وفي سبيل الله متجرداً من كل هذه الأمور والقضايا الشخصية، فيكون موقفه تبعاً لموقف الدين وإرادة الله، ولما هم عليه من أعمال وسوء وضلال، ويرسم الله طبيعة العلاقة والمعاملة مع أعدائه بإعتبارهم فتنين فئة محاربة وفئة مسالمة، ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، فهو هنا يرسم ويضع طرق وقواعد المعاملة مع هذا الطرف القائمة على البر والقسط، لأنها ليست عداوة شخصية كما سبق، فتكون المعاملة مع هذا الطرف قائمة على أساس البر، والخير، والعدل، والإحسان، وذلك لا يعني المودة والموالاتة، وهذه الطريقة قد تكون أبلغ في التعامل مع هذا الطرف والتأثير عليه، نظراً لطبيعة الموقف السلمي والغير عدائي، إنَّ الله يحب المقسطين: العادلين المتوازنين في طبيعة علاقتهم ومواقفهم وفقاً للشريعة الإسلامية، والتعليمات

والتوجيهات الإلهية، ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٩]، فالذين قاتلوكم في الدين، ويقاتلونكم على دينكم ليصدوكم عنه، ويفتنوكم في دينكم، ويردوكم كافرين، وأخرجوكم من دياركم بغياً وظلماً وعدواناً، وظاهروا على إخراجكم، بأن شكلوا التحالفات ضدكم والتعاون عليكم بما يحملونه لكم من عداوة وبغضاء، ويسعون جاهدين لضربكم وتدمير قواعد وأسس الإيمان، والعمل والحركة في سبيل الله، يعتبر التولي لهم انحراف عن الدين، وظلم كبير للنفس والإسلام والمسلمين، ويختم الله هذه السورة بتحذير المؤمنين ونهيهم مرة أخرى عن تولي أعدائه، وأعداء دينه بشكل عام الذين قد باءوا بغضب الله وسخطه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣].

إنّ هذه السورة وهذه الآيات تدل على أهمية وضرورة البراءة من أعداء الله بشكل عام، وإظهار العداوة لهم ومقاطعتهم المقاطعة الشاملة الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والإقتصادية، وترسم طبيعة العلاقة ومستوياتها ومستقبلها مع كل الفئات، والمجتمعات، والكيانات، والأنظمة ممن هم في خانة أعداء الله وأعداء دينه ورسوله والمؤمنين على النحو التالي:

١- طبيعة وشكل ومستقبل العلاقات الدولية والإقليمية ثقافياً، وسياسياً، ودبلوماسياً، وإقتصادياً مع الدول، والحكومات، والأنظمة المعادية.

- ٢- طبيعة وشكل ومستقبل العلاقات الإجتماعية ثقافياً، وسياسياً، ودبلوماسياً، وإقتصادياً، واجتماعياً مع الشعوب، والمجتمعات، والفئات، والكيانات المعادية.
- ٣- طبيعة وشكل ومستقبل العلاقة الفردية مع ذوي القربى، والأنساب، والأرحام، والأصدقاء.

إنّ المقاطعة الإقتصادية للبضائع الأمريكية والإسرائيلية في العصر الحاضر موقف ثابت يفرضه الإسلام ويأمر به الله عز وجل بإعتبارهم يمثلون (أئمة الكفر) في العصر الحاضر، ورأس حربة العداة للإسلام والمسلمين، وكذلك إعلان البراءة منهم، ومن اليهود ولعنهم يمثل الموقف الإبراهيمي والديني الصادق، وشعار: (**الله أكبر، الموت لأمریکا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام**) يعبر عن موقف البراءة منهم، وإظهار وإعلان العداوة والبغضاء لهم، كما سبق وأن مرّ بنا، فلعنهم، والعداوة لهم، والبراءة منهم قضية دينية ثابتة.

٩- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

إنّ الجهاد في سبيل الله الذي يعني: بذل الجهد في كلّ ميادين ومجالات العمل لإعلاء كلمة الله، ونصر دينه، والمستضعفين من عباده، وقتال ومحاربة

أعدائه، وجهاد ومنايذة المشركين الظالمين، وكل أعداء الله، والبراءة منهم، وإظهار العداوة والبغضاء لهم، هو المنهج والطريق الصحيح الذي يعبر عن ملة النبي إبراهيم، وكلمته الباقية في عقبه، التي جسدها وحملها رسول الله وآل بيته الهداه (صلوات الله عليه وعليهم) الذين هم من عقب إبراهيم، ويمثل الشهادة على عظمة دين الله وكماله، وهذا يتطلب الإلتزام الصادق، والإيمان الواعي، والمحافظة على شرائع الدين، والإعتصام بالله، وتوليئه التولي الصادق والخالص وحده لا شريك له.

١٠- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

(٣)

كرم وحلم النبي إبراهيم (ع)

تكرر كثيراً ذكر نبي الله إبراهيم في القرآن الكريم حيث ذكر أكثر من ستين مرة، وتكرر ذكر صور ومشاهد من مواقفه العملية والإيمانية بأسلوب رائع وجذاب يعرضه ويقدمه القرآن الكريم في كثير من السور والآيات، فالحديث عن إبراهيم هو حديث عن الدين والإيمان والإسلام والقيم والمبادئ العظيمة كمثل أعلى ورمز كبير يقتدي به الأنبياء، وتتأسى به الأمم والأجيال من بعده، وفي هذه الآيات من سورة هود، والذاريات، والحجر يعرض لنا القرآن الكريم ويقدم بأسلوبه الآخذ والجذاب قصة نبيه إبراهيم مع الملائكة، عندما زاروه لإبلاغه بأمر الله في إهلاك قوم لوط، الذين طغوا وأفسدوا في الحياة، وتمردوا على الله وعلى نبيه، وليبشروه بغلام عليم، هو نبي الله إسحاق (صلوات الله عليهم أجمعين).

١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٦٩-٧٦].

٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَنِيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ
فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ *
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴾ [الذاريات: ٢٤-٣٧].

٣- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ تَبَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * وَنَبِّئُهُمْ عَن
صَنِيفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا
بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ *
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا
لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [الحجر: ٤٩-٦٠].

يعرض الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات المباركات حديث وحوار إبراهيم مع ضيوفه المكرمين الذين هم من الملائكة، ويأمر الله النبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أن ينبئ عباده ويخبرهم بهذه القصة التي تعرض روحية ونفسية نبيه إبراهيم وكرمه وحلمه، والموقف العام لهذه

الأسرة الكريمة المؤمنة التي تمثلت فيه وفي زوجته، ويعرض أمر الله وقدرته وتدخله حتى في الأمور الصعبة والمستحيلة، عندما جاءه الملائكة رسلاً من الله يبشروه بغلام عليم وبهلاك قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ دخل عليه رسل الله الملائكة بالسلام والتحية، فقابلهم بالسلام والترحاب والإكرام، وبادر إلى تقديم الطعام إليهم بشكل سريع ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: أسرع إليهم بعجل مشوي كراماً وضيافة، وهذه عادة كريمة وأصيلة في استقبال الضيف، مبادرته وإكرامه بالطعام قبل أي شيء آخر، كما قال حاتم الطائي:

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً رَشِدَتْ ولم أقعد إليه أسأله
فأطعمته من كبدها وسنامها شِوَاءً وخير البر ما هو عاجله

وفي سورة الذاريات يقول الله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٦، ٢٧] أي: إنسل إلى أهله وجاء مسرعاً بعجل سمين حنيد، أي: مشوي.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ عندما رآهم امتنعوا عن الأكل في موقف مخالف للعادة والمألوف، نكرهم وأوجس منهم خيفة، واعتراه القلق في داخله نظراً لغموض الموقف، ولما لمس الملائكة منه ذلك: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ [مرد: ٧٠] فأخبروه بأنهم جاءوا للقيام بمهمة إلهية تستهدف إهلاك قوم لوط بالطريقة التي أمرهم الله سبحانه وتعالى بها، حيث فصلها الله في سورة الذاريات بقوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ

عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿الذاريات: ٣١-٣٧﴾.

وهذا الملائكة من روعه: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣] فعرف أنهم ملائكة الله ورسله، وأنس بهم، وأطمئن إليهم، وأخذ يجاذبهم الحديث متسائلاً كيف يكون ذلك، وهو شيخ كبير طاعن في السن لم يعد لديه القدرة على الإنجاب؟: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ تَبَشُّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٤-٥٦] وفي هذه اللحظات التي كان يتجاذب فيها الحديث مع الملائكة كانت امرأته قائمة تستمع لهذا الحوار الدائر بين زوجها، وبين هؤلاء الضيوف ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [الحجر: ٧١] وأمام هذه البشرية المزدوجة التي توحى باستمرار النسل والذرية - وحيث يأتي التدخل الإلهي في الأوقات والظروف الحرجة - أقبلت امرأته في صرة أي: صيحة، وصكت وجهها أي: ضربت بيديها على وجهها تكتنفها الدهشة والإستغراب المصحوب بالضحك سروراً وابتهاجاً بهذه البشرية العظيمة: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]، وهذه هي البشرية الثانية بالنبي إسحاق بعد البشرية الأولى التي بشر بها على الكبر بولده إسماعيل، ولكن هذا أمر الله الذي لا يعجزه شيء، والقادر على كل شيء، وهذه هي رعايته الخاصة التي تتدفق على أوليائه حتى في أصعب

الظروف وأحلك المواقف: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢] فهي امرأة عجوز قد بلغت سنّاً متقدماً في العمر، وعقيمٌ أيضاً لم تنجب وهي في سن الشباب والحمل: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ وزوجها أيضاً شيخٌ كبير طاعن في السن ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ شيءٌ عجيب، وأمرٌ خارقٌ للعادة مخالفٌ للسنة التي اعتاد عليها الناس في حياتهم، ولكنّ الأمور كلها بيد الله لا تتوقف على الأسباب والمسببات فقط، والحياة طبيعتها وقوانينها وسننها وعاداتها بيد الله الذي يفتح أبواباً كبيرة للأمل والفرج ويخلق المتغيرات: ﴿قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] فلا داعي للعجب والإستغراب أمام أمر الله: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٣٠] فهو الحكيم العليم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فليس عجباً أن ينالكم الخير الخارق للعادة بفضل الله الحميد المجيد، فقد أفاض الله رحمته وبركاته عليكم أهل البيت سابقاً ولاحقاً، وحاضراً ومستقبلاً، ورحمة الله وبركاته عندما تنطلق وتغمر الإنسان في الحياة فإنها تفتح له كلّ الأبواب، وتيسر له كل أمر عسير، وتأتي إليه بالعجائب، فقد اختصكم الله برحمته وبركاته: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ واسع الحمد، والمجد، والجود، والكرم، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤، ٧٥] فلما عرف أنّهم رسل الله وملائكته جاءوا يرفون إليه البشرى اطمئن إليهم، وشعر بالراحة والسكينة، فهم رسل الله وملائكته المقربين جاءوا إليه ببشارة

الوليد المرتقب "إسحاق" والحفيد المؤمل "يعقوب"، أخذ يجادل في قوم لوط، وذلك نظراً لما يملكه من مؤهلات الحلم، الجِد، والعمل، والإستمرار دون يأس، أو كللٍ، أو ملل، فهو لا يزال يحمل الأمل بهدايتهم في المستقبل، ولا يستعجل إنزال أمر العقوبة بهم، وهذا يوحي بأهمية العمل مع الناس والحركة في أوساطهم والدعوة لهم بكل جد واستمرارية، فإبراهيم رجل حليم لا يعجل في العقوبة والانتقام، أوّاه: كثير التأوه حزناً على الناس، وعلى ما يحيط به ويشاهده من انحراف وفساد، وهذه صفة بارزة في أنبياء الله، منيب: راجع إلى الله في كل أحواله وأموره، ولكنّ أمر الله بإهلاك قوم لوط قد وجب ونزل بهم، ولا يمكن رده، أو تأخيره، أو تأجيله فالأمور قد حسمت تماماً من قبل الله الذي لا راد لأمره، فلم يعد هناك أي مجال لأن يتركوا، فقد استنفذ لوط معهم كل الوسائل، وهم إنّما يزدادون تمرداً وطغياناً، وجاء أمر الله لنبيه إبراهيم بالإعراض عن هذا الأمر فلا راد لأمر الله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦].

(٤)

إرتباط الحج بالنبي إبراهيم (ع)

إرتبط الحج منذ القدم بالنبي إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) باعتباره المؤسس الأول للحج إلى الكعبة البيت الحرام، فهو أوّل من وضع قواعده، وأسس بنيانه، وشيّد معالمه بأمر وتهيئة من الله سبحانه وتعالى، واختيار لنفس المكان كما سيمر بنا في سياق الآيات التي سنستعرضها خلال هذا الموضوع، وهو أوّل من أذن في النَّاس بالحج بأمر من الله سبحانه وتعالى بعد أن أتمّ بناء البيت كأوّل بيت وضع للناس، يقصدونه ويؤمونه إلى آخر أيام الدنيا، وفرض الله على الناس جميعاً حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين.

هذا البيت الذي شيّد وأسس على الطهارة منذ يومه الأوّل، والدعوة إليه قائمة في الناس منذ الأذان الأوّل فيهم بالحج من قبل النبي إبراهيم توارثته الأجيال والأمم كعلم ديني وإسلامي ثابت على مر العصور، ومع كل الأنبياء والرسل والرسالات، باعتباره يمثل بيت الله في الأرض، وقبلة العبادة أمناً مؤمناً، وحرماً محرماً بأمن الله وحرمة وأمره، ضمن أسس وقواعد تشريعية، ومناسك حنيفية ثابتة تصون هذه المؤسسة الدينية المهمة التي جعل الله فيها آية بيّنة، ومصلاً قائماً هو مقام نبيه إبراهيم الخليل، ليبقى الإرتباط بالنبي إبراهيم واضحاً ومحسوساً للعالمين، ومعلماً أثرياً وعبادياً للناس يدل على الإرتباط الوثيق بين الكعبة البيت الحرام، والنبي إبراهيم، وملته الإسلامية الحنيفية التي جعلها الله الملة الخالدة والثابتة إلى آخر أيام الدنيا، وأوحى إلى جميع أنبيائه ورسله من بعد النبي إبراهيم ومن ذريته بما فيهم النبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) باتباع هذه الملة كما سيمر بنا في الآيات المباركات.

١ - يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٤-١٢٩].

أبتلى الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم بكلمات فأتمهن، ومن أبرز هذا الإبتلاء وهذه الكلمات ابتلائه بذبح ولده "إسماعيل" حيث وصفه الله بالإبتلاء العظيم، بعد أن عرض هذه القصة ووصفها بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصفات: ١٠٦] ونجح النبي إبراهيم في هذا الإبتلاء العظيم، وغيره من الكلمات التي ابتلاه الله بها ولا نعلمها، وتجلت من خلالها عظمة شخصيته، وسمو روحه ونفسيته، وكمال إيمانه باللَّه وطاعته، وتعبيد نفسه وخضوعه وتسليمه المطلق له، وقوة معرفته وارتباطه باللَّه عز وجل، حتى جعله الله للنَّاس إماماً، فهو لم يكن نبياً لقطر، أو بلد، أو زمن معين، أو منطقة محدودة، بل جعله الله إماماً للنَّاس من بعده وإلى أن تقوم الساعة، وجعل النبوة والإمامة في ذريته.

لقد عهد الله إلى نبيه إبراهيم وولده إسماعيل بتطهير بيته للطائفين، والعاكفين، والقائمين، والركع السجود، وهذه هي المهمة الرئيسية والأساسية للقائمين على البيت تطهيره من كل الأرجاس، والأنجاس، والأوثان، والأعمال الضالة والمنحرفة والسيئة مادياً ومعنوياً، ليبقى ساحة طاهرة، وبيئة نظيفةً للطائفين، أي: الطائفين به، والعاكفين، أي: المعتكفين والقائمين فيه، والركع السجود، أي: الراكعين والساجدين لله في فناء البيت ومحيطه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] فالجانب الأمني يعتبر من أهم الجوانب التي لا يقوم الحجّ إلّا بها، ويجب أن تتوفر فيه، ومن مهام القائمين عليه، بالشكل الذي يخدم الحجيج ويوفر لهم الأمن والسّلامة بعيداً عن الإستخدام والإستغلال والتوظيف السلبي لهذه الخدمة بما يؤثر على حرية الحجّ وأجوائه، وحركة الحجيج، وقد جعله الله بلداً ومكاناً وبيتاً آمناً للناس يأمنون فيه على حياتهم وأغراضهم، وتتوافر فيه نعمة الأمن، ونعمة الإقتصاد بما يحافظ على حياة قاصديه وأمنهم وسلامتهم، ويضمن سلامه قيامه بدوره ومهمته كما سيمر بنا في موضوع الجانب الأمني في الحج، بحيث تبقى أجوائه وطرقه ومسالكه ومحيطه حرّة آمنة، لا كما يفعل النظام السعودي من أعمال وممارسات، ويتخذ من إجراءات ضاغطة على الحجاج، وما يتعرضون له من مضايقات مالية خانقة، وتهديدات أمنية حتى أنّ الحاج والقاصد لبيت الله لا يضمن أدائه

لمناسكه وشعائره وعودته إلى أهله وبلده بأمان، ولا أهله كذلك، حيث تحولت إجراءات وأجواء الحج إلى خوف ورعب على يد النظام السعودي والوهابيين، وهذا مالم يكن يفعله المشركون قبل الإسلام حيث كانوا يحفظون حرمة الحجيج ويخدمونهم، ومنهم من يهشم ويثرد اللحم مع الخبز للحجاج.

لقد كانت هذه الجوانب الأمنية والاقتصادية محط اهتمام كبير من قبل النبي إبراهيم (عليه السلام) أن يلحظ الجانب الأمني والاقتصادي لوضع البيت ومحيطه وساكنين فيه، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا البلد كذلك، وجعله قياماً للناس كما يقول الله سبحانه: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيُبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧] تقوم بها حياتهم، ومعيشتهم، ودينهم، ففيما يتعلق بالمكان جعل الله هذا البلد بلداً آمناً، وفيما يتعلق بالزمان جعل الله الأشهر الحرم آمنة، حتى يكون هناك أماكن وأوقات يأمن البشر فيها، حتى لا يتهاكون بسبب الصراع في كل زمان ومكان، وقد جعل الله سبحانه وتعالى الحجّ في أشهر معلومات، وأيام معدودات، وحرّم فيه كل ما يؤدي إلى التأثير على أجواء الحج، ويوتر الأوضاع بين الحجاج، ويؤثر على علاقتهم ببعضهم البعض، وعلى مواقف الأمة ووحدتها، وحرّم وحظر عليهم أشياء كثيرة فلا رفث، ولا فسوق، ولا جدال في الحج، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧]، فنهى عن الرفث بكل أنواعه سواء كان بالقول السيئ، أو بالسلوك السيئ، كالكلام الفاحش، أو التلفت إلى النساء الحاجات، فهذا كله يدخل ضمن الرفث، ولا فسوق في الحج، وهو: الخروج عن تعاليم وآداب الحج وأخلاق الإسلام، ولا جدال في الحج، حتى الجدال ممنوع في الحج سواء ما كان شخصياً، أو سياسياً، أو مذهبياً، وغيره من كل أنواع الجدال والمخاصمة والمجادلة التي تعكّر صفو الحج، وتؤثر على أهدافه ومقاصده، إلا إذا كان هناك حوار متبادل بتفاهم وأدب واحترام ولطف على أساس طرح قضايا معينة، أو توجيه للناس وتذكيرهم بما يجب أن يعملوه، أو بخطورة العدو الذي يتوجه ضدهم، أمّا كل ما يؤدي إلى الشقاق والجدال والكلام البذيء فكله ممنوع ومنهي عنه.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ لا يصح إلا فيها.. لا يصح إلا فيها. لأنه لو اجزأ الحج بالنسبة لوقته، معناه: تبطل الغاية العظيمة من وراء تشريعه: يمثل ملتقاً واحداً للمسلمين في وقت واحد، وأيام معدودة معينة، الأيام المعدودات: هي أيام منى، أيام التشريق.

لأهمية الحج فيما يتعلق بالناس يحظر عليهم أشياء كثيرة مما قد تثير شقاق فيما بينهم، الكلام السيئ، الكلام الذي يعتبر رفث، الرفث بأنواعه، الرفث سواء كان بكلام سيئ، أو بالتلفت للنساء الحاجات، هذا كله يدخل ضمن الرفث. ﴿وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحُجِّ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧]،

ولا جدال، ممنوع الجدل في الحج، إلا إذا كان هناك حوار متبادل، طرح قضايا معينة، أو توجيه للناس، تذكيرهم بما يجب أن يعملوه، تذكيرهم بخطورة العدو الذي يتوجه ضدهم، وأشياء من هذه، تذكير الناس بالله، ذكر لله، يتجنبون الأشياء التي تثير الشقاق فيما بينهم، الجدل، الكلام البذيء، سواء الحجاج من بلد واحد، وهم في سيارة واحدة أو مع أي حجاج آخرين، مع أي حجاج آخرين مهما كانوا من طوائف أخرى، لا تدخل معهم في جدال، حاول أن لا تدخل في جدال نهائياً لو حاول هو، ذكره بأن هذا المكان ليس مقام جدال. شخص آخر جاءت منه كلمة بذيئة، ذكره، تقول له: لو أننا في البلاد يمكن أن أجوب عليك لكن هذا المقام ليس مقام كذا، استح من الله، اتق الله، لتبقى الأجواء فيما بين الحجاج من أي بلد كانوا، وحتى من أي طوائف كانوا، تبقى أجواء صالحة للتفاهم فيما بينهم، لتذكير بعضهم بعض بالقضايا التي يجب أن يهتموا بها جميعاً^(١).

من خلال الآيات السابقة التي تتحدث عن ابتلاء الله لنبيّه إبراهيم، وانطلاقه بصحبة ولده إسماعيل في عمارة البيت الحرام، ووضع قواعده، تتجلى بوضوح هذه العظمة والمنزلة والكرامة التي حظي بها النبي إبراهيم في الدنيا والآخرة، وكيف كانت مشاعره وروحانيته ونفسيته أثناء قيامه وولده إسماعيل برفع القواعد من البيت، وما يحمله من مشاعر الإخلاص والذوبان في الله سبحانه وتعالى وتطلعه إلى مستقبل إسلامي

(١) دروس رمضان، الدرس التاسع، سورة البقرة.

للناس ولذريته من بعده على يد رسول الله الذي يحافظ على هذه الملة الحنيفة فيهم، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويتطلع إلى قيام أمة مسلمة لله وحده لا شريك له.

وحول هذه الآيات المباركات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] الكلام عن إبراهيم، إبراهيم باعتباره الشخص الذي يلتقي عليه الكل في تعظيمه، والذي يدعي كل من اليهود والنصارى بأنهم أولى به، قال في آية أخرى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: من الآية ٦٨] إذاً سيعرض فيما يتعلق بنبي الله إبراهيم لهذا الإعتبار، باعتبارها قضية مساعدة إذا كان بنوا إسرائيل سيتذكرون فضل الله ونعمته عليهم، ويذكرون أن هذا هو أبوهم الأول، وهذا مما يدفعك إلى نوع تذكر: أن يذكر لك تاريخ جدك الأعلى الفاضل الذي كان على هذا النحو؛ لتقارن من خلال عرض نفسيته، عرض اهتماماته، عرض رؤيته هو الدينية بالنسبة للدين، رؤيته بالنسبة للأمة، اهتمامه بالأجيال من بعده لتقارن بين وضعيته وبين وضعيتك أنت عسى أن تهتدي.

هذه قضية الناس يستخدمونها يقولون: [لاحظ أبوك كانه كذا وكذا، جدك كانه كذا كذا كذا...] ألست تعرض عليه كثيراً من القيم الفاضلة التي كان يتحلّى بها جده؟ من أجل يتبعه من خلال المقارنة بين واقعه وواقع جده عسى أن يرجع إلى ما كان عليه جده.

نبي الله إبراهيم قُدم في القرآن بشكل رائع جداً: نبي من أعظم الأنبياء فعلاً ابتلاه الله سبحانه وتعالى بكلمات، كلمات يعني: قضايا نحن لا نعرفها ما هي بالتحديد، قد يكون منها مثلاً تلك الرؤيا التي رأى فيها: أنه يذبح ابنه، قضايا يتبين من خلالها سمو نفسيته، وطهر نفسيته، وتسليمه لله، وجدارته بهذا المقام الرفيع الذي آتاه الله فيما بعد: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] هذه الكلمات ليست كما يقول البعض: [هي حلق العانة، ونتف الإبط، وقص الشارب...] وأشياء من هذه! ليست هي ابتلاءات تكشف واقع الشخص، ومدى جدارته بتحمل مسؤولية معينة، والوصول إلى مقام معين [نتف الإبط، وقص الشارب، وحلق العانة، وقص الأظافر...] إلى آخره.

﴿فَأَمَّا إِبْرَاهِيمَ﴾ نجح في الإمتحان ﴿فَأَمَّا إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] هذا المقام الرفيع، وما يزال إماماً للأنبياء، وإماماً للبشر، وكلّ يدعي بأنه يأتّم به من البشر جميعاً ممن لديهم عناوين دين ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ليست فقط مجرد منصب، مؤهلاته هو، ما يزال يوحى، من خلال حركته، من خلال نفسيته، من خلال مواقفه يأتّم به الناس، يأتّمون به، يقتدون به؛ ولهذا إنّ الله سبحانه وتعالى في آية أخرى ألم يذكر فيما يتعلق بالبراءة من الكافرين أنّه قال: أنّه يجب أن يتأسوا بإبراهيم، والذين معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المتحنة: من الآية ٤] نبي الله إبراهيم مع سلسلة الأنبياء من قبله، ومن بعده قدموا في آية ليقول لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله):

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَاهُ﴾ [الأنعام: من الآية ٩٠] قدم له هذه القائمة الطويلة، وفي نفس الوقت حركتهم في تبليغ الرسالة، وأهم نماذج فيها، يستلهم منها، يستوحي منها، يأخذ منها ما يساعده في مجال حركته في تبليغ الرسالة.

نبيّ الله إبراهيم، ونبيّ الله موسى، وعيسى، وكلّ الأنبياء هم ما يزالون يعطون من خلال ما عرضه الله من حركتهم، من أعمالهم، من مواقفهم، فيها ما يستلهم الإنسان منها الأشياء العظيمة، في مجال العمل، في مجال الحركة، في مجال الإخلاص لله، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] نبيّ الله إبراهيم وهو يعرف عظمة دين الله سبحانه وتعالى هو يعرف أنّها سنّة إلهية لا بد أن يكون للناس أئمة يهتدون بهم ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] أي: واجعل من ذريتي، نبيّ الله إبراهيم يعرف أنّ المسألة هنا ليست مسألة منصب متوارث، منصب متوارث، أو مؤهلات فردية، أنّها قضية هي مختصة بالله، هو الذي يجعل، هو قال هناك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] هل قال: [إذا ما دام قد جعلني للناس إماماً إذاً قد الجهال الكبير الكبير سوف يتحولون أئمة؟] هو يعلم أنّها قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى، وليست عبارة عن إعطاء منصب بقرار: أنّ هذا ولي العهد، فيكون هو الملك من بعد، أو أنّ هذا هو الإمام من بعد بمجرد قرار!

إنّ الله هو الذي يجعل هنا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ

ذُرِّيَّتِي ﴿البقرة: من الآية ١٢٤﴾ أي: واجعل يا إلهي من ذريتي أئمة للناس ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿البقرة: من الآية ١٢٤﴾ لاحظ خطورة المسألة هنا من خلال مقت الله سبحانه وتعالى للظالمين، وكيف يجب أن يكونوا بعيدين كل البعد عن ولاية أمر الناس، عن أن يقدموا أنفسهم كهداة للناس، أو قادة للناس، ما هنا برزت أول عبارة قبل أن يقول تمام؟ لم يعد يظهر إلا في مضمونها إقرار أنه سيجعل من ذريته أئمة، في مضمون العبارة هذه التي تكشف أهمية كبيرة عن ماذا؟ عن خطورة الظالمين، وعن بعدهم أنه يجب أن يكونوا بعيدين على مسافات شاسعة جداً عن ماذا؟ عن أن يكونوا أئمة للناس.

أيضاً قال مما يؤكد أن المسألة هي اختصاص إلهي: عهدي، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ ﴿البقرة: من الآية ١٢٤﴾ ألم يسمه عهده؟ أي لن يعهد إليهم، ولن يعهد إليهم ليس معناه: فقط أن لا يعطي قراراً، قضية أن يعهد هي الإعطاء، وفي نفس الوقت اصطفاء، في نفس الوقت بناء لأن قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ﴿البقرة: من الآية ١٢٤﴾ مثلما قلنا سابقاً ليست بمعنى قرار فقط، تأهيل لهذا الرجل أن يكون بالشكل الذي لا يزال يأتّم به الأجيال جيلاً بعد جيل، ولا يزال يأتّم به، ويستوحي منه، ويستلهم من مواقفه، وحركته، ومشاعره الأنبياء من بعده بما فيهم أعظم الأنبياء محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ ﴿البقرة: من الآية ١٢٥﴾ لاحظ هنا قضايا كبيرة تقدم في الموضوع إبراهيم كإمام للناس، يعتبر شيء يمثل ركناً، ركن في ماذا؟ في سلسلة الدين، أو ركن في موضوع الهداية يقتدي به

الناس بما فيهم الأنبياء (صلوات الله عليهم) دوره هو أشبه بدور البيت، سيأتي في البيت أيضاً هناك فيما يتعلق بالبشر كبشر من داخل البشر، وهنا فيما يتعلق بماذا؟ بالبيت الحرام مأوى يأوي إليه الناس، يثوب إليه الناس، يرجعون بطريقة متجددة.

هذه تعني عندما يقول: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] أن محور القضية هنا الإمامة ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ بمعنى: أن البشر يحتاجون إلى نوعية من الهداة على هذا النحو، أنهم يعتبرون قطباً بالنسبة للبشر كما يكون البيت نفسه، البيت له دور والإمام له دور. هذا فيه رد كامل فيما يتعلق بمفهوم ولاية الأمر الذي قدم حتى عندنا في كتبنا في كتب [الزيدية] قدم بشكل بعيد عن موضوع الهداية، خاصة في الأجيال المتأخرة، تقريباً في الثمانمئة سنة المتأخرة نتيجة [أصول الفقه] و[علم الكلام] وهذه الأشياء، جردوا المسألة من أهم قضية مرتبطة بها وهي ماذا؟ هداية الناس، هداية الناس، أعني: تربية الناس، وتوجيه الناس، وتوعية الناس، تثقيف الناس، بناء الأمة، القضية المهمة جداً جداً!

جعلوا ولاية الأمر عبارة عن ماذا؟ عن رئاسة عامة، رئاسة عامة، منصب هناك: يجيش جيوش، ويستلم زكاة، ويعين ولاية، ويعزل ولاية، ويقيم الحدود على من زنا، أو سرق، ويقيم القصاص، وانتهى الموضوع! القضية هامة جداً، دوره قطب بالنسبة للبشر قارن بينه، وبين الكعبة أعني: في الدور العام، في الدور الهام، في سعة الدور، في سعة دوره.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] يثوبون إليها، يلتقون إليها، هي بيت سميت بيت الله، معلماً من معالم دينه، من معالم توحيده، من معالم ربوبيته، وألوهيته، نفس الكعبة يثوب إليها الناس بطريقة مستمرة، يعودون إليها، يعودون إليها؛ لأنَّ ثاب إلى الشيء بمعنى: رجع، فكأنَّ الناس وهم دائماً يعودون إلى الكعبة، يعودون إلى الكعبة باستمرار، هذا معنى يثوبون إليها.

لها قيمة هامة جداً فيما تعطيه من معاني، فيما تعطيه من مشاعر، فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، الإنسان عندما يكون قريباً من الكعبة يشعر وكأنه قريب في أجواء تجعله قريباً من الله، في أجواء تراها دينية، ترى مشاعر الناس هناك كلها مشاعر دينية، مشاعر توجه إلى الله، كل واحد يشعر وكأنه قد وصل إلى المكان الذي قد هو قريب من الله جداً. يثوبون إليها التقاؤهم المتكرر هو وسيلة من وسائل بث الهدى والوعي فيما بينهم بطريقة مستمرة.

لهذا كان الحج مهماً جداً، وما يزال الأعداء من اليهود والنصارى ينظرون إليه كقضية خطيرة جداً أي: أن هذه الأمة ما تزال تمتلك نقطة تمثل قوة بالنسبة لها، وإيجابية كبيرة بالنسبة لها، وعامل من عوامل إمكانية توحيدها، إمكانية نقل المفهوم الواحد فيما بينها، تعميم المفهوم الواحد، والرؤية الواحدة فيما بينها، اطلاع البعض منهم على ما يعاني البعض الآخر، من خلال التقاءاتهم، لهذا عملوا من زمان على تفريغ الحج عن محتواه، تفريغ الحج عما يمكن أن يعطيه من إيجابيات بالنسبة للأمة

وبعدما ظهر [الإمام الخميني] وحاول أن يستغل الحج لتذكير المسلمين، وكان يصدر بياناً في الحج، ويوزع لأنه من هنا تنطلق الأشياء إلى مختلف بقاع الأرض أي: يمثل مؤتمراً هاماً جداً لا يستطيع أي طرف أن يمول كمثلته كل سنة؛ لأنها جاءت قضية عبادية ينطلق فيها الناس هم، كل إنسان يذهب هو بتمويل نفسه فيلتقي الملايين هناك، أيّ دولة تستطيع أن تمول ولو مليون كل سنة أن يجتمعوا هناك؟ لا تستطيع أي دولة.

وهذه واحدة من الأشياء التي تلمسها أنّها في تشريعات الله سبحانه وتعالى قضايا هامة، وتجدها بالشكل الذي ليست مكلفة، ليست مجهدة، بهذه الطريقة التوزيعية، طريقة: الإنسان هو يتحمل مسؤولية، ومتى ما استطاع أن يحج حج، يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ينتج لك في الأخير مجتمع كبير، أمة كبيرة تلتقي في ميدان الجهاد، تلتقي في ساحات البيت الحرام، لا أحد يستطيع أن يمول تلك الأعداد، وتجده الموضوع بالنسبة لهم غير مجهد، غير مرهق، غير مثقل لأنه ماذا؟ ثقل توزع، توزع وأصبح بالنسبة لكل واحد في الأخير لا يشكل عبئاً بالنسبة له، لكن المجموع لو كان على حساب جهة واحدة لكان -فعلاً- يمثل عبئاً كبيراً جداً، يطلع لك في الأخير أرقام هائلة.

لهذا نقول: إنّ هذه رؤية فيما يتعلق بالمجاهدين، أو نقول: بالجيش، الجيش في الإسلام كيف هو؟ هل هو جيش نظامي يمول من أموال الأمة فتفنفق الملايين بل المليارات في سبيله وفي الأخير تراه لا يقدم شيئاً؟! أم أنّه جعل المسؤولية: أنّه كلّ إنسان يعتبر جندياً، ينطلق هو، وبأمواله، ومتى

ما حصل قدرات معينة تمول تمويلاً إضافياً، أو تمول من ليسوا مستطيعين على الإطلاق، في الأخير ترى أمة يتحول الناس فيها كلهم إلى جنود، فيرى العدو أن أمامه ملايين البشر كلهم جنود.

من الذي يستطيع أن يؤلف جيشاً من مليون جندي نظامي؟ يعتبر رقماً مكلفاً جداً، وباهظ التكاليف جداً، ويصل ضرره على الناس بشكل كبير أعني: بفارق ملموس، يصل ضرر الإنفاق، عندما تتولى مثلاً دولة، تتولى تكوين جيش نظامي، وتنفق عليه من الأموال العامة للمسلمين، سترى الضرر يلحق عليهم، وترى الثقل يصل إلى كل شخص منهم بالشكل الذي لا يحصل مع انطلاقتهم على حساب أنفسهم، أليس هذا شيئاً غريباً فعلاً؟ شيء غريب فعلاً: أنه لماذا نفترض أنه قد يكون مليون جندي يكلفون مثلاً تمويلهم للتحرك في اتجاه معين، أو في ظرف معين مثلاً مليار دولار إذاً مثلاً سيكلف مليار دولار فلتنفق الدولة المسلمة من نفس المال العام مليار دولار في النفقة، لو تنفق هذا المبلغ ستجد أنه مثلاً سيلحق أضراراً بالأمة من الناحية الاقتصادية، سواء فيما يتعلق بغلاء معيشة، أو بأي اعتبار معين، أو فقد خدمات هامة جداً بالشكل الذي تعتبر شديدة الوطأة عليهم هم أكثر من ذلك المليار الذي هو متوزع هو من داخل أموالهم الخاصة هم.

فالحج تراه مهماً جداً، وجعل على هذا النحو: الإنطلاقة من جهة كل إنسان هو على أساس الشعور بالمسؤولية، وأن هذه فريضة يؤديها، ويمول نفسه هو فيجتمع لك في الحج ثلاثة ملايين -مثلاً- كم تكلفتهم الباهضة

لو كان على حساب جهة معينة؟ لا أحد يستطيع أن يمولهم.

هذه المقومات الأساسية الهامة للأمة التي عبرت عنها هاتان الآيتان:
﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً

لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] عندما لم تعد القضية على هذا النحو في الأمة ما الذي حصل؟ ضاعت الأمة فلم يعد البيت، ولم يعد الحج بالشكل الذي يعطي الإيجابية، ولم يعد لدى الأمة قيادة واحدة على هذا النحو: القيادة التي هي ماذا؟ امتداد لقيادة إبراهيم، وقيادة محمد (صلوات الله عليهما).

لديك الآن [٥٧ قائداً] ماذا عمل هؤلاء أمام مجموعة من اليهود؟ لا شيء، و[٥٧ قائداً] تحتهم كم؟ مليار وثلاثمائة مليون مسلم، وتحتهم ثروات هائلة جداً، وتحت أقدامهم منطقة إستراتيجية هامة جداً، وتراهم لا شيء، لا يجرؤون بكلمة واحدة إلا القليل منهم، وعندما يتكلم القليل منهم يكون الآخرون بالشكل الذي ربما مستحيل عندهم أن يستجيبوا لكلمته، وأن تنطلق إلى مواقف عملية جادة، لا يوجد.

إذا فقدت الأمة شيئين هاميين جداً تعتبر من أهم المقومات لبناء الأمة، وأن تكون أمة لها فاعليتها، أمة مؤثرة في حركتها، أمة لا يمكن أن تصل إلى الوضعية التي وصلت فيها الآن.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] في نفس الوقت أمناً لا يجوز لأحد أن يعمل أي شر بالآخرين في محيط ذلك البيت نهائياً؛ لهذا كان دخول رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى مكة بطريقة حكيمة يتقاضي معها أي إضرار بشخص حتى من الكافرين داخل مكة حتى من أعدائهم

وهم لا يزالون أعداء كافرين داخل مكة. فتح مكة ما أظن أنه حصل فيه أي حادث على الإطلاق نهائياً ترتيبات دقيقة جداً حقق من خلالها فتحاً لمكة، وانكسار شوكة الكفر نهائياً مع الحفاظ على حرمة البيت الحرام، وعلى هذه القاعدة الإلهية: أنه جعله مثابة للناس وأمناً.

ولهذا كان جريمة كبيرة جداً: عندما قتلوا العشرات من المسلمين في [عام ١٤٠٧هـ] السعوديون وقع منهم تلك المجزرة الرهيبة جداً قتل فيها أكثر من أربعمائة شخص والله قد حرم قتل صيد حمامة جعل لها حرمة، حرم صيدها، وهؤلاء قتلوا أربعمائة؛ ولهذا ترى من بعد ما عاد قامت لهم قائمة الدولة السعودية ما عاد قام لها قائمة فعلاً؛ لأن الله قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: من الآية ٢٥] تدهورت دولتهم من ذلك اليوم إلى الآن، ولا تتوقع لها أن تنهض، لا تتوقع لها أن تنهض على الإطلاق إلى الأفضل إنما انحطاط إلى أن تتلاشى، وتنتهي بخزي، وعذاب أليم، عذاب نفسي والله أعلم ماذا سيكون من أنواع العذاب.

قضية ليست محط اجتهادات، ولا تأويلات على الإطلاق عندما انطلقوا مجموعة من جمعية العلماء، أو لجنة كبار العلماء، وقالوا بعد تلك الجريمة الكبيرة: إن الدولة السعودية لم تقم إلا بما وجب عليها! لاحظ الآن كيف هم أخزوا هم، تراهم الآن أصبحوا في وضعية - تقريباً - سيطر على مشاعرهم: أن يتأقلموا مع الكافرين، أن يتأقلموا مع اليهود والنصارى وما تمليه أمريكا عليهم.

البيت جعله الله مثابة للناس لا يجوز لأي طرف أن يتحكم فيه بما

يحول دون أن يصلوا إليه، بل واجبه أن يقدم خدمات، وليس أن يحول لا بفرضيات معينة، أعني أن المفترض أن البيت الحرام في الحج إليه، واعتماره يكون له طرق سالكة لا تتوقف لا على [جوازات]، ولا على أي ترتيبات من هذه الأشياء التي يعملونها، إلا فقط الجوانب الأمنية التي تعني: خدمة، خدمة: تفتيش لا بأس تفتيش، مراقبة الحجاج يعني هؤلاء من منطقة كذا، وهؤلاء الحجاج من منطقة كذا، إحصائية من أجل ماذا؟ لتقديم خدمة أمنية.

عندما يكون هناك مبالغ تؤخذ سواء في البلد الذي أنت تحج منه، أو من نفس الدولة التي تهيم على هذا البيت الحرام، وعلى المشاعر المقدسة، تطلع لك تكلفة الحج في الأخير بحوالي [٥٠٠٠ ريال] هنا وأنت في أقرب منطقة إلى البيت الحرام، كيف ستكون التكاليف بالنسبة لمسلمين آخرين من بلدان أخرى من الهند من الصين من بلدان أخرى كم ستكون تكاليفهم؟.

إذا فهذه جريمة في نفس الوقت المفترض أنه لا يترتب لأن الله جعله للناس، مثابة للناس، لا يجوز لأي جهة أن تهيم عليه، وإنما تعتبر خادمة له، ولمن يحج إليه، وكان المشركون، كان المشركون يتنافسون على خدمة الحجاج، وكان البعض منهم يعدون الشراب، وأناس منهم يعدون الطعام يفتنون للحجاج مع اللحم، الخبز مع اللحم، مع غيره، يطعمونهم، يتنافسون على خدمتهم، وهؤلاء يقولون: ضيوف الرحمن، ويختلسونك وأنت ما زلت هنا تقطع [جواز] وأنت ما زلت تقطع جوازا هنا محسوب

حوالي [٥٠٠ ريال] محولة هناك لمكتب الوكلاء الموحد سعوديون، وتدخل والأشياء ترتفع أسعارها، يرفعون أسعار الأشياء أسعار الشقق السكنية، أسعار المواصلات، السيارات، أسعار المأكولات المواد الغذائية، أسعار كل شيء ترتفع وتضاعف بنسبة هائلة، لا يتركون الوضعية على أقل تقدير يتركون الوضعية وضعية طبيعية.

إحدى المرات في مكة استأجرنا [شقة] بأربعة آلاف تقريباً وخمسمائة ستة أيام، نسأل واحد مستأجر قال هو مستأجر الشهر بسبعمائة ريال، الشهر بسبعمائة ريال لماذا حجاج بيت الله تستغلونهم بهذا الشكل ستة أيام بأربعة آلاف وخمسمائة ريال؟ بينما الشهر بسبعمائة ريال في الأوضاع العادية، يجب عندما يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥].

يجب أن تكون حركة من يرون لأنفسهم أن هناك حقوقاً معينة، أو اعتبارات معينة أن يكونوا قائمين على ما يتعلق بالمشاعر المقدسة أن يكون كل عملهم في هذا الإطار، أعني: فيما يسهل أن يكون مثابة للناس وأمناً فيثوبون إليه، فيما يسهل عملية أن يثوبوا إليه، أن يترددوا عليه ليحجوا ويعتمروا، أليست تقتضي أشياء كثيرة وتسهيلات يترك طريقاً سالكة هناك [خط] إذا هو يريد أن يقفل على مدن أخرى حتى لا يدخلها أحد، يترك خطأ سالكاً مكة والمدينة والمشاعر المقدسة ما تربطه بأي شيء، حتى لو تريد تعمل عليه [شبكة] اعمل على بلادك شبكة إذا أنت تريد تهيمن عليها، اعمل عليها شبكة حتى لو تريد أن تسقفه، اتركه خطأ

سالكاً ولا يكون مرتبباً بأي رسميات على الإطلاق، جوازات معينة، أشياء معينة. لم يكن بهذا الشكل مئات القرون في تاريخ الأمة هذه، كان يحج من يحج، ويحج الناس بتكاليف بسيطة جداً.

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] أمر من الله لما لهذا من أثر نفسي، ولما لهذا من ربط تاريخي، ربط روحي، هذه قضية هامة، استشعار وحدة المسيرة الإلهية، وأن تبقى آثار من آثار إبراهيم، مقام إبراهيم لا يزال باقياً تصلي بالقرب من ذلك المكان، يربط مشاعرك بإبراهيم، هذا يلهم فيما يتعلق بماذا؟ بالإقتداء، فيما يتعلق بالسلوك؛ لأنّ قضية الآثار، الآثار الدينية التي تمثل معلماً من معالم مسيرة الدين يكون لها أثرها الروحي في الناس.

هذا يبين أهمية الآثار، المعالم الدينية فيما تتركه من أثر في النفوس، والأعداء يفهمون هذه؛ لهذا حاولوا في كثير من الآثار الدينية، في مكة والمدينة أن يجردها تماماً من أي شكلية يجعلها توحى بهذا الشكل، مسجد معين يحولونه، ويغيرونه إلى نمط جديد من البناء فلا تعد ترى فيه أي أثر إلا أنّه بني في عام ألف وأربعمائة وكذا! أعني قبل عشر سنين ثمان سنين لم تعد الآثار الإسلامية باقية.

كان المفروض حتى مسجد رسول الله (صلوات الله وعلو آله) يحافظون عليه بشكليته، يحافظون على نمط المدينة بشكليتها يعملون لهم عمراناً خارج محيط هذه، ويجعلونها منطقة غير قابلة إلا فقط للترميم على نفس النمط، كما يعملون هم بماذا؟ بأنارهم هم، آل سعود، قصر

[الديرة] في الرياض تراه يملجونه بطين، ويتركون بابه على ما هو عليه، بنفس النمط الذي هو عليه من يوم أن اقتحمه [عبد العزيز]، لأن عبد العزيز اقتحمه وقتل الأمير الذي كان فيه.

تلاحظ كيف كانت فعلاً قضية تؤكد: بأن الأشياء التي تعتبر من الأساسيات في معتقدات الوهابية: نفس الإلتفاتة الدينية لأثار إسلامية، أو معالم دينية، قالوا: شرك! أن هذه فعلاً عندما تقرأ كتب محمد بن عبد الوهاب، وتنظر فعلاً إلى رؤية المستعمرين، رؤية المحتلين، رؤية الأعداء الذين يحاولون أن يزيلوا الأشياء التي هي آثار تشد الناس إلى تاريخهم الديني إلى بداية حركة في الإسلام [شرك، شرك] كلها يحاولون أن يغيروا معالمها مهما أمكن، يغيرون معالمها تماماً، ولا يتركونك ترى الكثير منها ليخلقوا فراغاً روحياً عند الناس، فراغاً روحياً ينسف ذلك التأثير الذي ماذا؟ له قيمة إيجابية، وتربطك بتاريخك الديني.

عندما تدخل المدينة وكأنك عدت إلى القرن الأول ترى مسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ترى الأشياء وكأنك سافرت إلى ما وراء ألف وأربعمائة سنة، أليس الأثر سيكون كبيراً في النفس؟ هم يعرفون أهمية التراث؛ ولهذا عندهم قضية هامة موضوع التراث، لكن التراث الجاهلي يهتمون به أما التراث الديني يحاربونه، كلهم يحاربونه، كلهم يحاربونه، الأعداء، ومذهب من داخل الأمة تقوم عقائده على نفس معالم الدين، وآثار الدين! حتى أنهم حاولوا في مرحلة من مراحل حركتهم الوهابيين أن يدمروا قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)!

يحاولون في ترتيبات بناء المسجد، وزيارة قبر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تكون بالشكل الذي لا تتمكن أن تراه، أو تستحضر في ذهنيته: أن هناك داخل هذا المبنى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فقط ممر واحد، وممر ضيق، ومجموعة من المطاوعة، والجنود يدفعونك: [هيا، تحرك!] باب واحد تدخل من باب، وتخرج من باب بسرعة [هيا بسرعة] لا يتركوك تلتفت لشيء، لا يتركوك تبقى تستحضر في ذهنيته، تعود إلى ما قبل ألف وأربعمائة سنة أبدأ! ألم يكن بالإمكان أن تكون الزيارة ممرين؟ كان بالإمكان أن تكون ممرين، لكن لا، ممر واحد فقط وبسرعة هيا! محراب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يضعون فيه مجموعة كراسي، يملؤونه بالكراسي لا يتركوك تجلس فيه، أو تصلي فيه كل هذه الأشياء [بدعة، شرك، هيا، لا تلمس شيئاً] عندما تلمس شيئاً يبدو وكأنك تلمس شيئاً يعود بذهنيته إلى قرون من تاريخ الأمة هذه يقول لك: ممنوع! وبطريقة وقحة، بعض المطاوعة يركلون الناس بأقدامهم، يركلونهم فعلاً، يدفعونهم، ويركلون بعضهم، ويضربونهم، والبعض يقودونه إلى السجن؛ لأنه حاول أن يلمس قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويقبّلها! لكن اذهب لتقبّل جنب الأمير لا يوجد مانع، قبّل جنبه، قبّل يده وهو حتى لا يبادلك التقبيل يبقى واقفاً وهم يقومون بتقبيله في جنبه، أو يقبلون يده فقط، وهو لا يبادلهم، ويتبركون بهذا، وتراهم يذهبون لهذا! لكن هناك، لا، ممنوع!.

لاحظ مثلاً من الناحية العملية! ولهذا قلنا: إنه يجب ممن يرون

أنفسهم قائمين بشؤون البيت الحرام أن تكون كل أعمالهم بالشكل الذي تسهل عملية أن يثوب الناس إلى هذا البيت، وأن يكون مكاناً آمناً، مكاناً آمناً تأمين فيه على أموالك، وتأمين فيه على نفسك، تأمين فيه على وضعيتك، لا تكون هناك ولا تدري كيف، أنت تريد مثلاً تنام فأمامك مباني الغرفة -مثلاً- بخمسمائة ريال سعودي أو بأكثر خلال أيام معدودة، حتى الإجار يرفعونه بشكل كبير، يستغلون هذا المكان الذي هو للناس جميعاً ويبنون فيه مباني شاهقة، وفيها مئات الغرف، ويؤجروها بأعلى الأثمان، أليس هذا استغلالاً لما قد جعله الله للناس جميعاً، المهمة هذه قال الله عنها: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] أن يكونوا خادمين لهذا البيت، نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل أنبياء من أعظم أنبياء الله، مهمتهم رعاية هذا البيت، وتسهيل مهمة الطواف، والركوع والسجود، أي أن يكون هذا البيت بالشكل الذي يستطيع الناس أن ينالوه وبخدمات تتوفر لهم حتى يثوبوا إليه، ويقوموا بتفاصيل عبادية تؤدي نحوه.

﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وهو الذي قال له في آية أخرى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: من الآية ٢٧] أليس هؤلاء الناس وهم يتجهون إلى البيت الحرام، ويطوفون حوله، ويصلون حوله، يجعل من مهامه الرئيسية: أن يكون خادماً لهؤلاء، يحاول أن يكون خادماً لهذا البيت بالشكل الذي يسهل عملية العبادة عند هذا البيت، وأن يحج إليه الناس، ويثوبوا إليه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦] لأنه يعرف أن يكون هذا المكان هو مثابة للناس أن الجانب الأمني مهم، الجانب الأمني سواء من الجهة التي تعتبر نفسها قائمة عليه، أو فيما بين الناس أنفسهم، عندما تلقى من اعتدى عليك، عندما تلقى قاتل ابنك، أو قاتل أبيك، أو أي شخص ليس محلاً أبداً أن تنتقم فيه من أحد ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦] كيف اهتمام الأنبياء أنفسهم، اهتمام الأنبياء بما هو من معالم دين الله، واهتمامهم أيضاً فيما يتعلق بالناس، وبالذات الناس القرييين من هذا البيت الحرام لثلا يصبحون أناساً يستغلون الوافدين إليه، وفر لهؤلاء، أرزقهم، وليس فقط سيدعو لهؤلاء فقط؛ لأنه عندما يكون المحيطون لهذا البيت، ومن هم في طريق الوصول إلى هذا البيت الحرام رزقهم متوفر قد يشكل هذا أمناً بالنسبة للناس، أمناً من السطو على ممتلكاتهم، وأمناً من استغلالهم، استغلالهم في أقواتهم، استغلالهم في توفير المسكن والطعام والشراب لهم، لكن عنده كراهة شديدة بالنسبة للكافرين بالنسبة للظالمين ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦].

لاحظ من الناحية الأمنية أنه حتى ولو هم أناس عاصون في ذلك المحيط قد يهين الله أرزاقهم رعاية لمن؟ رعاية لمن يفسدون إلى هذا البيت؛ ليكون فيما يتعلق بالجانب الأمني يتوفر للناس أمن، ولكن اتركهم يعتبر متاع بالنسبة لهم قليل ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

إذا فهذه ترد على من يقدر بأنه أولئك الناس هم على حق بحجة أنه لاحظ كيف الباري مدهم! كان يمدّ قريشاً ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَتَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ وهم مشركون لكن على هذه القاعدة: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦] ممكن حتى ويتوفر له رزقه لكن وسيؤخذ مؤاخذاً شديدة، لماذا يوفر له رزقه؟ لأنه عسى أن يكون في توفير رزقه مأمّن من أن يسطو على الآخرين، ويستغل الآخرين الذين يثوبون إلى هذا البيت، ويتجهون إلى العبادة التي هي مرتبطة بأدائها على نحو معين عند ذلك البيت، ليس معناه أنه عندما أعطاهم أنهم أهل الحق، وأنه قد اعتبرهم أهل الحق؛ لأنّ الباري قد أعطاهم بترول، وأعطاهم، وأعطاهم، وأشياء من هذه! لا، ستكون هذه مسؤولية كبيرة جداً، وخطورة بالغة جداً عليهم عندما يتوفر لهم الرزق؛ ومن الإعتبارات الهامة في توفيره من أجل الآخرين، ثم تراهم يستغلون الآخرين، أي يتوفر لهم الرزق هناك بالشكل الذي يستطيعون أن يقدموا تسهيلات كبيرة جداً للحجاج، وليس أن يأخذوا منك خمسمائة ريال سعودي مقابل استخدام [الزفلة] استخدام الخطوط!.

إذا ما هي الأشياء هناك التي تأخذها مجاناً؟ هل هناك شيء؟ لا يوجد، بل تأخذ بأعلى الأثمان، أحياناً يصل نقل الحجاج من منى إلى مكة بخمسين ريال سعودي فوق شبك الباصات، وهي بريالين في الوضعية العادية، في غير الحج بريالين فقط، تنقل من منى إلى مكة بريالين فقط قالوا.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرَّتْهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَنْسُ الْمُصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦-١٢٨] هنا يقدم إبراهيم وإسماعيل شخصيتين عندهم حيوية، واهتمام عالي، ومشاعرهم كلها مليئة بالتوجه إلى الله، والإخلاص لله، والتقرب إلى الله بكل عمل ممكن ينالونه متجهين لبناء البيت فيرفعون قواعده وبإخلاص لله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لاحظ كيف فيما يتعلق بالمسؤولية أليس شرفاً عظيماً لإبراهيم وإسماعيل؟ هنا في قضية الشعور بالجدارة أنها قضية يجب أن تنسف التي أصبح عليها بنو إسرائيل فيما بعد فرأوا أن الكثير مما حصل لهم بحيث أن فيهم أنبياء وورثة كتب، وأشياء من هذه، ونعم وأشياء وكأنها جدارة، هم جديرون، هم جديرون، فليس لله فضل! هو شرف عظيم لإبراهيم وإسماعيل أن يوكل إليهم القيام بهذه المهمة، لكن لاحظ أليس هنا ذاتياً في مسألة أنه يؤدي عملاً صالحاً يقبله الله، ناسياً موضوع [إذاً والله شرف عظيم حظيت به] وناسي أنه فقط يرى نفسه كبيراً، ويضخم نفسه، ذائب في الله، وفي العمل الصالح الذي يرضي الله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هم يعرفون أهمية البيت الحرام ك معلم من معالم توحيد الله، والتوجه الواحد كقبلة، يتوجه إليها عباد الله الموحدون ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أنفسنا هذه نسلمها لك، هنا أألمست تلمس أنه لا يوجد لديه التفاتة لنفسيته على الإطلاق، ليس مستغرقاً لمشاعر: أنه نبي، أنه عظيم، أنه جدير بهذا؟ لا

توجد هذه، كل ما لديه من اهتمام: أن يتقبل الله منه العمل الصالح، وأن يجعله مسلماً نفسه تماماً لله، يخضع نفسه لله، ويستغرق كل ذهنيته كل تفكيره الذوبان فيما يرضي الله، الذوبان في معرفة الله، وفي حب الله، التسليم لله.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] حريص أنهم يجمعون معهم كما أمكن، وبالذات ذريتهم لأن الشيء بالنسبة لك يؤلك جداً: أن يكون ابنك، أو ابن ابنك، ذريتك ينشئون نشأة كافرين بالله، أليس هذا يؤلك أكثر بكثير، يؤلك جداً، إذا فهم حريصون بالنسبة لذريتهم أن ينشئوا على نفس الطريقة، أمة مسلمة لك، لا يوجد مسألة: (يهودية نصرنة)، وعناوين قومية من هذه، كل العنوان لديهم: مسلمين لك، أمة مسلمة لك، ألم يتحدث هناك عن بني إسرائيل سابقاً: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: من الآية ١١١] يقدم القضية الهامة هي: التسليم لله، التسليم لله هذا هو العنوان الرئيسي لدينه.

﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] أوضح لنا مناسكنا التي نؤديها، نعبد لك بها ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] لاحظ هذه المشاعر الهامة جداً والتي يجب أن يكون عليها أي إنسان مؤمن ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ وهم ماذا يعملون؟ كثير من الناس يقولون: الله غفور رحيم وهم يعملون معاصي! هذا يقول: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ وهو يرفع قواعد البيت الحرام في عبادة من أرقى العبادات، يقيم معلماً من معالم دين الله في

الأرض للناس جميعاً يقول: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] القرآن هنا يقدم لك حتى مشاعر أنبيائه، وأوليائه.

بعضهم يقول: القرآن ما أحد يعرف ماذا يأخذ منه، أو يقول: فقط! أمام القرآن! يشخص لك النَّاس، يشخص لك الأمم، يشخص لك مشاعر، وليس فقط يقدم لك سيرته، يقدم سيرته، أو عبارات من عنده يقولها في مقامات معينة هي بالشكل الذي تشخص لك مشاعر هذا الإنسان العظيم، أو تشخص لك مشاعر الإنسان السيئ مثلما تقدم عن بني إسرائيل الذين قال عنهم سابقاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: من الآية ١١٨].

﴿رَبَّنَا وَإِنْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] هو قال هناك: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] ﴿وَإِنْعَثْ فِيهِمْ﴾ في ذريتنا هذه ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٩] هذه فيها قضية هامة أنه حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفاً بأنها واقعة، وعد إلهي أيضاً ينبغي أن تكون على هذا النحو: تدعو الله، قد يكون إبراهيم نفسه يعرف بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً في آخر الزمان من ذريته محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع هذا يدعو، يدعو، علم المؤمنين أنفسهم، وهم يتحركون في سبيله التي وعد فيها بالنصر ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: من الآية ٧] أن يدعو، لأنه قضية هامة تجعلك مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتتذكر أيضاً صحة الطريقة التي

أنت فيها، وتستنجز وعد الله سبحانه وتعالى.

جانب عبادي مهم لا يجعلك تتحرك في حالة من الغفلة، أو تعتبر وكأن القضية قد هي منجزة فلا حاجة إلى الرجوع إلى الله، لا، إن المسألة يجب أن تكون دائماً دائماً مرتبطاً بالله بما فيه الدعاء بماذا؟ بالشيء الذي قد وعد بأن ينجزه؛ لأنه هل بإمكان إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى هذه الدرجة أن يدعو على هذا النحو، وهو يعرف أن المسألة هي مرتبطة بالله، مرتبطة بالله سبحانه وتعالى؟.

فيما يتعلق به هو ألم يقل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] ففضية رسول، أن يبعث رسول هنا، أو رسول لزمان معين ليست قضية فقط خاضعة لموضوع الدعوة قضية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى. إذاً فقد يكون إبراهيم فعلاً على علم بأن الله سيبعث من ذريته في مكة في ذلك المكان رسولاً منهم: يتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، لكن يدعو مع ذلك يدعو، وهو يدعو هو يعتبر هذه نعمة عظيمة جداً، أليست تعتبر نعمة عظيمة جداً؟ يعتبرها منحة إلهية جليلة، ويبقى في نفس الوقت مرتبطاً بالله، مشاعره مرتبطة بالله في إنجاز وعده؛ تعطي الإنسان المؤمن فيما يتعلق بذريته اهتماماً أن يكون حريصاً على أن يكون ذريته على هذا النحو: ينشئون نشأة مرتبطين بالله، مسلمين لله، علومهم على هذا النحو: يتعلمون كتاب الله، والحكمة التي تضمنها كتاب الله، ويزكون أنفسهم على أساس هدي الله.

فالكثير من الناس لا يلحظ هذه، كثير من الناس يكون فارحاً بولده ماذا

سيجمع ويوفر، ماذا سيعود به من غربته أو كسبه؟ لا، لاحظ هذا الجانب المهم عند إبراهيم: أن تكون ذريته على هذا النحو: مسلمة لله، وأن تحظى ذريته بذلك الرجل العظيم الذي يعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها^(١).

أول بيت وضع للناس

أول بيت وضع للناس هو البيت الذي بناه ووضع قواعده النبي إبراهيم وولده إسماعيل ببكة، وبكة هو نفس موضع بناء الكعبة داخل مكة، أي: نفس البقعة والمنطقة التي بنيت فيها الكعبة، وهو أول بيت وضع للناس جميعاً يتوجهون إليه ويقصدونه على ملة النبي إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) وكثيراً ما يأتي الحديث عن البيت والحج مقترناً بالنبي إبراهيم، وكثيراً ما تأتي آيات الحج وسط الحديث عن الجهاد وبني إسرائيل.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"لاحظ هنا في قضية الحج، وقضية البيت الحرام، والمشاعر كيف هي مفرقة داخل آيات الجهاد، أليست موجودة من أول ما ذكر البيت، ﴿وَأِذْ يُرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٧]، ثم ذكر ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٥٨]، ثم ذكر هنا الحج ﴿وَأَمِّتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٦]؛ لأن هذه لها علاقة ببناء الأمة، لها علاقة بمواقفها من أعدائها، لها أثرها الكبير في تعزيز وحدة الأمة، تمثل ملتقى للبشر، للمؤمنين جميعاً، تعتبر منطلقاً للتوعية فيما بينهم، ووصول

(١) دروس رمضان، الدرس السابع، سورة البقرة.

أَيَّ تَوَجِيهَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، إِلَى أَيِّ بَقْعَةٍ مِنْ بَقَاعِ الدُّنْيَا الَّتِي فِيهَا مُسْلِمِينَ^(١).

ونظراً لما يمثله البيت والحجّ معاً من أهميّة ورد ذكره في كثير من سور القرآن الكريم مقترناً بما سبق للتأكيد على ارتباطه بهذه القضايا العمليّة والمصيريّة.

٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُدْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣-٩٧].

هذه الآيات جاءت رداً على اليهود الذين زعموا أنّ لحوم الإبل والبانها كان محرماً في دين إبراهيم وأولاده اعتراضاً منهم على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي أحلها، وذلك منهم للخداع والمراوغة، والتزييف والتضليل، وإثارة الريب والشكوك حول رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وادعاءً منهم لأنفسهم بأنهم على ملة إبراهيم، فردّ الله عليهم وكذبهم، وأثبت أنّ ملة رسول الله هي ملة إبراهيم الحنيفية التي

(١) دروس رمضان، الدرس التاسع، سورة البقرة.

تعني الإستقامة والنقاء والطهارة والحق، وأمرهم بإتباع ملة رسول الله باعتبارها نفس ملة إبراهيم ونفس الخط، وثبت بطلان محاولتهم تزييف شخصية النبي إبراهيم وملته، ونسبت أنفسهم إلى ملته، ونسبتهم إلى شريعته ما ليس منها، لأن ملته الحنيفية هي ملة الإسلام، ونفس ملة رسول الله في حركته الواسعة، ونطاقه الشامل الذي يستوعب كل الرسالات، وتمثل الإمتداد الحقيقي لملة النبي إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، حيث كان يمثل التوحيد الخالص عقيدةً ومنهجاً، وعبادةً وحركةً في الحياة، ومثل ثورة عارمة على الشرك كله بكل قوّة، حتى أنه عادى أباه وقومه في سبيل ذلك، ورسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو يجسد ملة إبراهيم بكل قيمها ومبادئها ومنطقاتها، ويرفض الشرك بكل أنواعه، سواء كان شركاً غير مباشر كشرك أهل الكتاب في عقيدتهم بالمسيح وغيره، أو كان شركاً مباشراً كشرك المشركين من قريش الذين هم قبيلة عربية من أبناء إبراهيم من ذرية ولده إسماعيل، وما كانوا عليه في واقعهم من الشرك بالله وعبادة الأصنام خلافاً لملة ورسالة إبراهيم التوحيدية كما سيمر بنا في الحديث عن النبي إبراهيم ومواقفه وملته.

إن البيت يمثل رمزاً لعبادة الله وتوحيده مباركاً وهدى للعالمين، وهذا يبيّن الدور الواسع للبيت في الحياة ومنافعه العامّة للناس، وهدى للعالمين يستوعب كل القضايا والأمور المتصلة بالناس والمرتبطة بالعالمين، وتوسع الحياة وإتجاهاتها العلمية، والإجتماعية، والسياسية، والإقتصادية، وغيرها من الأمور الكثيرة المتصلة بالحياة وسعتها، وبالناس وحركتهم، وما يرتبط

بالوضع الجغرافي للأرض، وخط الإستواء، ورسم خطوط الطول والعرض، وموضعاً للبركات، ومكاناً آمناً للناس كما مرّ بنا، وكما سيمرّ بنا في سورتى "قريش" و"الفيل"، وما يمثله من هدىً للعالمين في كل شؤون حياتهم تجسيداً للمفهوم الإسلامي العام للعبادة، والدعوة، والحركة يحقق البركة والأمن والهدى للناس وللعالمين، وما جعل الله فيه من الآيات البيّنات، ودوره الواسع في حياة الناس، وما جعل الله له من حرمة تميّز بها على غيره، و الإنسجام الكامل بين البيت والقرآن والنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، وتجسيداً حقيقياً للملة الإبراهيمية الحنيفة.

وحول هذه الآيات المباركات يقول الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله تعالى عليه) :

"هذا توجيه هام بالنسبة للإنسان المؤمن الذي يريد من خلال ما ينفق أن ينال البر، وأنه ينفق ابتغاء وجه الله، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى. في آية هنا أيضاً لها علاقة بموضوع بني إسرائيل قول الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٣] يبين بأنه حصل فيما بعد تحريم على بني إسرائيل لأشياء هي ممّا كانت حلالاً سابقاً كعقوبة عليهم. يبين هنا كيف كان التعامل من جهة بني إسرائيل مع التوراة، وهذه فيها ما يكشف بأنهم كانوا يخفون التوراة وينطلقون هم بديلاً عن التوراة، ما يقدمونه هم، ما يفسرونه هم، ما يكتبونه هم؛ لهذا قال: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ﴾ [آل عمران من الآية: ٩٣] هاتوها، أليست هذه فيها -مثلاً تقول-

أشبه شيء بتحدي؟ هاتوا التوراة ﴿فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران من الآية: ٩٣] فيذكرون محرمات معينة حول موضوع محرمات وما محرّمات، دعاوى هي مخالفة للواقع، ومخالفة لما هو في التوراة مكتوب. إذأ فهي كانت قضية ثابتة لديهم، أو تعامل قائم لديهم: إخفاء التوراة، كما قال الله عنهم في آية أخرى: ﴿فَجَعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام من الآية: ٩١] وتخفون كثيراً، لهذا لا نعرف الآن أنّ هناك التوراة ما تزال موجودة، ما نعرفه من خلال ما يسمونه: [العهد القديم] تجد أنّه ليس التوراة.

يوجد داخله مما يمكن أن يكون من التوراة، أمّا أن يكون هو التوراة التي أنزلت على موسى هذا غير صحيح، ولهذا يغلط البعض عندما يتحدث عن كتب [العهد القديم] ويسميها التوراة، من كتّاب مسلمين، أو بعض العلماء المسلمين أنفسهم يقولون: التوراة، والتوراة. لا، هذه كتب ثانية يسمونها: [كتب العهد القديم] على أساس أنّ مجموعة منها هي التوراة والباقي كتب أخرى مما أنزلت على أنبياء آخرين مجموعة، عدد كبير لكن كلها فيها لعبة، كلها فيها لعبة مكشوفة، بل داخلها نصوص فعلاً من بعض أنبيائهم يصرحون فيها وهم يخاطبونهم بأنهم يحرفون، بأنهم يحرفون الكتب، يعني: شهادة من داخل الكتب على بني إسرائيل من بعض أنبيائهم لا أذكر بالتحديد من هو، أنّهم يحرفون الكتب وأنّ أقلام الكتبة حرفت كتب الله.

فيمكن في مثل هذه ﴿قُلْ فَاتْلُوا بِالتَّوْرَةِ﴾ [آل عمران من الآية: ٩٣] فيما إذا كان لا يزال هناك بقايا نسخ نادرة، أو فيما هو داخل الحاصل لديهم ما يزال

هناك نصوص قد تكون في قضية معينة ما تزال قائمة فيها نصوص تشهد على كذبهم فيما يقدمونه، لكن ربما قد يكون الأظهر بأنه التوراة بهذا الإسم، بهذا الإسم إنّما تطلق على كتاب الله الذي نزله دون زيادة ولا نقصان لا يعد ممكناً أن يسمي كتباً كتبوها من عندهم وحرفوا فيها أن يسميها التوراة!!.

إذاً فيما نعرف الآن لا يوجد توراة. يوجد كتب عهد قديم ليست هي التوراة، فيها فقرات من التوراة فقط فربما في ذلك العصر أن يكون عند بعض منهم من التوراة، خاصة وأنّ اليهود الذين كانوا في الجزيرة كانوا بمنأى عن كثير من الهجوم الذي كان يحصل على بني إسرائيل هناك في بلاد الشام، في فلسطين كان يأتي هجوم عليهم، أعني: في حالات كثيرة أحياناً من قبل البابليين، وأحياناً من قبل المصريين، وأحياناً من قبل الفلسطينيين الذين هم الآن اسمهم الفلسطينيون، ربما تعاملوا مع التوراة على هذه الطريقة: إخفاء، إخفاء حتى ضاعت، ولهذا يحتمل أنه قد يكون هناك نسخ نادرة من التوراة موجودة في ذلك العصر مع اليهود الذين في الجزيرة الذين كانوا بمنأى عن ما كان يحصل من حروب ونهب، وكان يأتي أحياناً إحراق لكتبهم على أيدي البابليين، أو المصريين.

وممكن أيضاً في ما يتعلق بالآية هذه أن يكون فيها ما يوضحهم بأنه لم يعد هناك شيء توراة ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران من الآية: ٩٣] أنه يوجد توراة، وما يزال عندكم التوراة، وأشياء من هذه. وهذا محتمل أيضاً فيكون الواقع إن ما هناك شيء في

الصورة، لا يوجد شيء مما يبدونها هي نفس التوراة. إما لأنها قد أصبحت مفقودة تماماً ويكون في هذا ما يفضحهم، أو يكونوا متكتمين عليها، نادرة ومتكتمين عليها تماماً ففيها فضيحة لهم بأي اعتبار من الإعتبارات هذه.

﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٤-٩٥] ما أخبر الله به هو الصدق هو قال: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالاً لِيَنبِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٣] أليس هذا من جهة الله؟! عندما يقولون كلاماً آخر هنا أرشد إلى أن يوقفهم على ما يبين كذبهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَانلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٣] فإذا لم يأتوا بشيء، قل: صدق الله. فُضِّحُوا فعلاً. ثبت بأنه لو كان عندهم ما يشهد من التوراة نفسها على صحة ما قالوه هم في موضوع حول ما كان محرماً وما كان حلالاً من طعام على إسرائيل أو من بعد إسرائيل أنه ماذا؟ لجاؤوا بالتوراة.. لأبدوها.

في نفس الوقت يقول لهم: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٥] قد تبين بأن ما عندكم صدق عندكم دعاوى لا برهان عليها من كتب الله من التوراة!. إذا فتركوا الطريقة هذه، والتشبث بالكذب، والتشبث بالتحريف والخرافات، وعودوا إلى دين الله الذي هو ملة إبراهيم. يعني فيها استغلال أن يدعوهم، استغلال فرصة.. هذه قضية عملية ففي الوقت الذي ترى طرفاً آخر مثلاً بهت كما قال

الله بالنسبة لخصم إبراهيم ﴿فَبُهَّتْ﴾ يعني: تجلا، تجلا كذبه، تجلا خطؤه تجلا ضلاله حاول أن تستغل في نفس الوقت، أن تدعوه، قل: أذاً فارجع إلى الصواب، ارجع إلى كذا.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية 96].
هذا أيضاً شيء آخر فيما يتعلق بالبيت الحرام والحج تجد كيف هو؟ يتجزأ الحديث عنه داخل الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل وتتحدث عن الجهاد والإنفاق وعن دور هذه الأمة، وتحدث عنها، أعني ذكرها كثيراً في خلال آيات كثيرة تحدثت عن بني إسرائيل وعن الجهاد في [سورة البقرة] في أكثر من موضع وهنا في [سورة آل عمران].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية 96]
قد يكون لدى اليهود دعاوى أخرى مثلاً بالنسبة لشيء يتعلق بالقدس أو بيوت عبادة في القدس أو غيره... يبيّن أوّل بيت وضع للناس ليكون قبلة للناس ليكون له الدور الذي أراد الله أن يكون له كما ذكره في أكثر من آية هو ذلك البيت الذي ببكة.. بكة كأنها اسم نفس الموقع الذي فيه البيت الحرام، الذي فيه الكعبة، أعني: وكأنه اسم لذلك الموقع من مكة، بكة ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 96] فيه بركة. ومن بركته أنّه يترك أثراً في النفس عندما تشاهد البيت الحرام.. عندما يصل الواحد إلى داخل المسجد ويطل على الكعبة تجد حالة أخرى بالنسبة لنفسيتك ومشاعرك. أجواء دينية تلمس وكأنك في وضعية قريب من الله.. أعني: لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن الحالة التي تعتريه أثناء مشاهدته للكعبة

﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٦] من خلال المهام التي لهذا البيت التي ذكرها في أكثر من آية.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] أليست هذه واحدة
﴿وَأَمْنًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] فمجموع ماله من أثر هذا البيت يشمله كلمة:
﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٦] ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ
كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧] لاحظ هنا الإنسجام الكامل بين دور البيت
الحرام ودور القرآن الكريم ودور الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه
كلها ﴿هُدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ وفي القرآن يقول أيضاً أنه للناس، للناس، والناس
تعني: للعالمين جميعاً، البشر، كذلك يقول عن الرسول (صلوات الله عليه
وعلى آله) أنه أرسله رحمة للعالمين.

ربما قد يكون هناك أشياء أخرى من الناحية العلمية لا نعرفها مما
يمكن أن يكون للبيت أثر فيه تعطي هدىً فيه سواء فيما يتعلق بأشياء
جغرافية أو ما يتعلق بأشياء علمية أخرى قد يكون للبيت أثر فيها. مما
يقال أن موضع البيت الحرام هو يمثل نصف المعمورة تماماً النقطة التي
تعتبر قلب المعمورة قلب الكرة الأرضية وبالذات قد يكون المعمورة منها.
ربما لو كانت المسألة فيما يتعلق بما يسمى: بـ[خطوط الطول والعرض]
بالنسبة للكرة الأرضية لو كانت المسألة تمت على أيدي المسلمين لربما
كان موقع الكعبة موقع البيت الحرام هو نقطة البداية بدل أن يعملوا
[قرنتش] هذه المنطقة حول لندن، قد تكون الكعبة نفسها كانت هي
المكان الذي يصلح أن يكون بداية لرسم خطوط الطول والعرض، لكن

الأخريين هم الذين تولوا كل شيء في الأخير.

كلمة ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٦] كما يقول الله عن القرآن الكريم هدى قد تكون تهدي لأشياء كثيرة كثيرة مما قد تجلى للناس ومما يمكن أن يتجلى ولو لم يكن إلا مثل ما يذكر البعض من المؤرخين بأنه ملحوظ بالنسبة لموقع البيت الحرام ومكة بشكل عام على الرغم من أنه يبدوا مكاناً ضيقاً ومكاناً الجبال محيطة به وادي ضيق لكن يستوعب كل من يفدون إليه فليكونوا كمأ كانوا. إذاً ما هذا فيه آية من آيات الله؟ آية من آيات الله ملحوظة هذه، لاحظ حتى على الرغم من مضايقة السعوديين لمساحات مكة يستغلونها في بنايات شاهقة ويؤجرونها بأعلى الأثمان ما تزال تتسع ملايين، ملايين الناس تتسع لهم مكة وتتسع لهم تلك المشاعر وما تزال ترى أنه يوجد مجال!!

كلمة: ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٦] تبدوا مسألة واسعة واسعة ليست فقط مثل ما يقولون: هدى للمسلمين مثلاً أو هدى لسكان الجزيرة أو.. ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بالعبارة هذه، بل ربما قد تتجاوز العبارة هذه تتجاوز عالم البشر، عوالم أخرى. ومن أغرب ما ذكره صاحب [تاريخ الحرمين] (دحلان) يحكي قصة بأنه ناس شاهدوا في وقت لم يكن يوجد عند الكعبة ناس في زمان قديم شاهدوا جملاً يتجه إلى الكعبة حاولوا يمنونه ما رضي ويتجه ويطوف أربعة عشر شوطاً حول الكعبة ثم يقف عند مقام إبراهيم عند الملتزم الذي يسمونه قريب من الملتزم ورأوه ودموعه تسيل يبكي ثم سقط ومات، وكانوا يشاهدون أيضاً [ضباباً] من تلك الغزلان في

وقت لا يوجد أحد يعني يكون الناس قليلاً جداً تدخل إلى هناك إلى عند الكعبة وتحاول تتحين فرصة إلى أن تدخل إلى عند الكعبة الغزلان هذه.

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧] مقام إبراهيم ما يزال واضحاً وعندما يقول: ﴿ فِيهِ ﴾ أي يبدوا أنه كان المكان اللائق بالنسبة لمقام إبراهيم أن يكون ملتصقاً بالكعبة لأنه قالوا فعلاً كانت تلك الحجر التي فيها أثر لأقدامه أنها حجر كان مثلما تقول: [سقالة] مثلما يقولون الآن -عندنا- يطلع من فوقها وهو يبني، يبني من فوقها يستعملها فظهر فيها آثار أقدامه وهو يستعمل نفس هذه الحجر لكن فصلوها لأنه عندما يقول: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧] أليس هو يتحدث عن البيت؟^(١)

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: الآية ٩٦، ٩٧] هنا ذكر فيما يتعلق بكان آمناً ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ وفي آية أخرى أيضاً يذكر بأنه: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥] بمعنى من يلوذ بالبيت من يكون بجوار البيت يعتبر آمناً لا أحد على الإطلاق يتعدى عليه مهما كان بينه وبينه من عداوة. تجد هذه القضية يتجلى فيها رحمة الله سبحانه وتعالى أن يكون هناك أماكن

(١) روي أن عمر بن الخطاب هو الذي قام بهدم مسجد رسول الله، وقلع شجرة بيعة الرضوان "العقبة"، وأزاح مقام النبي إبراهيم عن الكعبة.
انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، الطبعة الأولى، تحقيق محمد إبراهيم المجلد ال ٦، ج ١٢.

أمنة للناس، وأن تكون تلك المواقع آمنة ما تزال في نفس الوقت يمكن أن تكون مواقع تجارية يمكن للناس أن يذهبوا إليها فيأخذوا أغراضهم ويأخذوا كل حاجياتهم، يجعل أماكن آمنة ويجعل أزمناً آمنة، ألم يجعل الأشهر الحرم أربعة أشهر في السنة يجعلها لا يجوز القتال فيها إلا في ظروف أن يحصل اعتداء من طرف ممن لا يراعون أي شيء من حرمان الله؟ إذاً هنا أزمناً يكون فيها أمن وأماكن يكون فيها أمن؛ لأنّ البشر بحاجة إلى هذا بحيث لا يكون هناك صراع بينهم لا ينتهي صراع لا ينتهي ولا له حد لا باعتبار زمن ولا باعتبار موقع، أن يكون هناك بالنسبة للأمكنة وبالنسبة للأزمناً يجعلها أزمناً آمنة ومكاناً آمناً.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧] يجعله حقاً له سبحانه وتعالى، والله على الناس حج هذا البيت، وجعل هذا البيت مباركاً وهدى للعالمين، ومثابة للناس وأمناً، حج البيت الحج المعروف ثم أيضاً العمرة التي تعتبر مفتوحة في باقي السنة ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧] عندما يكون مستطيعاً للحج إلى البيت، أذكر أنّ بعض الأئمة [أئمة أهل البيت عليهم السلام] يقول: بأنه حتى إذا لم يكن الإنسان مستطيعاً أن يحج وقد يكون مستطيعاً أن يعتمر فليعتمر لأنّه ماذا؟ ما يزال يصدق عليه حج البيت، أو حج البيت بالمعنى المصدري أي قصد البيت، لكن هناك الحج الحج الرسمي الذي هو ماذا؟ أشهر معلومات وأيضاً أيام معدودات هذه الفريضة كحج، لكن أنت قد لا تستطيع باعتبار ظروفك المادية أن تحج باعتبار ظروفك المادية فإنّه إذا اتيح لك فرصة أن

تعتمر فلتعتمر، العبارة هنا فيها عموم أو شمول أكثر من كلمة الحج في آيات أخرى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧] أليست هكذا؟ الحج قد أصبحت كلمة حج يعنى فريضة معينة معروفة مناسك معينة ومشاعر معينة هذا يقال له ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ هذا فريضة.

كلمة: حج البيت قد تكون أوسع من كلمة الحج في الآيات الأخرى، ولهذا قلت أنه فيما أعرف أن بعض الأئمة كان يقول بأنه فليعتمر إذا لم يكن مستطيعاً -مثلاً- أن يحج وتهياً له أن يعتمر فليعتمر ومتى ما استطاع، متى ما استطاع بما تعنيه كلمة: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ من استطاع إليه سبيلاً فليحج ولو قد اعتمر، كلمة من استطاع هي دون كلمة: من أطاق، يعني: يتمكن أن يحج باستطاعة، يعني: بوسع يستطيع بوسع هي ممكن، الإنسان قد يحج لكن بصعوبة بالغة فما يعتبر واجباً بالنسبة له هو إلا عندما يكون مستطيعاً كلمة: مستطيع هي دون كلمة يطيق، أي: أنك ممكن تحج بوسع، يعني: ليس فيه إرهاق لك، إرهاق شديد من الناحية المادية والبدنية.

يوجد تأكيد بالنسبة للحج كبير من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وترغيب كبير في موضوع الحج، وفي وصية الإمام علي يوصي أولاده بأن لا يخلوا البيت الحرام أن لا يخلوا منهم بالنسبة لذريته أن لا يخلوا منهم وجاء فيها بعبارة «فإنه إن ترك لم تناظروا» يعني: كأنه وراءها عقوبة.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧] رفض مع أن الله سبحانه وتعالى ما جعلها فريضة مثلاً فوق ما يستطيع الإنسان يعتبر رافضاً ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ

اللَّهِ غَيْبِي عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ هو غني ليس بحاجة إلى أحد، كلمة: غني هي اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، وتأتي في القرآن كثير في مقامات كثيرة وهي أيضاً يبنى عليها أشياء كثيرة يعني هي في الأخير توجد خوف عند الناس، أن يعرف الناس أنه إذا لم يستجيبوا فالله هو غني عنهم ممكن يهين غيرهم، أعني مظاهرها كثيرة مثلما يقول: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبِدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: من الآية ٣٨] ﴿مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤] هو غني بمعنى أنها فرصة للناس هم، ما معناه بأنهم سيلبون حاجة لله سبحانه وتعالى هو محتاج إليها، أبدأ، إن كل هداه لهم، وكله فضل لهم، وكله خير لهم، أما هو فهو غني، هذه نفسها مما تجعل الإنسان دائم الخوف من الله والخضوع لله مهما كان ليعرف بأنه ليس في موقع يمكن أن يكون له منة على الله على الإطلاق، هو غني عنه، بل تعتبر بأنها منة من الله عليك أن هداك ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: من الآية ١٧] ^(١).

هذا الإندماج الكلي بين البيت والرسول والحج يدل على الأهمية الكبيرة، والدور الواسع للبيت على مستوى الكون بأكمله، ومع تطور وسائل الحياة وعمارة الأرض، وتطور وسائل الصراع أيضاً تزداد هذه الأهمية، حيث نرى الأمة تفتقر لكل هذه المنطلقات الأساسية في حياتها، بمعنى أننا بحاجة ماسة لتقديم هذه العبادة بمدلولاتها ومفاهيمها الواسعة للتذكير بدور البيت الرئيسي والأساسي في الحياة على كل الأصعدة

(١) دروس رمضان، الدرس الرابع عشر، سورة آل عمران.

ومختلف الميادين بما يتجاوز الإطار والدور التقليدي الجامد والهامشي وصولاً لتحقيق الدور الحضاري والإنساني للبيت باعتباره يمثل هدًى للعالمين على كل الأصعدة، ويتجلى ذلك فيما يلي:

١- **الصّعيد العبادي والسلوكي والتربوي:** حيث تتجلى قيمة العبادة والعبودية لله في أبهى صورها، وتنصهر النفوس، وتذوب الأرواح في خالقها وحده لا شريك له أمام قداسة وعظمة ربّ هذا البيت، بما ينعكس إيجاباً على سلوك ونفسية الإنسان تربوياً بالشكل الذي يهيئه للإنطلاقة في دوره الواسع في الحياة.

٢- **الصّعيد الفكري والثقافي:** من خلال ما تمثله هذه العبادة الروحية والنفسية والعملية والسلوكية من تأثير نفسي وروحي ووجداني يسهم في تصحيح وصياغة الأفكار والثقافات المرتبطة ببعضها البعض مع البيت والرسول والقرآن الكريم، الذي يمكن أن يتحقق في هذه الأيام المعدودات.

٣- **الصّعيد العلمي والمعرفي:** يمكن أن يشكل نهضة علمية ومعرفية كبيرة للناس جميعاً، ويقود عملية التغيير في فضاء العلم والمعرفة من حيث الموقع والدور والزمان والمكان باعتباره يمثل هدًى للعالمين، ويحقق تحولات علمية وحضارية شاملة في مسيرة البشر وفق سنن الله الكونية، والتشريعية، والعلمية.

٤- **الصّعيد الإنساني والإجتماعي:** يرتبط بالتاريخ والأعلام والهداة، ويمتزج بالحضارة على صعيد واحد يلتقي فيه الناس من كل الأمم والمجتمعات فيشكلون كتلة إجتماعية وإنسانية واحدة تنصهر وتذوب في بعضها البعض تحقق غايات البعد الإنساني والإجتماعي كأمة واحدة.

٥- **الصَّعيد الأمني:** حيث يوفر الحرّية المطلقة، والأجواء والفرص الإستثنائية التي تنهياً فيه وهيئها الله لعباده تدفع باتجاه تحقيق المكاسب المشروعة للناس، وتنمية نقاط القوة لتحقيق الدور الواسع للدين بحرية مطلقة بعيداً عن الأجواء والوضعيّات والظروف الضاغطة، والإستغلال والإنتهازية، باعتباره يمثل مثابةً للناس وأمننا.

٦- **الصَّعيد السياسي:** كعبادة حضارية وسياسية تواكب الظروف والمتغيرات والأحداث والمستجدات، وساحة طاهرة يتحقق من خلالها البعد السياسي للدين والرسالة كأكبر ساحة وصعيد واسع، ومؤتمر إسلامي سنوي مليوني يعبر عن الوحدة والقوة، ويتحقق من خلاله رسم الخطط والبرامج والمشاريع الرئيسية والأساسية في الحياة، ويرتبط إرتباطاً وثيقاً بقضايا الصراع العميق، ومواجهة التحديات والمخاطر التي تحدق بالأمّة.

٧- **الصَّعيد الإقتصادي:** كأعظم ملتقى بشري على سطح الأرض يفتح خطوط وآفاق إقتصادية وتجارية واسعة، تحقق النفع والفائدة، وتحافظ على توازن الأمّة التجاري، وتكامل حركة الشعوب الإقتصادية، ونموها، وتطورها، وازدهارها على قاعدة "ليشهدوا منافع لهم"، وقاعدة: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم".

هجرة النبي إبراهيم (ع) إلى البلد الحرام

بعد أن تبرأ النبي إبراهيم من أبيه وقومه وحطم الأصنام وأرادوا به كيداً كما قال الله سبحانه وتعالى، وقرروا أن يحرقوه في النار، وبعد أن أبطل الله كيدهم ومؤامرتهم تلك وجعلهم الأسفلين كما قال الله: ﴿قُلْنَا يَا

نَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿[الأنبياء: ٦٩] قرر إبراهيم أن يعتزل قومه، وأن يهاجر إلى ربه ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهِدِينَ﴾ [الصفات: ٩٩] وهاجر هجرته الأولى من بابل في العراق إلى أرض "فلسطين" في الشام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] ومن هناك هاجر هجرته الثانية إلى وادي "مكة" بأمر من الله سبحانه وتعالى، وبأمر من الله شرع في بناء قواعد البيت الحرام ليكون بيتاً لله وحده لا شريك له، وقاعدة ينطلق منها الناس في عبوديتهم لله الواحد الأحد، وإعلان موقفهم الراض لكل ما سواه، ويؤكد الله سبحانه وتعالى في أكثر من موقع وعلى لسان نبيه إبراهيم حرمة هذا البيت وأمنه.

٣- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الشَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١].

وهنا يؤكد نبي الله إبراهيم مجدداً على حرمة وأمن هذا البيت، مبتهلاً إلى الله سبحانه وتعالى أن يجنِّبه وبنيه عبادة الأصنام التي تعتبر رمزاً للضلال والشرك بالله سبحانه وتعالى، ليبقى الإنسان حراً في عبادته

وتوجهه إلى الله لا يخضع لأحد سواه، ولا يتلقى التوجيهات والأوامر والتعليمات من أحد غيره من الضالين الصادين عن سبيل الله، سواءً كانت أصناماً بشرية، أو حجرية، أو خشبية، فكل ما يحول بين الناس وبين الإستجابة لله، وعبادته، وإقامة دينه، وإعلاء كلمته يجب رفضه، والكفر به، والبراءة منه، فملة إبراهيم الحقيقية تتمثل في عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر والبراءة مما سواه، كما جاء على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث قرّر النبي إبراهيم (عليه السلام) أن يسكن من ذريته عند هذا البيت من يقوم به وتدبير أموره وشؤونه، مستعيناً بالله سبحانه وتعالى في تحويل قلوب الناس إليهم، وتعلقها بهم، واستجابتها لهم، وأن يوفر لهم الرعاية الكاملة في تلك المنطقة والظروف الصعبة حيث لا زرع فيها ولا ثمرات، ليتمكنوا من القيام بمهمتهم في عمارة البيت الحرام، وتعليم الناس مناسكهم، فيألف الناس ويرغبون قصد هذا البيت استجابة لنداء إبراهيم الصادر بأمر من الله سبحانه وتعالى، ولتكون الأسرة الأولى التي تمثل قاعدة الحج للبيت الحرام، ومنطلقاته، وأهدافه فينجذب الناس إليها، ولتمثل هذه المنطقة قاعدة تجارية، ومؤسسة دينية ثقافية، وتعليمية، وروحية، وسياسية، تدفع الناس إلى عبادة الله وحده، ولعلمهم يشكرون.

يوصل النبي إبراهيم إبتهاله ودعائه إلى الله الذي يعلم السرّ وأخفى، متوجهاً إليه بالحمد والشكر على ما أمتن به وأنعم عليه ووهبه

إياه من الذرية الصالحة الطيبة المباركة على الكبر، وتقدم العمر في سن الشيخوخة قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨، ٣٩].

ويستمر النبي إبراهيم في توجهه وابتهاله ودعائه إلى الله له ولذريته ولوالديه وللمؤمنين قائلاً: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١]، فالثبات والإستقامة والإستمرار على الدين والعبادة، وطلب قبول الدعاء، والمغفرة شعور روعي ونفسي عميق وراسخ في نفسية الإنسان المؤمن يجب أن لا يغفل عنه في ساحة الإيمان والعبادة.

التسليم المطلق لله

تجلت أبهى صور التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى على يد نبيه إبراهيم وولده إسماعيل في أعظم إبتلاء وإختبار قد يتعرض له من هم في أعلى درجات الكمال، حيث وصفه الله بأنه "البلاء المبين" أي: العظيم، حيث تنوعت حركة حياة النبي إبراهيم في مواجهة الإبتلاءات والمواقف الصعبة بدءاً بأبيه وقومه، ومروراً بتحطيم الأصنام، والقذف به في النار، ونجاته منها بأمر الله، وانتهاءً بأعظم وأشد إختبار وإبتلاء وهو ذبح ولده "إسماعيل" وتقديمه قرباناً بين يدي الله، والذي لم يأت إلا بعد حياة حافلة بالمواقف الصعبة والشديدة، والعزلة والغربة، والهجرة، والدعاء، وفي سن متقدم من العمر، حيث كان نبي الله إبراهيم قد بلغ

من العمر عتياً، وهو في مرحلة متأخرة من العمر بعد أن قرر اعتزال قومه والهجرة إلى الله بعد أن أنجاه الله من النار، حيث قدم الله وعرض هذه القصة بأسلوب فني بديع من أساليب القرآن الكريم يصور فيه هذا المشهد العظيم، الذي تجلت فيه ومن خلاله أروع وأعظم مواقف الإيمان، والتسليم، والحب والطاعة لله سبحانه وتعالى دونما سواه.

٤- يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهِدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا هَوَىٰ الْبَلَاءِ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ٩٩-١١٣].

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهِدِينَ ﴾ أي: مهاجراً إلى الله سبحانه وتعالى من بلده تاركاً لأبيه وقومه، بعد أن بذل جهده في إصلاحهم وهدايتهم وتبيين إصرارهم على الشرك، وبلوغ الغاية في الكفر وذلك بعد محاولتهم إحراقه بالنار كأشد نكاية وعقوبة وعذاب ينزلونه بإبراهيم، هذه النار التي طالما كان يحذرهم منها ويدعوهم لما ينجيهم من الوقوع فيها، فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين كما قال الله سبحانه وتعالى، فتحرك إلى ساحة جديدة بعد أن يس من هدايتهم وأدرك أنهم لن يؤمنوا ووجب عليه هجرتهم، حيث كانت وجهته

إلى الله يلتمس الهداية منه قائلاً ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وهو في سن الشيخوخة والكبر، وهنا تتجلى عظمة نفسية إبراهيم مرة أخرى، فهو لم يطلب من الله أي ولد لإرضاء الغريزة النفسية في حب الأولاد، بل طلب ولداً صالحاً يتحرك معه في طاعة الله، ويكون عوناً له في مهمته وحركته في الحياة، ومشوار تبليغ الرّسالة، وهذا الشعور النفسي والوجداني ينطلق من واقع الإيمان بالله، والإدراك الحقيقي والواعي في مواجهة ظروف الحياة، والحركة الإيمانية العملية ومتطلباتها، فأستجاب الله سبحانه وتعالى دعائه ووهب له إسماعيل ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ تتجسد وتبرز فيه صفة الحلم كما كان أبوه عندما قال الله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ حيث كان الحلم من أبرز صفاته، وفي عمق هذه الفرحة والسعادة وبعد طول العزلة والمعاناة كان نبي الله إبراهيم أمام ابتلاء وامتحان شديد وجديد: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ في هذه المرحلة التي أصبح يتحرك فيها مع والده، وتحقق نفعه وفائدته، وأصبح مقتدراً على الحركة والسعي والعمل، وهي أحسن وأهم مرحلة في طبيعة علاقة الوالد بولده خاصة في سن الكبر: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ وهذا يبدو أنه كان جزءاً من الوحي فرؤيا الأنبياء هي من الوحي، وهو الذي فهمه وأدركه نبي الله إبراهيم، والرؤيا الصادقة تبداً ثابتة في مسيرة الأنبياء فقد حكى الله ذلك عن رسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّثُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦٠]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رُسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ أَمِينِينَ مُخْلِطِينَ

رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ [الفتح: ٢٧]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَاهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَتَنَّازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ [الأنفال: ٤٣].

لخطورة الموضوع وأهميته باشر "إبراهيم" بطرحه على ولده "إسماعيل" في إختبار وإبتلاء شديد لولده إسماعيل أيضاً، ومباشرة وبدون أي تفكير أو تردد: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ لتتجلى مرة أخرى أبهى صور ومشاهد التسليم والطاعة والإنقياد لأمر الله سبحانه وتعالى، إنّه التسليم المطلق المنطلق من الإيمان الراسخ، والمعرفة الحقيقية بمقتضيات الإيمان، والحب والذوبان في الله سبحانه وتعالى، لقد تجلت هنا صورة فريدة من نوعها في التسليم والتضحية مع الوالد وولده، إنّها صورة فريدة من نوعها حقاً، ولم يسجل القرآن الكريم هنا أيّ تردد أو إعتراض من قبل "إبراهيم" وولده "إسماعيل"، ولا من قبل زوجته أمّ إسماعيل، فالذي يفهم أنّها كانت مسلمة لله أيضاً وممثلة لأمره، وهذه الروحية والنفسية الإبراهيمية، والتي تجسدت أيضاً في ولده إسماعيل وأمّه هي أشبه ما تكون اليوم بنفسية وروحية الآباء والأمهات والأبناء الذين يدفعون ويذهبون بأولادهم وأنفسهم إلى ساحات وميادين وجبهات القتال والتضحية في سبيل الله سبحانه وتعالى، وأمام هذا التسليم والإنقياد لله سبحانه وتعالى وبعد أن تلّ ولده للجبين أي: صرعه على إحدى جانبي جبهته ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ جاء التدخل الإلهي سريعاً ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ فلم يكن مأموراً إلا بتصديق الرؤيا فقط وهذه هي سنة الله مع عباده المحسنين ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ الإختبار العظيم، ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ أي: كبش سمين وكبير فدى الله به نبيه إسماعيل، وهنا تتجلى الألفاظ والتدخلات الإلهية والرعاية الخاصة لأولياء الله عندما يستجيبون وينطلقون ويمتثلون، وبهذه المواقف جعل الله سبحانه وتعالى لنبيه "إبراهيم" الذكر والثناء الحسن في الآخرين في كل الأمم والناس من بعده، وقرنت الصلاة والسلام عليه وعلى آله مع ذكر كل الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم نبينا محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) فعندما نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] روى "الإمام المرشد بالله" في أماليه بإسناده عن الإمام زيد بن علي عن أبيه عن الإمام علي (عليهم السلام) قال: لما نزلت هذه الآية جاء رجل فقال: يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فأخذ بيده ثم قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) فذكر الخمس الصلوات -أي: وبارك، وترحم، وتحنن، وسلم- ثم قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): (خذها يا علي خمساً فإنك من أهلها)^(١)، وهذه الصلاة معروفة ومروية عند جميع المسلمين، وهي التي نذكرها في التشهد في الصلاة، وهذا ينسجم مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي

(١) أمالي المرشد بالله ج ١/ ص ١٢٣.

المُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾ [الصفات: ١٠٨-١١١].

لقد بقي إبراهيم رمزاً كبيراً وقدوة حسنة لكل الناس بما استمده من حيوية وثبات وصلابة في دين الله، وقوة الإيمان والوعي والبصيرة واليقين، بحيث لا يجد لنفسه أي حرية ذاتية، أمام الله وأوامره مع نفسه وولده، وأبيه وقومه، وكافئه الله وبشره بعد هذه البلوى وهذا الإختبار بولد آخر: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وجعله من عباده الصالحين، وجعل النبوة والإمامة في ذريته: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِمَّن ذُرِّيَّتُهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ فالمحسن هو السابق بالخيرات بإذن الله الملتزم بمنهجية وشريعة الإيمان ﴿وَوَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ وهو المنحرف عن هذه الملة الحنيفية، التارك لدوره ومسؤوليته في الحياة.

وأذن في الناس بالحج

٥- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذَّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ هُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتِهِ الْأَنْعَامَ فَكَلُّوا مِنْهَا وَأَطَعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٥-٢٩].... إلخ.

الصّدّ عن سبيل الله والمسجد الحرام، أي: المنع، وكلّ الإجراءات التي تؤدي إلى المنع والصدّ تمثل جريمة كبيرة وشنيعة عند الله سبحانه وتعالى وراها العذاب الشديد في الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وهذا دليل على أنّه لا ولاية للظالمين على البيت ولا على الأمّة، ولا يملك أحد حقّ سلطة المنع والصدّ عن بيت الله، لأنّ الله سبحانه وتعالى جعله للناس جميعاً، سواءً العاكف فيه أي: المقيم الملازم للمكان القائم فيه بحيث يكون من أهله أو القائم عليه، (والباد) أي: الآتي إلى المسجد الحرام من البداية أو من خارجه فكلهم سواء، لا يملك أحد سلطة القهر والمنع والتحكّم على الآخر، وإنّما كما يقول الله سواءً العاكف فيه والباد، فالمقيم فيه والآتي من خارجه إليه كلهم سواء: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: من يميل عنه وعن أهدافه ومقاصده وأجوائه وظروفه، ويتخذ الإجراءات التي تعيق وصول الناس إليه وحركتهم فيه، بظلم أي: بدون أي حق، يذقه الله من عذاب أليم، جزاء له على تمرده، وعصيانه، وظلمه، مثله كالكافرين الصادين عن سبيل الله، لأنّ الله سبحانه وتعالى قد أعطى النّاس المؤمنين حرية الدخول إلى المسجد الحرام سواء بقصد الحج أو العمرة أو العبادة، ولم يجعل لأحد منهم من هذا الحق، وكلّ ما تمّ إستحداثه من قوانين وإجراءات من قبل النظام السعودي تحول بين النّاس المؤمنين وبين بيت الله، وتضيق عليهم الخناق، وتضاعف من

معاناتهم- إلا من كان وما كان حسب شروطهم وأهوائهم وبإذن منهم- يتنافى تماماً مع هذه الآية المباركة، وكلها إجراءات وأساليب باطلة وظالمة ورائها العذاب الأليم.

إن فريضة وعبادة الحج، وكذلك بناء البيت لم يكن أمراً طبيعياً ولا شيئاً عادياً، بل هو بأمر من الله سبحانه وتعالى أمر به نبيه إبراهيم الخليل (عليه السلام) ليكون بيتاً ومسجداً له على مستوى العالم كله، يمد إليه الناس من كل بقاع الأرض تلبية لدعوة ونداء وأذان إبراهيم في الناس، وبوأ الله سبحانه وتعالى لنبيه إبراهيم مكان البيت أي: هيئته وجعله مكاناً يرجع إليه، ويقصده الناس بشكل مستمر ودائم مثابة للناس وأماناً، لينطلق الناس من خلاله، ومن خلال أجوائه، وشعائره، ومناسكه، بأثر كبير في واقع الحياة والنفوس على أساس التسليم والعبادة الخالصة لله، وأمره الله بتطهير بيته الطهارة والنظافة الكاملة للطائفين والقائمين والركع السجود، ثم أمره أن يأذن في الناس بالحج، كإعلان وبلاغ يصل إلى كل الناس، ويبقى صوته وصداه يتردد إلى آخر أيام الدنيا: ﴿يأتوك رجالاً﴾ أي سائرين راجلين على أقدامهم: ﴿وعلى كل ضامر﴾ ويقصد بها البعير من الإبل: ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي: الطريق البعيد، وفي هذا آية كبيرة من الله سبحانه وتعالى أن جعل هذا النداء للناس جميعاً في كل أقطار الأرض، أي ليس بالتنقيط، ولا يتوقف على أرقام وأعداد معينة كما يفعل النظام السعودي اليوم كما سبق وأن مررنا بنا: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ وفي هذا دلالة على أن في الحج نفسه منافع كبيرة وكثيرة للناس

دينية ودنيوية، كما كان للبيت نفسه دوره الواسع والكبير في حياة الناس بإعتباره يمثل هدىً للعالمين فيلتقي الناس جميعاً في الحج على صعيد واحد تذوب فيه وتسقط كل الحواجز والفواصل بين الناس ليسيروا على منهج واحد وخط واحد في ساحة واحدة هي ساحة وميدان الإيمان بالله وحده لا شريك له والجهاد في سبيله، كمؤتمر إسلامي عالمي سنوي يحقق النفع والتكامل السياسي، والإقتصادي، والحضاري للناس في حركتهم في واقع الحياة، من موقع الوعي والبصيرة بتشريع الله وهداه، كشاهد حقيقي على سر عظمة دين الله وتشريعه وهدايته لعباده: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ وهي أيام التشريق: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَيِّمَاتٍ الْأَنْعَامِ﴾ إلى آخر الآيات المباركات، وليشهدوا منافع لهم في الحجّ وبعده عندما يكون ويقوم على أساس إسلامي صحيح فإنه يحقق لهم الغاية الكبرى من هذه العبادة القائمة على أساس من الطهارة والكمال، ولهذا يعتبر البيت والحج مصدر قلق وتهديد كبير يؤرق "اليهود" ولهذا يعملون مباشرة وعبر أدواتهم والأنظمة العميلة لهم على طمس هويته ورمزيته ومعامله، ساعين إلى السيطرة عليه كما هو الحال في عصرنا الحاضر سواءً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وسيمر بنا في سياق بحثنا هذا مخططات ومؤامرات اليهود الهادفة للسيطرة على الحج.

الجانب الأمني في الحج

يعتبر الأمن في الحج شيئاً أساسياً وضرورياً أكد الله عليه في القرآن الكريم في الآيات التي تحدثت عن الحج كما سبق وأن مر بنا، وهو يتمتع

بقداسة وحرمة خاصة في الأرض، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة "أصحاب الفيل" في سورة الفيل التي تدل على حرمة وقداسة وأمن هذا البيت العتيق.

قصة أصحاب الفيل

٦- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١-٥].

عندما جاءوا بكل قوتهم وعتادهم ليهدموا الكعبة مصطحبين الفيلة يتقدمها فيل ضخم عرفوا وسموا به، بما تمثله الفيلة من وسيلة رعب أمام قريش، وتعرف الفيلة بقدرتها على الحرب وتعلم وإتقان فنونها، وعادةً ما كان يستخدمها الروم والفرس والأحباش في حروبهم ، فهي غير معروفة ولا مألوفة عند العرب.

توجه "أبرهة" بالفيلة وجيش كبير لهدم الكعبة، بعد أن كان قد بنى "كنيسة" في صنعاء وأراد صرف الناس وتحويلهم عن الكعبة إليها، وأراد أن يكون لها من القداسة والمكانة كتلك القداسة التي يمتاز بها بيت الله الذي بناه نبيه إبراهيم ووضع قواعده وأرسى دعائمه، ولكن حدث العكس من ذلك عندما قام بعض الناس بتلوين هذه الكنيسة بالقاذورات والأوساخ، فبعثه عتوه وتجبره لتجهيز هذا الجيش العظيم والتحرك به

نحو الكعبة لهدمها، وعندما وصلت مقدمة هذا الجيش إلى مكة خرجت "قريش" إلى رؤوس الجبال، وقالوا لا طاقة لنا بقتال هؤلاء، ولم يبق بمكة غير عبدالمطلب بن هاشم يلوذ بالبيت ويقول:

اللهمَّ إنَّ المرءَ يمنعُ رحله فـامنحُ رحالك
لا يغلبوا بصليهم ومحالهم عدواً محالك
لا يدخلوا البلد الحرام إذاً فأمر ما بدالك

واثقاً بالله وملتجئاً إليه طوال ليلته تلك، وعندما لم يكن هناك من يذود عن بيت الله ويدفع عنه هؤلاء الغزاة والمعتدين، جاءت التدخلات الإلهية الحاسمة مباشرة، فجعل الله كيدهم في تضليل، وأحبط مخططاتهم ومؤامراتهم، ومع طلوع شمس ذلك اليوم تحركوا لهدم الكعبة البيت الحرام فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل، وهي الجماعات الكثيرة المتفرقة من الطيور التي تأتي وتهاجم من كل مكان فجعلت ترميهم بحجارة من سجيل أي: حجارة ممترجة بالطين، فلا يقع حجر من تلك الحجارة على جسد إلا أحرقه، ولا عظم إلا أواهه وثقبه، فجعلهم كعصف مأكول، والعصف هو ورق الشجر المتفتت، فتمزقت وتفتت أجسادهم، وتحولت أجسادهم إلى أشلاء متناثرة بقدرة الله سبحانه وتعالى، ومُنوا بهزيمة تاريخية نكراء، كل ذلك بتدخل الإرادة والقدرة الإلهية الخارقة للعادة، لحماية بيته ومسجده الحرام، وتحول ذلك العام إلى تاريخ للناس يؤرخون به فأصبحوا يؤرخون بعام الفيل.

نعمة البيت على قريش

يمثل البيت أكبر نعمة على عباده في الأرض جميعاً، وكان يمثل نعمة كبيرة بصفة خاصة على "قريش" قبل الإسلام حتى في تلك المرحلة التي انحرف الناس فيها عامة وقريش خاصة، وأشركوا بربهم واتجهوا إلى عبادة الأصنام، وملئوا بها البيت ومحيطه، بعد أن كان قد ثار عليها وحطمها أبوهم إبراهيم في قادم الزمان، وقد كان للبيت الأثر الكبير في حياة قريش خاصة، وقد رأينا كيف كان مصير أصحاب الفيء عندما توجهوا لهدمه، وكيف كان عاقبتهم وعاقبة أمرهم وكيدهم، وكيف حفظ الله بيته وحفظ أمنه وصان حرمة أمام كيد الكائدين، وجبروت المتجبرين، كما سبق ومرّ بنا في سورة الفيء.

لقد كان بيت الله الحرام يمثل لقريش نعمتين لا نظير لهما، النعمة الأولى: هي النعمة الإقتصادية، والنعمة الثانية: هي نعمة الأمن، وذلك استجابة لدعوة نبيه وخليه إبراهيم، ولأمر يريده الله سبحانه وتعالى، فحين كانت الحالة الأمنية مضطربة في الجزيرة، وتضطرب معها الحالة الإقتصادية والتجارية على ما كان شائعاً من غارات السلب والنهب واللصوص وقطاع الطرق، فإنّ حرمة البيت في أنحاء الجزيرة قد كفلت لقريش توفر نعمة الأمن والإستقرار من جهة، والنعمة الإقتصادية وحرية الحركة التجارية وبركة الرزق الواسع في أمان وسلام وطمأنينة من جهة أخرى، في حلهم وترحالهم كما قال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْيِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التقصص: ٥٧]

فكانوا يسيرون في الأرض آمنين مطمئنين حيث ما حلوا وجدا الرعاية والكرامة والإطمئنان، مما ساعدهم على إنشاء خطين عظيمين من خطوط التجارة عن طريق القوافل التجارية إلى اليمن في الجنوب وإلى الشام في الشمال، وشجعهم على تنظيم رحلتين تجاريتين ضخمتين إحداهما إلى اليمن في الشتاء وقيل إلى الحبشة والثانية إلى الشام في الصيف، وفتحت أمام قريش أبواب الرزق الواسع المكفول في أمان وسلام وإستقرار ألفين مألوفين، وجعلت هذه ميزة ظاهرة لقريش بصفة خاصة كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧] فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، رغم ضعف حالهم وبيئتهم وحالة أرضهم، بينما يُتخطف الناس من حولهم، وفي هذا تذكير كبير لقريش بأهمية هذه النعم لعلهم يتوبون ويؤوبون إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

٧- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ١-٤].

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ يعني ألفين مألوفين يألفهم الناس ويألفونهم في حال أن الخوف كان شائعاً في بلاد العرب، وذلك بسبب نعمة الكعبة بيت الله الحرام، فكان الناس يسافرون للتجارة إلى مكة فيأمنون فيها، وكان "قريش" يسافرون في الأرض آمنين بحرمة البيت الذين هم جيرانه، كل ذلك نعمة من الله رب هذا البيت الذي جعله للناس مثابة وآمناً، وقريش

هي قبيلة عربية من أبناء النبي إبراهيم من ذرية ولده إسماعيل (عليهم السلام): ﴿إِبْرَاهِيمَ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ألفين مألوفين في رحلتي الشتاء والصيف لا يعاديهم ولا يعتدي عليهم ولا ينفر منهم أحد، وبالرغم من جفاف بلادهم وفقرها فقد حصلوا ببركة البيت على حياة الرخاء والرفاهية وهيئ الله لهم السبل الآمنة في رحلاتهم التجارية، وجعل لبلدهم الأهمية الاقتصادية في المنطقة، بالإضافة إلى الأهمية الدينية فعاشوا في رخاء وسعه وهناء: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وحده لا يشركون به شيئاً ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أطعمهم من جوع وغيرهم من العرب جائعين، وأمَّنهم من خوف وغيرهم من العرب خائفين، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وهياً لهم الكثير من فرص التبادل التجاري والإقتصادي مع المناطق الأخرى ببركة هذا البيت عليهم، والوجاهة الكبيرة التي حصلوا عليها في الناس من خلاله، وهذه النعمة الكبيرة كانت تستوجب عليهم عبادة الله وحده والإيمان برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

البراءة من المشركين في الحج

يمثل الحج أكبر عبادة لله في الأرض يلتقي الناس المسلمون فيه سنوياً بالملايين من كل أقطار الأرض على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ولغاتهم ولهجاتهم في مكان واحد استجابة لنداء النبي إبراهيم الخليل ليشهدوا منافع لهم، ويؤدوا العبادة بوحداية لله عز وجل، فهو يمثل فرصة كبيرة لترتيب أوضاع المسلمين، وتنظيم شؤون حياتهم، ومعاملاتهم في كل جوانب الحياة الدينية، والسياسية، والإقتصادية، والأمنية، والحضارية،

ويعبروا فيه عن وحدة موقفهم وتوجههم لمبشرين ومهللين ومكبرين بوحدانية الله عز وجل، معلنين الكفر بكل ما سواه، ونبذ كل المعتقدات والأعمال الخرافية، بأمن وأمان، واستقرار وسلام، على ملة نبيهم إبراهيم الذي بوأ الله له مكان البيت أن لا يشرك به شيئاً، وعهد الله إليه بتطهيره لطائفتين، والعاكفين، والقائمين، والركع السجود، سواء العاكف فيه والباد، مقتدين بالنبي إبراهيم في إعلان البراءة من المشركين، وقد جسد هذه الملة وهذا التوجه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأعلن البراءة في الحج من المشركين بأمر من الله سبحانه وتعالى باعتبارها عملاً وموقفاً أساسياً من أعمال ومواقف الحج، وذلك في أول عملية تحول للحج وإعادته إلى الحج الإسلامي على ملة إبراهيم من خلال سورة التوبة التي حددت للمسار العملي الذي يتحركون فيه في علاقاتهم مع المشركين وأهل الكتاب، ولتحسم الموضوع بكله مع المشركين وتلغي المعاهدات معهم، وتمنعهم من الحج والإقتراب من المسجد الحرام بعد عامهم هذا، ولتؤكد انتهاء الصلة والعلاقة بينهم وبين المسلمين، وتعلن الحرب على المشركين بحيث لا يبقى للشرك والمشركين أي مكان، وليمثل الحج في يومه الأكبر قاعدة ومنطلقاً للبراءة من كل من يبرزون أنداداً من دون الله، فتوحيد الله، والكفر بما سواه، والإنطلاق في عبادته بكل حرية وإستقلالية دون هيمنة من أي طرف كان من أهم أساسيات الإسلام وشريعة الله، فجاء الأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر بإعلان البراءة من المشركين، بل وإعلان الحرب عليهم، ونبذ العهد الذي كان بينهم وبين الرسول، وقد أرسل رسول الله (صلوات الله عليه

وعلی آله) هذه البراءة إلى المشركين لتقرأ عليهم في يوم الحج الأكبر، يوم إجتماعهم في ميدان وصعيد واحد وهو يوم عرفه، ولما نزلت سورة براءة أرسل رسول الله أبا بكر إلى مكة ليقراها على الناس فنزل جبريل على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وقال له: (لا يبلغها إلا أنت أو رجل منك) فدعا رسول الله الإمام علي بن أبي طالب وأمره أن يلحق بأبي بكر ويأخذها منه ويبلغها هو عنه، فرجع أبو بكر إلى رسول الله وفي نفسه شيء، فقال: يا رسول الله أنزل في شيء، قال: لا ولكن جبريل أتاني فقال: (لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك) فذهب علي (عليه السلام) إلى مكة فلما كان يوم النحر قام ونادى في الناس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقرأ عليهم العشر الآيات الأولى من سورة براءة في السنة التاسعة للهجرة^(١).

٨- يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا

(١) انظر المصايح للشرفي، ومسند ابن أبي شيبه، ومسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣، ورواه الحاكم في المستدرک آخر کتاب المغازی، ج ٢، ص ٥١، وابن كثير في البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٥٦، ومحمد بن سليمان الكوفي في كتاب مناقب الإمام علي، ط ٢، مجمع الثقافة الإسلامية، تحقيق محمد باقر المحمودي، المجلد الأول، ص ٥١٨، وفي هذا روايات عديدة.

إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَابُوا
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ
يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *
لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠٠-١﴾ [التوبة: ١-١٠٠].

وحول هذا الموضوع يقول الشهيد القائد/ السيد حسين بدرالدين الحوثي

(رضوان الله تعالى عليه) :

"في الحج يوم أن بدأ المسلمون يهتفون بالبراءة من المشركين، يوم أن
بدئوا يعملون على أن يعود الحج إلى أصالته الإسلامية؛ لأنّ الحج في أول
عملية لإعادته إلى حج إسلامي إنّما كان يوم أرسل الرسول (صلوات الله
عليه وعلى آله) علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) ليعلن البراءة من
المشركين بتلك العشر الآيات الأولى من سورة براءة؛ ليعلن البراءة من
المشركين، بل ليعلن الحرب على المشركين وليس فقط البراءة منهم.

كانت تلك هي أول عملية لتحويل الحج إلى حج إسلامي، وصبغه
بصبغة توحى بالأهداف المقصودة من وراء تلك العبادة العظيمة التي هي
الحج، فعندما بدأ الناس يهتفون بـ[الموت لأمريكا والموت لإسرائيل] في

الحج، بأمر من ابن علي الذي هتف ببراءة، فقال سبحانه وتعالى يحكي تلك البراءة ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: من الآية ٣] براءة من الله، وبراءة من رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وبراءة من علي، قرأها علي كلها براءة من المشركين.

يوم أن تحرك ابن علي الإمام الخميني (رضوان الله عليه) ليعيد الحج إلى أصالته عرف أولئك الذين لا يريدون للعرب أن يتحركوا قيد أنملة لأداء الواجب الملقى على عواتقهم من الله سبحانه وتعالى في مثل هذه الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٠] صدر المنع وحدث ما حدث في الحيلولة دون أن يتردد ذلك الشعار.

ونحن العرب لا نفهم، وهذه هي بساطتنا، وهذا هو ما جعلنا ضحية لليهود، نحن من دائماً نضع حداً لأعمال المفسدين، ونضع حداً للفساد.. أنه إنما سيصل إلى هنا فقط، ولا نعلم بأن الفساد لا ينتهي، أن الفساد لا حد له، أن الفساد لا يتوقف عند نقطة معينة، أن الظلم والباطل لا يتوقف عند نقطة معينة. من الذي كان يتصور أن بالإمكان أن تصل بنا الحال إلى أن نمنع في مساجدنا من ترديد مثل هذا الشعار؟. أوليس الأمر قد وصل إلى ذلك؟ لقد عمم هنا في اليمن على المساجد أن لا يتحدث الناس فيها عن أمريكا، وكنا نحن لا نتصور إلا أنه فقط مُنع في الحج.

عندما جاء المنع في الحج تجاوب المسلمون ولم يكونوا يهتموا بأن عليهم أن يقفوا موقفاً يجعل أولئك يباسون من أن باستطاعتهم أن يوقفونا عن أداء الواجب الإلهي الملقى على عواتقنا نحن العرب في مثل قوله تعالى

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٠] لكننا هكذا قلنا لا بأس في الحج. بعد الحج ما الذي حصل؟. منع في المساجد، فقلنا: لا بأس فالمساجد هي للعبادة، كما قال أولئك: [الحج هو عبادة، وأنت عليك أن تذكر الله فقط ولا تتعرض لشيء]. سنقول نفس الشيء: [هذه مساجد وما دخل المساجد بـ(الموت وأمريكا والموت لإسرائيل واللعنة على اليهود) ونحوها].

هل المساجد أعظم من القرآن الكريم؟ القرآن الكريم مليء بتلك الآيات التي تلعن الظالمين، وتلعن الفاسقين، وتلعن اليهود والنصارى من مثل هذه الآية ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]^(١).

ويقول (رضوان الله تعالى عليه):

"وهكذا أراد الله للحج أن يكون ملتقىً إسلامياً، يذكر الناس فيه بعضهم بعضاً بما يجب عليهم أن يعملوه من أجل دينهم في سبيل مواجهة أعدائهم.

الإمام الخميني الذي عرف الحج بمعناه القرآني الكامل، هو من عرف كيف يتعامل مع الحج فوجه الإيرانيين إلى أن يرفعوا شعار البراءة من أمريكا، البراءة من المشركين، البراءة من إسرائيل، ونحن هنا كنا نقول: لماذا يعمل هؤلاء، ولم ندر بأن أول عمَلٍ لتحويل الحج إلى حج إسلامي تَصَدَّرَ ببراءة قرأها الإمام علي -إمامنا- العشر الآيات الأولى من سورة

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة الإرهاب والسلام.

[براءة] هي بداية تحويل الحج إلى حج إسلامي ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: من الآية ٣] ورسوله بريء من المشركين وقرأ البراءة من المشركين الإمام علي بن أبي طالب. ونحن كنا هنا نقول ونحن شيعة الإمام علي: ما بال هؤلاء يرفعون (الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل) البراءة من المشركين هذا حج؟ [حج يا حاج]. حجنا نحن اليمينيين: [حج يا حاج] عجال، عجالين ونحن نطوف ونسعى ونرمي الجمار: [حج يا حاج] عجالين نريد نلهم الله نضوي من الحج نلحق [حنيد، وودك] في البلاد.

فالإمام الخميني عندما أمرهم أن يرفعوا البراءة من المشركين في الحج أنه هكذا بداية تحويل الحج أن يُصَغَّ بالصبغة الإسلامية تصدّر بإعلان البراءة قرأها الإمام علي وهي براءة من الله ورسوله، هذا هو الحج.

حتى البراءة التي يعلنها الإيرانيون أو يعلنها أي أحد من الناس هي ما تزال أقل من البراءة التي قرأها الإمام علي (عليه السلام) كانت براءة صريحة وإعلان حرب، ألم تكن إعلان حرب على الشرك وأنه لا يجوز أن يحضروا بعد هذا العام إطلاقاً إلى هذه الأماكن المقدسة، لا يجوز أن يحضر المشركون أبداً بعد هذا العام؟ الإمام علي هو قرأ براءة من نوع أكثر مما يرفعه الإيرانيون في الحج، براءة من المشركين وإعلان الحرب عليهم، وإعلان بأنه لا يجوز أن يعودوا أبداً إلى هذه المواقع المقدسة. ونحن كنا نقول: لا.. نحج وبس، هذه عبادة لله ما هو وقت أمريكا وإسرائيل.

هكذا نقول؛ لأننا لا نفهم شيئاً، هذه مشكلتنا لا نفهم إلا السطحيات،

الحج عبادة مهمة، لها علاقتها الكبيرة بوحدة الأمة، لها علاقتها الكبيرة بتأهيل الأمة لمواجهة أعدائها من اليهود والنصارى.

عبادة مهمة إنمّا عطلها آل سعود، وعطلها اليهود والنصارى ولم يكتفوا بما يعمله آل سعود، القضية عندهم خطيرة جداً إذا كانت القضية كبيرة جداً عندهم هم لا يثقون بعمالئهم ولا بأصدقائهم، مهما كنت صديقنا ربما يظهر أحد فيحصل كما حصل في إيران، ربما يظهر أحد يسيطر على المنطقة هذه ثم تفلت من أيدينا، يريدون هم أن يسيطروا مباشرة، لم يعودوا يثقون بعمالئهم أبداً، هم يتكفرون لعمالئهم ويضربونهم في الأخير متى ما اقتضت سياستهم أن يتخذوا موقفاً هم يعملون تبريرات كثيرة وكلاماً كثيراً ضدك وأنت كنت صديقهم، حتى تصبح إنساناً يستعجل الناس أن تُضرب⁽¹⁾.

وهكذا يمثل الحجّ ساحة طاهرة، وقاعدة قوية للإنطلاقة في الأعمال والمواقف والقضايا الكبيرة من محيط البيت وفناءه الذي جعله الله للناس مثابةً وأمنا يرجعون إليه بشكل مستمر، وكأنّ هذا يوحى بأنّه مصدر القرار والقيادة للأمة وللناس يثوبون ويرجعون إليه فيؤدون مناسكهم ويتهيؤون ويتطهرون للأعمال الكبيرة، يأخذون منه تعاليمهم وتوجيهاتهم على كلّ المستويات والأصعدة لأنّه يعتبر هدىً للعالمين.

إنّ من المؤسف أنّ الناس الآن يأخذون تعاليمهم وتوجيهاتهم من "البيت الأبيض" الذي أصبح يمثل مصدر القرار والقيادة للناس،

(1) محاضرة لا عذر للجميع أمام الله.

فينتظرون ما يصدر منه من تعليمات وقرارات، وتوصيات وتوجيهات، وأصبحوا ينتظرون ويترقبون ما يصدر عنه من مؤتمرات صحفية وبيانات وتصريحات داخلية وخارجية، وكان هذا الدور في الأرض هو لبيت الله الكعبة المشرفة وقادة الأمة المرتبطين بهذا البيت من المتقين الذين يعتبرون أوليائه كما قال الله: ﴿إِنْ أُولِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ فيمثلون مع البيت قيادة الأمة، ومركز القرار والقيادة.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوشي (رضوان الله عليه):

"معظم العرب الآن متجهين إلى أمريكا، وكأنها إله، ويطيعوها فيما تريد، ولتعمل ما تريد، وتنفذ ما تشاء، وتفعل ما تشاء، ولا تستل عما تفعل. هكذا يتعاملون معها فعلاً، كما لو كانت إلهاً!.

فالذين ينطلقون في وجهها، معناه: لن ندعوا من دون الله إلهاً آخر كمثلكم. وفعلاً قالوا: هناك حديث -أنا ما قد اطلعت عليه- هناك حديث، أنه **(لا تقوم الساعة** حتى يعبد العرب بيتاً غير الكعبة) واحد نشره، وأظن بأنه أضافه إلى [كنز العمال]، وحلل هذا الحديث قال: انه فعلاً يبدو من وضعية العرب الآن متجهين للبيت الأبيض، لم يعودوا يتجهون لبيت الله، المعبر عن ألوهية الله، وملك الله، وتوحيد الله؛ لأن الله جعل البيت مثابة للناس: مرجع، ومن خلاله يكشفون أنهم عبيد لله، وأنهم مربوبيين بالله، ومملوكين لله، وأنهم يجب أن يألهوا إلى الله^(١).

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة آيات من سورة الكهف.

اليهود يسعون للسيطرة على الحج وعلى الحرمين الشريفين

من خلال ما سبق يتضح لنا الدور الكبير للكعبة البيت الحرام، وللحج بالنسبة للناس بل للعالمين جميعاً، وفق هذه القواعد والمنطلقات التي انطلق منها النبي إبراهيم في تأسيس البيت والأذان في الناس بالحج، حيث بقيت هذه الدعوة وهذه القواعد ثابتة ومستمرة منذ آلاف السنين، وستبقى إلى آخر أيام الدنيا، حيث حملها وجسدها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [من الآية [٦٨] آل عمران]، وفي هذه المرحلة التي تضخم فيها الصراع وتطور يمثل البيت الحرام والحج مرتكزاً كبيراً، ومحوراً مهماً بما يحملانه من دور تاريخي وحضاري وعبادي متجدد في مسيرة البشر على كل المستويات والصعد الفكرية، والثقافية، والإعلامية، والسياسية، والإقتصادية، والأمنية، وبالذات مع حركة التحوّل والتجديد التي قام بها وقادها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مسيرة وحركة الحياة والبشر على ملة أبيه إبراهيم، ومن حيث الموقع والتاريخ والمستقبل والدور والمهمة الواسعة الآفاق والبعيدة الآمال، بحيث لم يعد هذا يعتبر ويشكل مصدر قلق وإزعاج لليهود والغرب فقط، بل مصدر تهديد جدّي وفقاً لذلك، خاصة مع الإدراك والإستيعاب الواعي للظروف والتغيرات والتحوّلات المستقبلية التي تكتنف مسيرة الحياة، ومحيطها، وظروفها المعاصرة، ومن هنا يتضاعف ويتنامى الشعور والإحساس بالخطر، لتتجاوز

الأمر التحكم الغير مباشر إلى تنفيذ مخطط التحكم والسيطرة المباشرة إذ المسألة مسألة وقت فقط، والموضوع موضوع مصير ومستقبل، في واقع عربي وإسلامي غامض وبليد.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه) :

"الإمام الخميني وقف موقفاً ثابتاً، موقفاً ثابتاً، ورؤيةً صحيحةً ثابتةً حدية: أن فلسطين، أن البلاد العربية أن البلاد الإسلامية كلها لن تسلم من شر اليهود إلا باستئصالهم، والقضاء على كيانهم، أي شيء غير ذلك إنما هو ضياع للوقت، وإتاحة للفرصة أمام إسرائيل أن تتمكن أكثر وأكثر، حتى أنه قال -وفعلاً عندما يقول الإمام الخميني فالشواهد أثبتت أن رؤيته فعلاً واقعية في كثير من الأشياء- قال: "إن إسرائيل تطمح إلى الاستيلاء على الحرمين الشريفين، وليس فقط على القدس، إسرائيل تطمح للاستيلاء على مكة المكرمة، على الكعبة المشرفة وعلى المدينة المنورة.

وفعلاً إسرائيل استطاعت أن تصل إلى درجة لا يوقفها أمام ما تريد أحد.. فالغرب وراءها، والعرب مستسلمون، العرب مهزومون، لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً - دولهم بالطبع - دولهم، وإنما المسألة هي مسألة وقت، واليهود يستمرون في خططهم، ويعملون على تهيئة الأجواء المناسبة لأن يقوموا بعمل ما في الوقت المناسب"⁽¹⁾.

إن كل المؤشرات السياسية، والإقتصادية، والأمنية، والعسكرية تدل على ذلك، وما مخطط توريط المملكة العربية السعودية في حروب المنطقة،

(1) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة يوم القدس العالمي.

والصراع مع جيرانها، والدفع بها للوقوف خلف تمويل ودعم ما يسمى بالحركات والمجموعات الإرهابية لتبرير الحملة الدعائية الموجهة من قبل الغرب، وأمريكا، وإسرائيل ضدّ السّعوديّة إلاّ أولى الخطوات نحو تنفيذ هذا المخطّط والهدف الخبيث، وتهيئة الساحة والرأي العام لذلك، وهذا ما كان قد تنبه له وحذّر منه الإمام الخميني "رحمة الله عليه" قبل أكثر من ثلاثين سنة، الذي بلا شك كان يجسد ويمثل هذه الملة الإبراهيمية.

يقول الشهيد القائد السيّد/ حسين بدرالدين الحوئي (رضوان الله عليه):

"الإمام الخميني قال من قبل عشرين سنة: أنّ أمريكا وإسرائيل تخططان للاستيلاء على الحرمين. هم قد عرفوا أنهم عندما استولوا على القدس ألسنا نصرخ بالقدس ثم نتكلم عن القدس.. دون موقف جاد، إلى أن أصبح كلامنا لا يخيفهم، وهو ثالث الحرمين؟ عرفوا بأنّ بإمكانهم أن يأخذوا ثاني الحرمين وأوّل الحرمين ثم يكون الكلام هو الكلام من قبلنا ويكون الموقف هو الموقف.

لماذا قد يخططون للاستيلاء على الحرمين؟ ألسنا نعرف جميعاً بأنّ السعودية هي دولة صديقة لأمريكا؟ أليس كل الناس يعرفون هذا؟ السعودية دولة صديقة لأمريكا، لكن لماذا توجّه السعودية بحملة دعائية شديدة من جانب أمريكا ودول الغرب، الإعلام في الغرب الصحف والكتاب والقنوات التلفزيونية والإذاعات وغيرها تتحدث عن السعودية أنّها دولة إرهابية وتدعم الإرهاب وأنّها، وأنّها ... الخ. السعوديون ألم نسمع عنهم بأنهم اختلفت وضعيتهم الآن يشعرون بخوف شديد، فيتحدثون: نحن لسنا إرهابيين، لماذا يقولون نحن إرهابيين، ماذا عملنا؟.

هم لم يعرفوا ماذا عملوا! لم يعملوا شيئاً ضد أمريكا، لكن أولئك يريدون الاستيلاء على الحرمين فعلاً"^(١).

بكل الطرق والوسائل يعمل اليهود وعبر عملائهم وأدواتهم لتهيئة الظروف المناسبة للسيطرة على الحج والكعبة والمسجد الحرام، ويحركون كل الأوراق، ويبتكرون الكثير من الملفات في سبيل ذلك، وتوريط السعودية واغراقها واغراق المنطقة في الحروب والنزاعات لخلق قاعدة طويلة وعريضة ورأي عام معادي للسعودية يقف في أقل أحواله موقف المتفرج عندما يحين الوقت لتنفيذ مخطط ومؤامرة السيطرة والإحتلال، بعد مرحلة طويلة مثخنة بالألم والجراح، ومقدمات خطيرة تستهدف الحج وتحول بين الناس وبين قيامهم بهذه الفريضة، وأدائهم لهذه العبادة، وفصلهم عنها، وفك ارتباطهم بها ضمن أجندة ينفذها النظام السعودي المتولي لأمريكا وإسرائيل.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"(الحج الله قال لنبيه إبراهيم: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]. وعندما يقول: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ هو يعلم أن تلك المشاعر، ومن يفدوا على تلك المشاعر سيكون فيها لهم سعة.. اتساع. جاء تنظيم الحج: اليمن: أربعة عشرة ألفاً إلى عشرين ألفاً، مصر كذا آلاف، قالوا: المشاعر ضيقة! وزحمة شديدة، إيران كذا آلاف.. السعودية

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة: "لا عذر للجميع أمام الله".

كذا، وكل بلد يحدد له عددا معيناً! أليس ذلك ما هو حاصل الآن؟ هذه أول خطوة من خطوات احتلال اليهود للحج؛ لأنهم في الأخير لن يمنعوا الناس من أول يوم عن الحج، عودونا على قبول نسبة محدودة، فإذا ما نزلت النسبة من [عشرين ألف] لليمن إلى [عشرة ألف] ستكون مقبولة.. أليس كذلك؟ ثم في عام معين تنزل من [عشرة ألف] إلى [ألفين] مقبولة، ثم إذا كان الشعب كبيراً كمصر تأتي بالقرعة. الآن الحج عند المصريين بالسهم بالقرعة.. [أين حجاج القرعة].. نسمعها هكذا في المشاعر بالسهم. يتقدم الكثير ممن يريدون الحج ولكن بالسهم، إذا طلع سهمك تحج تحج، هذه هي بدايات الترويض، الترويض لتقبل كل شيء يريدون أن يعملوه.

في الأخير إذا ما أبعد القرآن هناك قوانين ودرساتير بديلة عنه، الحج إذا ما خفض العدد يكون مقبولاً جداً؛ لأنه روضنا أنفسنا، وروضتنا حكوماتنا المباركة الجاهلة التي لا تعرف عن اليهود شيئاً، التي لا يهمها أمر الدين ولا أمر الأمة.

يكونون قد عودونا قليلاً ثم أحياناً يقولون: السنة هذه اتركوها للمصريين، والشعب الفلاني والشعب الفلاني السنة هذه يؤجل، أو السنة هذه احتمال يكون هناك وباء ينتشر يؤجل.. وهكذا حتى يموت الحج في أنفسنا، حتى يضيع من ذاكرتنا.

ثم يأتي مجنونون! مجنونون ويعتدي على [البيت] ويفجره، كما يحصل في [القدس].. أليس يحصل شبيه بهذا؟ مختل عقلياً يعمل تفجيرات أو

يحرق أو يطلق النار على مصلين داخل المسجد وسيظهر مجانيين كثيرون..
مجانين كثيرون، وفجروا الكعبة فجروا قبة رسول الله (صلوات الله عليه
وعلى آله)، باحثون مجانيين ينبشون قبر رسول الله (صلوات الله عليه وآله)
ثم نحن نكون قد أبعدنا.

متى ستكون أنت من [سنة عشر مليوناً] يصبح العدد المسموح به هو
ثلاثة آلاف شخص، متى ستوقع أنك ستحج هذا حصل مثله في بلدان
الإتحاد السوفيتي، حصل أيام حكم الشيوعيين في تلك البلدان.. راجع
قوائم البلدان التي تحج، تجد أن تلك البلاد كانت من أقل الحجاج عدداً،
بلدان الإتحاد السوفيتي وهي بلدان واسعة جداً^(١).

إنها مؤامرة خطيرة جداً تستهدف المسلمين في أهم مقدساتهم،
ونقاط قوتهم، يجب التنبه لها من الآن، والعمل بكلّ جدية للحيلولة دون
تنفيذها ووقوعها، والتسلح بسلاح الوعي واليقظة والحذر والإنتباه، ولا
نبراً النظام السعودي من التورط، والتوغّل، والتغول في تنفيذ هذه
المؤامرة من خلال تورطه في مستنقع العداة للأمة وشعوبها والذي لن
يدوم طويلاً، وفرضه للكثير من الإجراءات التي تحد من قصد بيت الله
الحرام، وتحول دون أمنه واستقراره، والتضييق الشديد على المسلمين.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه) :

"...البيت الحرام، وهذه المشاعر المقدسة وتشريع الطواف بين الصفا
والمروة وغيرها من المشاعر المقدسة حول البيت الحرام أنّها قضية تمثل

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، معرفة الله، وعده ووعيده، الدرس الثاني عشر.

نقطة قوة بالنسبة للمسلمين لها إيجابية كبيرة بالنسبة للمسلمين في موضوع الصراع مع الآخرين؛ لهذا تجد الآخرين يتوجهون بجدية ضد الحج والسيطرة على الحج، وأن يعملوا بأي طريقة للحيلولة بين المسلمين بأن يتوقفوا عن الحج أو أن يأتوا بأعداد قليلة جداً وبدأوا فيما يتعلق بماذا؟ بالتقصيد أعني كل بلد لا يحج منه إلا ما يساوي واحد في الألف مع أن الله سبحانه وتعالى جعل مكة بالشكل الذي يتسع لأي عدد يحج من الناس.

يذكر أحد المؤرخين [دحلان] في كتاب [تاريخ الحرمين] عن قضية يشاهدونها هم بالنسبة لمكة عندما ننظر إلى مكة مع عدم وجود الحجاج وادي يبدو ضيقاً والجبال محيطة به من هنا وهنا لكن وقت الحج قال: يدخل من كل بلد إسلامي وكانوا يسافرون على الدواب على الإبل على الدواب ما قد هناك شيء وسائل مثل هذا الزمن يجتمعون من كل بلد في ذلك الوادي في ذلك المكان لا يمتلي لا يمتلي نهائياً وهم يأتون بأعداد كبيرة جداً، هذه آية من آيات الله أن يكون ذلك المكان بالشكل الذي يستوعب الناس مهما تكاثروا فيه.

قضية غير صحيحة عندما يقولون: يقصدون الناس على أساس لا يكون هناك زحمة، هذا غير صحيح الله عندما يقول لنبيه إبراهيم: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: من الآية ٢٧] أذن في الناس بالحج، والله يعلم بالنسبة للناس إذا فليحج كما يحج من الناس هو يعلم بالمكان أنه يستوعب لأنه هو الذي قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ وجعل الحج في وادي

ومليء جبال، لم يذهب يبحث لصعيد صحراء سيناء أو صعيد مصر أو صحراء أفريقيا أو أي منطقة أخرى، أليس يعلم سبحانه وتعالى بأنه هو الذي جعل ذلك المكان محاطا بالكثير من الجبال ليجتمع الناس كما اجتمعوا سيتسع لهم المكان الأشياء التي يبدو أمامنا فيها زحمة قد تكون نتيجة من قلة وعي لدى بعض الحجاج، ولقلة خدمات فيما يتعلق بتنظيم الحجاج، وهي أماكن محددة هي أماكن سيحصل فيها زحمة لو لم يحج إلا مائة ألف وهي عند الجمرات عند الجمرة الأولى جمرة العقبة يوم النحر يوم العيد الزحمة هناك تراها ليس لأنه حج ثلاثة ملايين شخص زحمة قد تراهم مزدحمين وهم قد يكونون خمسة آلاف على الأكثر الحجاج المزدحمين قد يكونون خمسة آلاف.

إذاً ليست المشكلة أن هناك ثلاثة ملايين، مكان يزدحمون فيه نتيجة عدم وعي نتيجة قلة رحمة بين المسلمين أنفسهم يأتي أناس يتجمعون ويتكتلون قد يصلون إلى حدود خمسين شخصا أحيانا ثلاثين شخصا عشرين شخصا وشكلوا زحمة وضروا الذين قبلهم وليس هو من أصله، الإشكالية لديهم هم وليس من أجل كثرة العدد، إذا كان الزحمة قد تحصل بحضور ألفين في ذلك المكان لا يؤدي إلى أن تقول يجب أن نقلل عدد الحجاج وكل بلد لا يحج منه إلا عدد معين ثم يرفعون تكاليف الحج هذه خطة يبدو أمريكية ترويض للناس أن يتقبلوا تقليص وتقليل عدد الحجاج من كل بلد عدد معين ويكون عدداً قابلاً للتخفيض وكل سنة يخفضون أكثر وكل سنة يفتعلون شيئاً فيما يتعلق بالكعبة يقولون: قد حصل وباء أو حصل كذا من كثرة الإزدحام، إذاً قللوا العدد قللوا العدد

حتى يصبح الحج قضية لا تعد محط اهتمام عند المسلمين أو في الأخير يوقفوه" ^(١).

لماذا يستولون على الحج؟

إنّ مخطّط الإستيلاء على الحرمين الشريفين هو بهدف السيطرة على الحجّ باعتباره يشكّل تهديداً كبيراً، ويمثّل خطورةً بالغةً على اليهود والغرب، فبعد أن قسّموا وجزّأوا الدّول العربيّة والإسلاميّة إلى عدّة دول، لا زال الحجّ يشكّل مصدر قلق وإزعاج كبير لهم، لأنّه الرّابط الوحيد الذي بقي بين المسلمين، وله أثره الكبير والمهمّ في خدمة وحدة المسلمين، ويحمل معانٍ ودلالاتٍ كبيرةً جداً إذا وظّف واستغل بشكل صحيح، وهناك نصوص لكُتّاب، وقادة، ووزراء، ومفكّرين يهود يتحدّثون عن ذلك ويخافون منه ويخشونه.

يقول الشهيد القائد السيّد/ حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) :

"لماذا يستولون على الحرمين؟ لأنّ الحج هذا الحج الذي لا نفهمه نحن عندما نحج من اليمن ومن السعودية ومن مصر نحن العرب الأغبياء عندما نحج، اليهود يفهمون قيمة الحج أكثر مما نفهمه، اليهود يعرفون خطورة الحج وأهمية الحج أكثر مما نفهمها نحن، ما أكثر من يحجون ولا نفهم قيمة الحج.

الحج له أثره المهم، له أثره الكبير في خدمة وحدة الأمة الإسلامية،

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الثامن، سورة البقرة.

ألم يجزئوا البلاد الإسلامية إلى دويلات إلى خمسين دولة أو أكثر؟
وجزأوا البلاد العربية إلى عدة دويلات، لكن بقي الحج مشكلة يلتقي فيه
المسلمون من كل منطقة، إذ ما زال الحج رمزاً لوحدة المسلمين يلتقي
حوله المسلمون ويحمل معانٍ كثيرة جداً لو جاء من يذكر المسلمين بها
ستشكل خطورة بالغة عليهم، على الغربيين، على اليهود والنصارى.

ولهم نصوص نحن نقرأها نصوص من وزراء منهم ومفكرين منهم
يتحدثون عن خطورة الحج وأنه يجب أن يستولوا على الحج، وأنهم يجب
أن يهيمنوا على هذه البقعة.

الآن تحرك إعلامهم وعادة - كما يقال - (الحرب أولها كلام) أليس
هذا معروفاً؟ يتحدثون أولاً عن الإرهاب والسعودية تدعم الإرهاب. ماذا
عملت السعودية؟ كلها خدمة لأمريكا، قدمت كل الخدمات لأمريكا، عملت
كل شيء لأمريكا، لماذا أصبحت الآن لا فضل لها، ولا جميل يُرعى لها، ولا
شيء يُحسب لها، ويقال عنها: دولة إرهابية؟ لأنهم يريدون أن يمهّدوا
بذلك، بعد أن عرفوا أننا نحن العرب أصبحنا جميعاً إذا ما قالت أمريكا:
هذه دولة إرهابية انفصل عنها الآخرون، إذا ما قالت أمريكا: هذا
الشخص إرهابي انفصل عنه الآخرون وابتعدوا^(١).

ونظراً لما يمثله الحج، ويشكله من تهديد خطير على اليهود والنصارى فقد
جاء الحديث عنه في القرآن الكريم متوسطاً الآيات التي تتحدث عن اليهود
والنصارى كما في سورة (البقرة)، وسورة (آل عمران)، وسورة (النساء)، ومن

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة: "لا عذر للجميع أمام الله".

المتوقَّع والمحتمل احتمالاً كبيراً جداً أن يسيطروا على الحرمين الشريفين بذريعة الحرب على الإرهاب، هذا المصطلح الذي يعتبر مصطلح الإستعمار الحديث، فقد تدفع أمريكا، وإسرائيل، والغرب بالتكفيريين للسيطرة على مكة والمدينة كما فعلوا في العراق وسوريا، ثمَّ يتدخَّلون هم بإسم محاربة الإرهاب، وداعش، والقاعدة، أو أيِّ مصطلح جديد قد يستخدمونه ويستحدثونه في قادم الأيام، فهم من عملوا على جعل هذه البلاد والمنطقة بيئةً خصبةً للوهابيين، واليهود والغرب هم وراء نشئتهم، وتكوينهم، وتمدهم، وتغلغلهم، وتمكنهم، وسيطرتهم، لأنهم بيئة خصبة قابلة للإستغلال والتوظيف متى ما تطلب الأمر، والأحداث كفيلا تكشف كلَّ الحقائق.

يقول الشهيد القائد السيِّد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"ولأنَّ الحج مهم في مجال مواجهة اليهود والنصارى، جاءت الآيات القرآنية في الحديث عن الحج متوسطة لآيات الحديث عن اليهود والنصارى في كل من سورة [البقرة] وسورة [آل عمران] و[النساء]، ثلاث سور أذكرها من السور الطوال أتى الحديث عن الحج ضمن الحديث عن بني إسرائيل.. كما جاء الحديث عن ولاية الإمام علي ضمن الحديث عن بني إسرائيل، كما جاء الحديث عن الوحدة والاعتصام بحبل الله جميعاً ضمن الحديث عن بني إسرائيل؛ لأنَّ بني إسرائيل هم المشكلة الكبرى في هذا العالم ضد هذه الأمة، وضد هذا الدين، هم العدو التاريخي للمسلمين من ذلك اليوم إلى آخر أيام الدنيا. هم العدو التاريخي بنو إسرائيل.

فالحج هم -فعلاً- يخططون للاستيلاء عليه، وإذا ما استولوا عليه

فهم قد عرفوا أننا أصبحنا نصدق كل شيء من عندهم، وأننا أصبحنا أبواق إعلام نردد أي تبرير يأتي من قبلهم، عندما يقولون: نحن جئنا إلى اليمن من أجل أن نساعد الدولة اليمنية على مكافحة الإرهاب. كل يمني يقتنع بهذا ويردها ويخدمهم في أن تُعمم على أكبر قطاع من الناس، ونقتنع جميعاً بأنهم إنّما جاءوا لمكافحة الإرهاب، وسيدخلون الحجاز من أجل مكافحة الإرهاب، ومن أجل مكافحة الإرهاب يحرقون القرآن، ومن أجل مكافحة الإرهاب يهدمون الكعبة، ومن أجل مكافحة الإرهاب يمنعون الحج، ومن أجل مكافحة الإرهاب يدوسونا بأقدامهم ونحن نصدق كل تبرير يقولونه.

لقد وثقوا بأن كل كلمة يقولونها تبرر أعمالهم ضدنا أصبحت مقبولة لدينا، وأصبحت وسائل إعلامنا ترددها، وأصبحنا نحن نستسيفها ونقبلها ونغمض أعيننا عن الواقع الملموس، نؤمن بالخدعة ولا نلتفت إلى الواقع الملموس الذي باستطاعتك أن تلمس شرهم وخطرهم، تغمض عينيك وتكفت يديك وتصدق التبرير الذي يعلنونه.

عندما يصل الأمر إلى هذه الدرجة يكونوا مخططين للاستيلاء على الحرمين الشريفين، مخططين للاستيلاء على اليمن، لكن استعماراً حديث، احتلال حديث لم يعد بالشكل الأول أن يجعلوا زعيماً أمريكياً يحكم، لا لن يجعلوه أمريكياً، سيجعلونه يهودي يمني سواء يهودي من أصل إسرائيلي، أو يهودي من أصل حميري أو كيفما كان، المهم يهودي سواء يحمل هوية إسلامية أو يهودي حقيقي يكون شخص بالشكل الذي

ينسجم معهم" (١).

يشكل البيت الحرام والحج التهديد الأكبر لليهود، وعلى مستقبلهم لأنهم يعرفون أهميته وخطورته البالغة عليهم، وعلى دولتهم، وكيانهم، ووجودهم، بخلاف القدس الذي لا يشكل هذه الخطورة والأهمية، لأن ارتباطهم بالقدس هو ارتباط تاريخي، ارتباط هوية دينية وتاريخية كما يقولون، فالحج يعبر عن موقف كبير جداً في مواجهة اليهود، وقد يعود في يوم من الأيام لمساره الطبيعي الذي أراد الله له أن يكون عليه.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"...إذا كانوا يعملون هذه الأعمال ثم أنت لم تؤمن بعد ولم تستيقظ بعد، ولم تصدق بعد بأن هناك ما يجب أن يحرك مشاعرك ولو درجة واحدة، فماذا يعني هذا؟ غفلة شديدة، تيه رهيب، ذلة إلهية رهيبة. هل يستثيرنا هذا عندما نقول أننا فعلاً نلمس أنهم بدأوا يتحركون من أجل الهيمنة على الحرمين الشريفين وليس فقط القدس؟.

العرب يقولون الآن: [من أجل إقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس]. هل إسرائيل تلتفت إلى هذا الكلام. هي ليست حول أن تسلم القدس هي تبحث عن الحرمين الآخرين، إنَّ الحرمين الآخرين هما اللذان يشكلان خطورة عليها وليس القدس، ارتباطهم بالقدس هو ارتباط تاريخي فقط، ليس لأنَّ القدس منطقة ذات أهمية عند المسلمين أو تشكل

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة: "لا عذر للجميع أمام الله".

خطورة بالغة عليهم. لا، وإنما باعتبارها مدينة يقولون بأنه كان هناك هيكل سليمان، وأنها هي المدينة التي كتب الله لهم أن يدخلوها، وعبارات من هذه. ارتباط هوية دينيه وتاريخية.

لكن أمّا الحرمين فهم الذين يشكلون خطورة بالغة لديهم على مستقبلهم، وأكد لهم ذلك تأملهم للقرآن - القرآن الذي لا نفهمه نحن - وأكد لهم ذلك أنهم وجدوا أنّ الحج يستخدم من قبل أيّ حركة إسلامية لتوعية الآخرين. وهكذا أراد الله للحج أن يكون ملتقى إسلامياً، يندكر الناس فيه بعضهم بعضاً بما يجب عليهم أن يعملوه من أجل دينهم في سبيل مواجهة أعدائهم.

الإمام الخميني الذي عرف الحج بمعناه القرآني الكامل، هو من عرف كيف يتعامل مع الحج فوجه الإيرانيين إلى أن يرفعوا شعار البراءة من أمريكا، البراءة من المشركين، البراءة من إسرائيل، ونحن هنا كنا نقول: لماذا يعمل هؤلاء، ولم ندرِ بأن أول عمَلٍ لتحويل الحج إلى حج إسلامي تصدّر ببراءة قرأها الإمام علي - إمامنا - العشر الآيات الأولى من سورة [براءة] هي بداية تحويل الحج إلى حج إسلامي ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: من الآية ٣] ورسوله بريء من المشركين وقرأ البراءة من المشركين الإمام علي بن أبي طالب^(١).

لقد أصبح الخطر محدقاً بالحرمين الشريفين وواقعاً ملموساً يجب أن يكون للمسلمين تحركاً كبيراً في مواجهته من الآن حتى لا تتكرر مأساة

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة: "لا عذر للجميع أمام الله".

القدس وفلسطين مرّةً أخرى، ويوجد بأيدينا كشعوب وسائل عديدة تحول بين اليهود وبين تنفيذ ما يريدونه، ويسعون إلى تحقيقه من مخططات السيطرة على الحرمين الشريفين.

يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"...ألسنا نسمع تهديد أمريكا؟ ومن المحتمل جدا أن تضرب السعودية، وتستولي على الحرمين كما استولوا على القدس.. فهل نحن منتظرون حتى يعملوا عملهم هذا ثم حينها سنصيح ونقول شيئا؟! ربما لو صرخ المسلمون من الآن - فيما أعتقد - لو صرخ المسلمون من الآن وارتفعت شعارات السخط التي توحى بسخطهم على أمريكا وإسرائيل من الآن لتوقفت أمريكا، وتوقفت إسرائيل عن أن ينفذوا الخطة التي يريدونها سواء ضد الحرمين، أو ضد أي شعب آخر.

هذه الصرخة^(١) وحدها التي نريد أن نرفعها، وأن تنتشر في أيّ مناطق أخرى وحدها تنبئ عن سخط شديد، ومن يرفعونها يستطيعون أن يضربوا أمريكا، يضربوها اقتصاديا قبل أن تضربهم عسكريا، والاقتصاد عند الأمريكيين مهم يحسبون ألف حساب للدولار الواحد"^(٢).

يجب أن يكون التحرك في مواجهة اليهود بدافع المسؤولية، والواجب الإسلامي والديني لنواجه فسادهم وشرهم الذي تجاوز كل الحدود، وأصبح يشكل تهديداً للبلاد الإسلامية، والمقدسات، والقيم، والمبادئ

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة: "في ظلال دعاء مكارم الأخلاق"، الدرس الثاني.

(٢) أي شعار (الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام).

الإسلامية بأكملها، فالمسألة لم تعد مجرد أطماع توسعية ومصالح إقتصادية فقط، بل تحرك ديني عقائدي له جذوره التاريخية وارتباطاته المستقبلية، لهذا يجب أن يكون التحرك تحركاً عملياً يتبنى المواقف العملية الصحيحة، في إطار الرؤية الدينية والأهداف القرآنية، قبل أن تحلّ بنا ثلاث مشاكل كبيرة جداً هي: "القدس، والكعبة، والمسجد الحرام".

يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) الذي يمثل

ويجسد هذه الملة والرؤية:

"...لأنه إذا ما تحرك هذا أو هذا أو هذه الفئة أو هذه الفئة تحرك باعتبار واجب إسلامي، أن ندفع فساد هؤلاء، أن نقاوم فساد هؤلاء، فساد تجاوز الحدود المعقولة أصبحت المسألة تهدد المقدسات الإسلامية كلها، تهدد البلاد الإسلامية كلها، تهدد المبادئ الإسلامية كلها.

ما العرب الآن حانين^(١) في قضية القدس؟ احتمال فيما بعد يطلع لنا ثلاث مشاكل هي القدس ومكة والمدينة الكعبة ومسجد رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) والقدس"^(٢).

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، محاضرة: "الموالة والمعادة".

(٢) أي: عاجزين.

(٥)

ملة النبي إبراهيم (ع)

النبي إبراهيم هو النبي الذي يلتقي فيه الجميع، ويمثل القاسم المشترك للجميع، مع كفر وتحريف اليهود والنصارى بدينه وملته، ومع ادعاء اليهود بأنه كان يهودياً، وادعاء النصارى بأنه كان نصرانياً، كما هو واضح من خلال القرآن الكريم، ومن خلال واقعهم وسلوكهم الذي هم عليه اليوم والذي كانوا عليه من بعده، والذي كانوا عليه أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والشيء الواضح هو أنّ النبي إبراهيم محطّ نقاش وتجاذب من قبل اليهود والنصارى، وادعائهم بأنهم على ملته هو ادعاء فارغ ليس له أيّ أساس من الصحة، ومن خلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى يَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:] يتضح أنّ الموضوع محط نقاش وادعاءات، والقرآن الكريم يوضح حقيقة ملة ودين النبي إبراهيم، فهو لم يكن يهودياً، ولا نصرانياً، ولا مشركاً، بل حنيفاً مسلماً جاء بملة ودين الإسلام، وخير من يمثله وأولى الناس به الذين اتبعوه على ملة ودين الإسلام، الذي يتجسد ويتمثل في رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والذين آمنوا كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَبِئْسَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [من الآية (٦٨) آل عمران]، فكل ما يقال ويثار ويطرح من دعاوى ومقولات لهذه الأطراف وتلك هي دعاوى خرافية وباطلة، لأنّ ملته ودينه هي ملة ودين الإسلام، وما عدا ذلك فهو مجرد أهواء، وانحراف، وادعاءات باطلة وواهية.

إنّ ملة ودين النبي إبراهيم هي ملة ودين الرسول محمد (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين) فلا يلتفت إلى أيّ دعاوى ومقولات ونظريات وأطروحات مخالفة لما يقرّره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وقد أشبع القرآن الكريم هذا الموضوع وأثراه، وبيّن بكل وضوح أنّ إبراهيم كان مسلماً، وأنّ دينه هو دين الإسلام والتوحيد، وأنّ ملته هي الملة الإسلامية الحنيفية، ونحن هنا نستعرض عدداً من الآيات القرآنية التي ترد على اليهود والنصارى، وتفضح زيف دعواهم، وتوضح أنّ دينه وملته هو دين وملة الإسلام، وتدعوا الجميع إلى الإلتزام بهذه الملة واتباعها التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، ومن سبقهم وتبعهم من الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين).

١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَنْ يَرَعْبْ عَنْ مِلَّةِ
إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ
قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ
يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا
قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا
آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
* صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ * قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ
رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَكُنَّا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ * أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿البقرة: ١٢٧-١٤٠﴾.

وحول هذه الآيات المباركات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدر الدين الحوثي

(رضوان الله عليه):

"هنا يقدم إبراهيم وإسماعيل شخصيتين عندهم حيوية، واهتمام
عالي، ومشاعرهم كلها مليئة بالتوجه إلى الله، والإخلاص لله، والتقرب
إلى الله بكل عمل ممكن ينالونه متجهين لبناء البيت فيرفعون قواعده

وبإخلاص لله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لاحظ كيف فيما يتعلق بالمسؤولية أليس شرفاً عظيماً لإبراهيم وإسماعيل؟ هنا في قضية الشعور بالجدارة أنّها قضية يجب أن تنسف التي أصبح عليها بنو إسرائيل فيما بعد فأروا أنّ الكثير مما حصل لهم بحيث أنّ فيهم أنبياء وورثة كتب، وأشياء من هذه، ونعم وأشياء وكأنّها جدارة، هم جديرون، هم جديرون، فليس لله فضل!.

هو شرف عظيم لإبراهيم وإسماعيل أن يوكل إليهم القيام بهذه المهمة، لكن لاحظ أليس هنا ذائبا في مسألة أنه يؤدي عملاً صالحاً يقبله الله، ناسيا موضوع [إذا والله شرف عظيم حظيت به] وناسي أنّه فقط يرى نفسه كبيراً، ويضخم نفسه، ذائب في الله، وفي العمل الصالح الذي يرضي الله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ هم يعرفون أهمية البيت الحرام كمعلم من معالم توحيد الله، والتوجه الواحد كقبلة، يتوجه إليها عباد الله الموحدون ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ أنفسنا هذه نسلمها لك، هنا ألسنت تلمس أنّه لا يوجد لديه التفاتة لنفسيته على الإطلاق، ليس مستغرفاً لمشاعر: أنّه نبي، أنّه عظيم، أنّه جدير بهذا؟ لا توجد هذه، كلّ ما لديه من اهتمام: أن يتقبل الله منه العمل الصالح، وأن يجعله مسلماً نفسه تماماً لله، يخضع نفسه لله، ويستغرق كلّ ذهنيته كلّ تفكيره الذوبان فيما يرضي الله، الذوبان في معرفة الله، وفي حبّ الله، التسليم لله.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] حريص

أنهم يجمعون معهم كما أمكن، وبالذات ذريتهم لأنه بالنسبة لك يؤمك جداً: أن يكون ابنك، أو ابن ابنك، ذريتك ينشئون نشأة كافرين بالله، أليس هذا يؤمك أكثر بكثير، يؤمك جداً، إذا فهم حريصون بالنسبة لذريتهم أن ينشئوا على نفس الطريقة، أمة مسلمة لك، لا يوجد مسألة: يهودة ونصرنة، وعناوين قومية من هذه، كلّ العنوان لديهم: مسلمين لك، أمة مسلمة لك، ألم يتحدث هناك عن بني إسرائيل سابقاً: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: من الآية ١١١] يقدم القضية الهامة هي: التسليم لله، التسليم لله هذا هو العنوان الرئيسي لدينه.

﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] أوضح لنا مناسكنا التي نؤديها، نعبد لك بها ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] لاحظ هذه المشاعر الهامة جداً والتي يجب أن يكون عليها أيّ إنسان مؤمن ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ وهم ماذا يعملون؟ كثير من الناس يقولون: الله غفور رحيم وهم يعملون معاصي! هذا يقول: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ وهو يرفع قواعد البيت الحرام في عبادة من أرقى العبادات، يقيم معلماً من معالم دين الله في الأرض للناس جميعاً يقول: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] القرآن هنا يقدم لك حتى مشاعر أنبيائه، وأوليائه.

بعضهم يقول: القرآن ما أحد يعرف ماذا يأخذ منه، أو يقول: فقط! أمام القرآن! يشخص لك الناس، يشخص لك الأمم، يشخص لك مشاعر، وليس فقط يقدم لك سيرته، يقدم سيرته، أو عبارات من عنده يقولها في

مقامات معينة هي بالشكل الذي تشخص لك مشاعر هذا الإنسان العظيم، أو تشخص لك مشاعر الإنسان السيئ مثلما تقدم عن بني إسرائيل الذين قال عنهم سابقاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: من الآية ١١٨].

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] هو قال هناك: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في ذريتنا هذه ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٩] هذه فيها قضية هامة أنه حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفاً بأنها واقعة، وعد إلهي أيضاً ينبغي أن تكون على هذا النحو: تدعو الله، قد يكون إبراهيم نفسه يعرف بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً في آخر الزمان من ذريته محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع هذا يدعو، يدعو، علم المؤمنين أنفسهم، وهم يتحركون في سبيله التي وعد فيها بالنصر ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: من الآية ٧] أن يدعو، لأنه قضية هامة تجعلك مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتتنكر أيضاً صحة الطريقة التي أنت فيها، وتستنجز وعد الله سبحانه وتعالى.

جانب عبادي مهم لا يجعلك تتحرك في حالة من الغفلة، أو تعتبر وكأن القضية قد هي منجزة فلا حاجة إلى الرجوع إلى الله، لا، إن المسألة يجب أن تكون دائماً دائماً مرتبطة بالله بما فيه الدعاء بماذا؟ بالشئ الذي قد وعد بأن ينجزه؛ لأنه هل بإمكان إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى هذه الدرجة أن يدعو على هذا النحو، وهو يعرف أن

المسألة هي مرتبطة بالله، مرتبطة بالله سبحانه وتعالى؟.

فيما يتعلق به هو ألم يقل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] ففضية رسول، أن يبعث رسول هنا، أو رسول لزمان معين ليست قضية فقط خاضعة لموضوع الدعوة قضية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى. إذاً فقد يكون إبراهيم فعلاً على علم بأنّ الله سيبعث من ذريته في مكة في ذلك المكان رسولاً منهم: يتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، لكن يدعو مع ذلك يدعو، وهو يدعو هو يعتبر هذه نعمة عظيمة جداً، أليست تعتبر نعمة عظيمة جداً؟ يعتبرها منحة إلهية جليلة، ويبقى في نفس الوقت مرتبطاً بالله، مشاعره مرتبطة بالله في إنجاز وعده؛ تعطي الإنسان المؤمن فيما يتعلق بذريته اهتماماً أن يكون حريصاً على أن يكون ذريته على هذا النحو: ينشئون نشأة مرتبطين بالله، مسلمين لله، علومهم على هذا النحو: يتعلمون كتاب الله، والحكمة التي تضمنها كتاب الله، ويزكون أنفسهم على أساس هدي الله.

فالكثير من الناس لا يلحظ هذه، كثير من الناس يكون فارحاً بولده ماذا سيجمع ويوفر، ماذا سيعود به من غربته أو كسبه؟ لا، لاحظ هذا الجانب المهم عند إبراهيم: أن تكون ذريته على هذا النحو: مسلمة لله، وأن تحظى ذريته بذلك الرجل العظيم الذي يعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٠] هذه ملّة إبراهيم ليست تلك الملّة التي سيأتي في الآية بعد: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٥] هذه ملّة إبراهيم، هذه

طريقته، هذه مشاعره، هذا أثر الملة التي يسير عليها، فكيف قدم إبراهيم نموذجاً عالياً، نموذجاً عالياً في ماذا؟ في موضوع هداية الله، تظهر من خلاله الآثار لهدى الله عندما يسير الإنسان على هدى الله، وكيف تكون مشاعر الإنسان الذي يهتدي بهدي الله، كيف تكون اهتماماته، كيف تكون آماله، كيف تكون نفسيته في توجهه إلى الله.

هذه روحية هامة جداً: عندما يكون الناس منطلقين في أعمال صالحة: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] لا يكون عند الواحد أن له الفضل فيمنّ على الله أبداً، أن يمتنّ على الله فيعتبر القضية هي قضية جدارة، لا، يجب أن تكون ذاتياً في القضية أعني: في توجهك إلى الله سبحانه وتعالى ناسياً لموضوع نفسك تماماً؛ لأنّ هذه هي آية هامة أن يقول: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وهم يرفعون قواعد بيت الله الحرام.

﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] إذا فملة من اصطفاه الله سبحانه وتعالى هي الملة الصحيحة؛ لأنّها هي الملة التي رسمها الله له أن يسير عليها ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١] أخضع نفسه تماماً أخضعها تماماً لله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أليس هنا تجاوب؟ بعكس ما عليه بنو إسرائيل ذريته من بعده عندما انصرفوا عن هداية، عن الملة التي كان عليها، والهدى الذي كان على يده في المقدمة وبدايته من على يده، وهم

قالوا أمام البقرة: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا؟﴾ هنا قال له: ﴿أَسْلِمَ﴾ هل قال لماذا؟ أأنت مسلم؟ أأنت مسلماً من قبل سنين؟ ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليس فيها أخذ ورد يقول: لماذا هل أنت شاك في إسلامي أو تتخذني هُزُؤاً أو ما قد اقتنعت بعد بأنّي مسلم قد أنا هذا نبي! لا، ليس مثلما قالوا هناك عندما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ [البقرة: من الآية ٦٧] والمقام أن يقولوا أهلاً ومرحباً يذهبون يبحثون ليذبحوا بقرة، أطرف بقرة. إبراهيم قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عندما يقول لك شخص: اتق الله، أو أخلص لله، مهما كنت متقياً لله، ومخلصاً، فلا تتفاجأ، وتقول: يعني عندك بأنّي سفيه أو عندك أنّي كذا.. لا، قل: إن شاء الله، الله يوفقنا أن نكون مخلصين له، وأحسن الله إليك أنّك قلت لي أن أكون متقياً ومخلصاً.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٢] أيضاً وصى بها يعقوب بنيه، هذه المسألة هذه القضية الهامة، قضية الإسلام لله، التسليم لله، الإلتزام الكامل بهدي الله ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أيضاً وصى بها بنيه، أي قضية ذات اهتمام كبير لديهم يوصي كل واحد منهم أولاده بها ذريته ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٢] مسلمون لله يعني كونوا حريصين على الإلتزام بهذا الدين ﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ إذا كان هناك في الدنيا ثقافات أخرى وديانات أخرى، وخرافات أخرى.

إذاً هذه نعمة عظيمة من الله عليكم: أن يصطفيكم، أن تكونوا حملة دينه وأن يصطفي لكم هذا الدين، أن تدينوا به له، وتدينوا به مع بعضكم

بعض، تتعاملون فيما بينكم على أساسه. الدين هذا محوره: هو التسليم لله، إذا ما هناك تسليم للنفس لله سبحانه وتعالى تظهر أشياء كثيرة جداً تعتبر كضراً بكثير من هذا الدين رفضاً لهذا الدين، أعني: محور قابلية الدين هو التسليم لله، القضية الأساسية فيه تساعدك على أن تكون ملتزماً بهذا الدين، وتتقبله، وتتأثر، وتستتير بنوره، وتهتدي بهديه، وتستبصر ببصائره: أن تسلّم نفسك لله؛ ولهذا يقول: ﴿فَلَا تَكُونُوا إِلَّا وَآئِنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٢] أي احرص طول حياتك؛ لأنّ قضية ﴿لَا تَكُونُوا﴾ أنت لا تدري متى ستموت يحتمل غداً يحتمل بعد غد يحتمل في هذا الشهر يحتمل في الشهر الثاني يحتمل... اجعل القضية حريص على أن تكون مسلماً دائماً نفسك لله ويكون معناه ماذا؟ في حياتك كلها.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ [البقرة: من الآية ١٣٣] حريص على الوصية هذه وتأكيدها حتى في لحظة احتضاره ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٣] أليس معناه: أن أسلافهم كانوا على هذا النحو؟ هذا نموذج آخر من داخل بني إسرائيل يبين لك كيف وصل بنوا إسرائيل، وأن الذي أوصلهم إلى الحالة السيئة: هو إعراضهم عن هذه المسيرة العظيمة التي بدأت بإبراهيم فيما يتعلق ببني إسرائيل ومن بعد من بعد نبي الله إبراهيم، أن هؤلاء عندما كانوا مهتدين بهدي الله، وحريصين على هدي الله حتى لمن بعدهم، لم يصبحوا مضلين لمن في عصرهم، ومضلين لمن بعدهم.

هو قدم لنا أنّ القضية في بني إسرائيل أصبحت على هذا النحو: ﴿وَمِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: من الآية ٧٨] هذا الجيل الذي معهم، وأصبحوا هم متبعين لأهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً، أي متقدمون أضلوا متأخرين، أضلوا الأجيال التي تعيش معهم، وأضلوا من بعدهم! هؤلاء هداة لمن كانوا معهم، ويحرصون على هداية من بعدهم أيضاً، وقضية رئيسية لديهم: التوجيه بعبوديتهم لله، وإسلامهم لله ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ هدى وهو في حالة الإحتضار.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] إذاً عرض عرضاً كاملاً بالنسبة لبني إسرائيل هذه النماذج المهمة منهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، كذلك الجيل الذين أقروا والتزموا عندما قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٣]، وذلك النموذج الذي قدموه على طول تاريخهم النموذج السيئ، إذاً تلك أمة كلهم أمة مضت، أنتم الآن مستقبلون مرحلة جديدة، مرحلة نبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا الكتاب القرآن الذي ينزل إليه، إذاً فما كان هناك من أعمال، أعمال حسنة لهؤلاء العظماء لن ينالكم منها شيء، ذلك الضلال الذي امتد على طول تاريخكم إلى الآن يكفي استأنفوا، استأنفوا الحياة من جديد، استفيدوا من هذه الفرصة العظيمة، أمامكم نبي جديد، وكتاب جديد هو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) افصلوا ذهنيكم عن الموضوع هذا تقولون: نتمسك بما كان عليه أبائنا، فقد ظهر كيف كنتم

في الأخير، مجموع ما لديكم: أهواء، عندما نقارن بين ما لديكم وبين ما لدى الآباء الأولين: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق يوجد فارق كبير جداً. إذاً فليس مبرراً لكم أن تقولوا: نحن متمسكون بأولئكم، أولئكم أنتم بعيدون عنهم، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فيما كانوا عليه أنتم بعيدون عنهم، وأولئكم أيضاً انتهوا اكتشف لكم ضلال ما كنتم عليه، وضلال ما كانوا عليه الأسلاف الآخرون، الخط الآخر من أسلافكم استأنفوا المسيرة من الآن. إذاً هذه المسألة إنما تقال لبني إسرائيل على أساس أنّهم مستقبلون لمرحلة جديدة. نحن هل يقال مثلاً بالنسبة لنا ونحن في وضعية عندما نقول: إنّه يجب أن نعرف، ونحن نقيّم واقعنا بحيث نعرف من أين أتينا ما السبب الذي جعلنا نصل إلى هذه الحالة السيئة؟ فوجدنا المشكلة بدأت من هناك، بدأت من بعد موت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من داخل جيل الصحابة، ثم يقولون بعد: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ وما يزال آثار تلك الأمة إلى الآن شغّالين فيها، ويدعون إليها، ويربون على أساسها، ويتقفون الناس على أساسها! هذا ليس مقاماً لهذه أن تقول لي: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ وأنت امتداد لتلك الأمة، وأنت ما زلت تمثل امتداداً لتلك الأمة، لكن تعال غير الوضعية تماماً وسنقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ أما أن تقول لي: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ وما زلت تتحرك بنفس ما كانوا عليه من أخطاء، وأنت تمثل امتداداً لأولئكم الذين ضلوا بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم تقول لي: لا أتكلم عنهم، ولا أقيّم الوضعية التي كانت بدايتها أخطاؤهم ومخالفاتهم، هذا منطوق غير صحيح ولا تنسجم الآية هذه معه، لاحظ ماذا تعني الآية هذه؟ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ أي أنتم

مستقبلون مرحلة جديدة ادخلوا فيها ﴿هَٰذَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٤].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: من الآية ١٣٥] انظر الفارق الكبير إبراهيم يقول: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] إبراهيم وإسماعيل، ويطلقون هذا الإسم على ذريتهم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] يوصون أولادهم بأن يكونوا مسلمين لله. وهؤلاء قدموا عنواناً جديداً من داخلهم: كونوا هوداً، والنصارى قالوا: كونوا نصارى تهتدوا! إذاً أليست هذه مخالفة واضحة، هذا العنوان مختلف تماماً، عنوان للدين مختلف تماماً، أي وصلت المخالفة إلى درجة المخالفة في الدين بكله، في عنوانه بكله؛ كونوا هوداً، قال أولئك: كونوا نصارى!

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وتلك الملة قد شرحناها كيف كانت إسلام، إسلام ﴿فَلَا تَكُونُوا إِلَّا وَآبَائِكُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ وآبائكم أعطوا هذا العهد عندما قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك، وأبوكم الأول الذي اسمه إسرائيل وهو يعقوب لم يفارق أولاده إلا بعد أن أقرروا أمامه في اللحظة الأخيرة أن يكونوا مسلمين، وهؤلاء قد معهم عناوين أخرى: كونوا هوداً، كونوا نصارى! ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٥] أي وصلت الحالة فيهم إلى الشرك داخل اليهود، وداخل النصارى.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] خطاب للمسلمين قد يكون بشكل رئيسي خطاب للمسلمين ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] يعني القرآن الكريم ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيَّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَرِيسَالِ الْمَلَكِ الْكَرِيمِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيَّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَرِيسَالِ الْمَلَكِ الْكَرِيمِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيَّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَرِيسَالِ الْمَلَكِ الْكَرِيمِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيَّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَرِيسَالِ الْمَلَكِ الْكَرِيمِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦]

أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿البقرة: من الآية ١٣٦﴾ إذا أليست هذه أفضل طريقة؟ أعني أحجموهم، هوداً أو نصارى؟ لا، هذا العنوان كله شامل، ماذا بقي بإمكانه أن يقول لك من بعد اليهودي والنصراني؟ ماذا يستطيع أن يقول لك بعد؟.

﴿أَمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن، وهذا هو التسليم لله، هذا هو الإسلام، وهذه هي ملّة إبراهيم: ﴿بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦].

هذه الإجابة تفحم الطرف الآخر، هذه هي الإجابة الصحيحة، وتكرر في مقامات كثيرة، لا يبقى النَّاسُ فاضين في ذهنيّتهم لا يعرفون كيف القضية فيقال لهم: "ديانات سماوية"، اليهودية "ديانة سماوية"، النصرانية "ديانة سماوية"، الإسلام ديانة سماوية.. هذه كلها ديانات، لا. هذه هي القضية الأساسية: نحن مسلمون ليس فيه اعتراف بيهودية، إقرار بنصرانية، على هذا النحو تكون القضية ليست قضية اعتراف بيهودية، اعتراف بنصرانية قل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: من الآية ٤٦] لأنك بهذه تشهد على أنهم هم مفصولون عن المسيرة هذه حتى في عنوان الدين، عنوان الدين من بدايته إسلام لله، والإسلام لله مقتضاه: تقبل ما جاء به أنبياء الله، والتسليم لله: بأن ندين في أي جيل بما يريد أن ندين به؛ لأنّ الدين هو له، الدين هو لله سبحانه وتعالى.

نقول: إذاً لا يوجد ديانات سماوية، وخطر كبير عندما يكون هناك من يعممه: اليهودية، النصرانية ديانات سماوية، والإسلام، كلها ديانات سماوية، وكلها نعترف بها وكلها كذا.. هذه مشت في أوساط المسلمين للأسف، وخطيرة جداً هذه يقبلونها خطيرة جداً، ولما كانت خطيرة الله يعلم المسلمين كيف يقولون؛ لأنّ اليهود قالوا: كونوا هوداً، النصرارى قالوا: كونوا نصارى، هذا نموذج لما يمكن أن يقوله، فإذا كان لا يتفق في زمن من الأزمنة أن يقولوا للناس: كونوا هوداً، قد يقولون شيئاً آخر يقولون: هذه ديانة سماوية، وهذه ديانة سماوية، اعترفوا بها مع الديانة التي أنتم عليها، ويعممونها بطريقة أخرى.

قل أمام كلّ ما هو من هذا النوع من المقولات: ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمسلمين بشكل عام ﴿أَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] أي إيمان بالرسول وإيمان بالكتب، نحن مؤمنون بالتوراة، ومؤمنون بالإنجيل، ومؤمنون بالزبور، ومؤمنون بصحف إبراهيم، ومؤمنون بكتب لا نعلم ما هي أسماؤها مما أنزل على أنبياء آخرين، هذا هو الإيمان الحقيقي، لكن أوّمن باليهودية، وأوّمن بالنصرنة هذه عناوين أخرى لا علاقة لها بدين الله، ديانة هي: مجموعة أهواء، مجموعة ضلالات، انحرافات عن ملة إبراهيم، عن التسليم لله، خروج عن الميثاق الذي أعطاه أسلافهم لله والذي أخذ أجدادهم على أبنائهم أن يكونوا مسلمين لله، ويأتي ليقول لك: ديانة سماوية!.

نحن نقول: لا نعترف بأن اليهودية ديانة سماوية، لا نعترف بأن

النصرانية ديانة سماوية، نحن نؤمن بما أنزل على موسى، وما أنزل على عيسى، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلى آخره.

تجد المسألة هنا من البداية كيف أصبح موقفهم من إسماعيل وذرية إسماعيل فعلاً في كتبهم، ليس لإسماعيل ولا لذريته أي ذكر إلا بالسخرية في كتب بني إسرائيل! هنا قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٣] إسماعيل هو الابن الأكبر لإبراهيم، وإبراهيم وإسماعيل هما الشخصان اللذان أسسا البيت الحرام، رفعوا قواعده، أليسوا هنا أخذوا عهداً، وداخل العهد إسماعيل مع إسحاق؟ إسماعيل مع إبراهيم وإسحاق؟ وصل بهم الحال إلى أن تنكروا لإسماعيل وذرية إسماعيل تماماً، وما كأنهم وجدوا، ولا كأن لهم ثقل، ولا كأنهم شيء، ولا كأن لهم صلة بإبراهيم.

تجد كيف فرقوا بين أنبياء الله، ثم فرقوا هم داخلهم! هنا مسيرة واحدة، وأسرة واحدة: إبراهيم إسماعيل إسحاق يعقوب، أليست هذه أسرة واحدة؟ يهتمون إسماعيل ويركزون يعقوب! هناك إسماعيل ومقابله إسحاق لكونه في الطريق فقط إلى إبراهيم، وإلا فالإهتمام لديهم بيعقوب، هم قدموها عنصرية، قدموها قومية بشكل بغيض جداً.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] ألم يعلم المسلمين هنا كيف يقولون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] كلهم أنبياء الله، كلهم رسله، والكتب التي أنزلت عليهم، دون أن تلاحظ ما بين يدي بني إسرائيل؛ ما بين أيديهم محرف، وضلالات، لا يعني أن ما بين أيديهم

هو ما أنزل، في داخله قد يكون، لكن العبارة الصحيحة: ما أنزل عليهم، ما أنزل عليهم من جهة الله، وما أنزل عليهم ليس معناه ما بين أيديكم الآن، وقبل الآن مما هو مجموعة تحريفات وضلالات.

إذا فالموقف هنا واضح ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] بما أنزل إليكم، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل.. إلى آخره، وأن يكونوا مسلمين كما أنتم فقد اهتدوا ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] قضية واضحة عناد وشقاق؛ لأن ما تدعوهم إليه هو ملة إبراهيم، هو ملة إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وهذا الدين الذي هو امتداد من قبل إبراهيم، هذا موقف ليس فيه اعتراف بالآخر هل فيه قبول للآخر؟ لا. ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ إقبلهم ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ ففضوا منهم الموقف الذي يفرضه عليكم دينكم منهم، الموقف منهم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] عندما يصبحون مشاققين لن يكون من جانبهم إلا ماذا؟ عناد، ومؤامرات، وحرب، وأشياء من هذه.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] لاحظ أنه لا بد أن يكون الموقف صريح على هذا النحو، لا يكن هناك أقلمة، تأقلم، امتداد لقوله هناك: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٠] هنا يقول: كيف يكون الموقف فيما يتعلق بالقضية من أساسها، علاقتنا بهم تحت عنوان دين، أو غير دين عندما يقولون لك: كونوا هوداً، كونوا نصارى! قل: لا، هذا موقفنا: نحن نؤمن على هذا النحو: ونحن له مسلمون، لا يوجد اعتراف بكم على الإطلاق، القضية إن

اهتديتم إلى ما نحن عليه، آمنتم بما أنزل إلينا، وأنزل إليكم، فقد اهتديتم، وإن توليتم فأنتم مشاققون، لا تحسب حسابات أنك تحاول أن تسترضيهم بأي عبارات مثل الذي يحاول المسلمون الآن [كلها ديانات سماوية واحدة]، أليست هذه عملية استرضاء على أساس خوف من أي شيء كان، لا يبرر هذا الخوف أن تصل بك المسألة إلى هذا التنازل، إلى هذا العنوان المشين، إلى هذا التسليم المشين، لا.

يكون موقفك صريح ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] فإن آمنتم بما نحن مؤمنون به هو هذا العنوان الكبير ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] إلى آخره وبعنوان مسلمون ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] فإن آمنتم بما نحن مؤمنون به فقد اهتديتم، ونقبلكم كمسلمين وإلا فأنتم تعتبرون مشاققين، يشاققون كيفما يشاققون موقفنا منهم هو: الموقف القرآني الذي صرح في الأخير ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] أليس هذا موقفاً صريحاً.

إذاً فهذا هو ينسف هذه الحالة السيئة، وهذه المحاولة السيئة التي يطرحها، بل ربما قد صارت مطروحة في المناهج، في مناهج أبناء المسلمين: القبول بهم كيهود، القبول بالنصارى كنصارى وباعتبارها يهودة ونصرنة، ديانات سماوية! أليس هذا موقفاً صريحاً هنا حتى لو كنت تخاف ما تخاف من ورائهم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] لا يخفى عليه

شيء من مؤامراتهم، لا ما يسرونه ولا ما يعلنونه.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٨] هذه هي صبغة الله [التعميد] يعرف بأن هذا هو إنسان مسلم لله، هي هذه، ليست الصبغة التي يعملها النصارى، يغمسون أولادهم في ماء معين، مصبوغ بصبغة معينة على أساس هذا قد صار نصرانياً بمعنى: أنه قد صار من الناس المتدينين بدين الله! هذه هي صبغة الله، هذه التوجيهات، هذا العنوان، هذه المقولة: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] قبلها ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٦] هذه هي صبغة الله، يدخل ضمن صبغة الله.

لاحظ الموقف منهم لم يأت بكلمة صبغة الله بعد قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أيضاً جاء بعدها بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧] أي يكون موقفكم منهم على هذا النحو، إذا فهذه هي صبغة الله عقيدة وموقف.

هنا سئل السيد من أحد الحاضرين: فسيكفيكمهم الله، أليست توحى بأنه سيحصل معهم صراع؟ أجاب: هذا معلوم؛ ولهذا أنه جاء في القرآن الكريم توجيهات الله في كيف يتعامل الناس معهم، وفي كيف يكونون منتبهين لهم، وحريصين، وحذرين، ومتجهين عملياً في مواجهتهم إلى درجة المقاتلة.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ وعد بالتأييد، وعد بالنصر، وعد بفضح مؤامراتهم، وأشياء كثيرة تمثل الكفاية من الله، أشياء تأتي تنطلق أنت فيها، وما

يعمله الله من خلال انطلاقتك. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] هذه لدينا هي الصبغة التي يتبين من خلالها أنّ الإنسان هو مسلم لله، هو على ملّة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكلّ أنبياء الله إلى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه هي صبغة الله ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ليست الأشياء التي تعتبرونها عندكم: أنّ فلان قد دخل في النصرانية، أنّ فلان دخل في اليهودية، عناوين معينة، أو أشياء معينة صبغة مثلما هو عند النصارى يغمسونه في ماء يسمونه [ماء المعمودية] عمدوه مثلما تقول: قد صار معمداً، نصراني، نصراني.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩] ليس هناك أي مبرر في المجادلة في الله لكن هم وصلوا في ضلالهم إلى المجادلة في الله، في موضوع الألوهية، قد أصبح الكثير من النصارى على هذا النحو: مجادلة فيما يتعلق بالله، ليسوا مؤمنين بوحداية الله، يحتاجون يجعلون الله مجموعة من ثلاثة أشياء: عيسى، والروح القدس، والله، المجموع الله، المجموع إله.

إذاً فهنا الحجة واضحة لدى المسلمين، وقدمت القضية بالشكل الذي يعتبر موقف اليهود والنصارى في مقام المحاجة ضعيفاً جداً بدءاً من الله، والملة التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق الدين بعنوانه، مسيرة الدين هدى الله كلّها بالشكل الذي يمتلك المسلمون فيها الحجة التي تخرس أي طرف يعاندهم من اليهود أو النصارى.

قد يكون أحياناً أسلوب ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٩]

تقدم القضية من جانب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن جانب المسلمين بالشكل الواضح تماماً فلا تبقى منشغلاً على طول، على طول بمحاجبتهم، بلاداتهم، بنقاشهم في كثير من التفصيلات، تتيه معهم ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٩] لا تعني: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ إقرار على ما هم عليه على الإطلاق، لا تعني هذا، ولا تعني: نحن أمة لوحدنا، وأنتم أمة لوحدكم، نحن ندين بهذا، وأنتم تدينون بذلك، لنا أعمالنا هنا، وأنتم لكم أعمالكم هناك.

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ من ضمن أعمالنا المواقف التي وجه إليها القرآن الكريم معهم، وموقف القرآن الكريم قام على أساس لا مجال - لو أنه طبق القرآن الكريم، ولو أن المسلمين جسده ومثله - ترى ما هناك مجال أمام اليهود من أن يذوبوا في المجتمع المسلم فيسلموا، أو أن يحصل من جانبهم أشياء تعتبر نقضا، تعتبر مخالقات فيضربوا.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٠] انظر كيف بدأ المسألة بعد وضوح المسألة فيما هو دين الله، الحديث عن الله، وعن إبراهيم وإسماعيل إلى آخره. إذا فكيف بإمكانكم أن تحتاجونا في الله، القضية واضحة. ثم جاء ليتحدث عن ماذا؟ عن إبراهيم وإسماعيل، المسألة بدأت من فوق، من عند الله وتحت، هذه توحى فعلاً: بأن القضية الأساسية، والهامة جداً: معرفة الله، معرفة الله أساس لصحة المعارف الأخرى، أساس فيما يتعلق حتى بمقام المحاجة مع طرف آخر، أحياناً إذا هناك نسيان للموضوع: أن المسألة كلها تبدأ من عند الله سبحانه وتعالى،

وتنتهي إليه قد يتجادلون إلى تحت، ولا ينتهون إلى شيء نهائياً، هنا يبدأ الموضوع من فوق، ورؤية صحيحة فيما يتعلق بمعرفة الله تكون مساعدة على ماذا؟ كمقاييس تنزل، وأشياء يلتقي عليها الناس في بقية القضايا التفصيلية.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٠] لأن الله قد قدم القضية هو قال هناك: بأنهم كانوا مسلمين لله، وما كانوا يهوداً، وما كانوا نصارى؛ باعتبار اليهودية لديهم أصبحت تعني ماذا؟ دين. سمو الدين يهودية، سمو الدين نصرانية. ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٠] والله قد أخبر عنهم كيف كانوا، كانوا مسلمين له.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٠] لأنه في كتبهم ما يدل على كيف كان إبراهيم في واقعه، وهنا شهادة جاء بها القرآن الكريم بالنسبة لأبائهم الأولين عندما قال: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] إذا فما في كتبهم من أشياء هي تبين: أن هذا كان واقع سلفهم، يعتبر شهادة قائمة لديهم في كتبهم، فهي امتداد لما حكاه الله عن أولئك، وما قالوه هم عندما استوتقهم أبوهم يعقوب ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٠].

﴿بَلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿البقرة: ١٣٤﴾ هي نفس المعنى السابق تقول: يكفي حكيما هذه على هذا النحو إذا عودوا واستأنفوا المسيرة من جديد في ظل نبوة جديدة، وكتاب جديد، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، والقرآن الكريم" (١).

٣- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٤-٦٨].

وحول هذه الآيات المباركات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدر الدين الحوثي

(رضوان الله عليه):

"﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] هذه دعوة إيمان هلموا آمنوا بهذه ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] هذه الكلمة نفسها هي الكلمة التي قال الله هناك: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ [الزخرف: الآية ٢٨] قضية هي واحدة داخل دين الله أي ما لدينا ليس شيئاً خارجاً عن دين الله الذي أنتم تعرفونه ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس السابع، سورة البقرة.

اللَّهِ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ أليست هذه الأشياء أصول معروفة لديهم في الدين؟ وهناك شواهد عليها في ما لديهم في تراثهم شواهد على هذه؟ النصارى الآن لا يعتبرون أنفسهم مشركين هم ولا يعتبرون أنفسهم كافرين بالله. اليهود كذلك لا يعتبرون أنفسهم أنهم كافرين ومشركين بالله هم عندهم المشركون الفئة الأخرى المعروفة المشركين الذين هم ماذا؟ يعبدون أصناماً.

تمثل هذه فيما يتعلق بما يسمونه: [الحوار]. تمثل هذه: أسساً، ضوابط للحوار أي هذه تمثل قواعد مشتركة هي في نفسها تعتبر مقاييس يتم على أساسها بيان ما هناك من أخطاء عندما يقول: ﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] وقبلها ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] أليست هذه تعتبر قواعد تعتبر مقياساً هي عندما يقول ﴿وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ أنتم عندما تقولون في المسيح [كذا كذا كذا] إذاً هذا يتنافى مع القاعدة هذه، أعني هذا يعتبر شركاً، إذاً يجب أن تتخلوا عنها مع أنّ هذه الأشياء يؤمنون بها جملة عبادة لله، أنّ الشرك محرّم في دين الله يؤمنون بهذه وكذلك أن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله وهذه أشياء سائدة داخلهم كما قال عنهم في آية أخرى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: من الآية ٣١].

أعني فيما لو قام حوار بينك وبينهم تعتبر هذه قواعد تمثل ضابطاً لأنّ أيّ حوار بين أطراف لا بد أن يكون هناك قواسم مشتركة - التي يسمونها - يكون هناك قواعد قضايا يلتقي عليها الكل يعتبرونها ماذا؟

منطلقاً لحوارهم.

القضية من البداية تبدو دعوة إيمانية ﴿تَعَالَوْا﴾ ما هناك نحن سنأتيكم هكذا. كيف موقف العرب الآن؟ أعني هذه تمثل ثقة أنّ الإنسان الذي هو فعلاً يسير على دين الله يجب أن يكون واثقاً بما هو فيه وما هو عليه، تعالوا أنتم، عندما تكون بمعنى داعي تدعو إلى دين الله، تدعو إليك، يسيرون إلى الأشياء هذه التي أنت تؤمن بها وتسير عليها لا أن تكون أنت تحاول تؤقلم نفسك مع الآخرين تكون قد أنت تسير بعدهم وتحاول تزيل من الدين الأشياء التي قد تكون تزعلهم مثلما يعمل العرب الآن! أبعدوا الجهاد، وقدموا تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣] وأشياء كثيرة. [قدموا الدين بالشكل الذي يمكننا أن ننسجم مع أولئك!].

لا، هذه الدعوة هي ﴿تَعَالَوْا﴾، تعالوا، هذه قضية مهمّة في مسألة أنك تبدو أنت أمام الآخر واثقاً بما أنت عليه قضية أساسية في قابلية ما أنت عليه من الدين أن تبدو واثقاً بما أنت عليه، قضية مهمّة، الاهتزاز يطمّع الطرف الآخر، أيّ طرف آخر لا يعد يجعلك في وضعية ينجذب إليك، لا ينجذب إليك، فقط يحاول يملي أكثر يسحبك إليه ويجرّدك من كثير من الأشياء التي لا يريدّها حتى تصبح في الأخير تابعاً له.

[ليس صحة ما الإنسان عليه يتوقف على أن يكون مقبولاً عند الآخرين] هذه قاعدة مهمّة، نحن داخلنا فيما يتعلق بموضوع أنّهم يحاولون أن يحتجوا على السنّة على آخرين وهكذا أخذ ورد إلى أن

وصلنا نحن متى ما لدينا شيء يبدو أنّه ليس موجوداً عند الطرف الآخر يبدو وكأنّه غير صحيح! أو إذا هناك شيء، رفض الآخرون أن يؤمنوا به رجعنا نحن نكاد أن نتخلى عنه!. أن تكون مؤمناً بالشئ يجب أن تكون واثقاً من نفسك بأنّه صحيح وأنّه أنت في موضع الثقة بما أنت عليه وتعطي ثقة تبدوا أمام الآخرين، يعني قضية ظاهرة، يظهر للآخر أنّك واثق بما أنت عليه ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أليس هذا كلام الواصل من نفسه ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ كلام الواصل من نفسه بصحة ما هو عليه.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] لاحظ هذه هي مواقف ثابتة، هذه قضية مهمّة جداً وليس إذا تولوا فابحث كيف تقول: [مستعد ابعدوا هذه اسكتوا من هذه سنقدم بنداً آخر غير هذا] مثلاً [إذا لم يعجبكم] ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] نقول: [إذا سنقدم عنواناً آخر!] لا، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] حتى لو لم تقبلوا أنتم بالنسبة لكم.

هذه المواقف الثابتة مهمّة جداً، ولاحظ ما كان أحوج الناس إليها في المرحلة هذه ما كان أحوج العرب إليها في هذه المرحلة، أن يتعلموا من القرآن كيف تكون مواقفهم ثابتة وكيف يكون تعاملهم مع الآخرين مع اليهود والنصارى، الآن يقدمون مبادرة لم تعجبهم وقدموا مبادرة أسوء، وهكذا إلى تحت، وصل الأمر الذي انتهت إليه القضية إلى أن قد هناك املاءات من جانب اليهود والنصارى هم على المسلمين، [ابعدوا هذه الآيات ابعدوا هذه الآيات من القرآن دخلوا هذه في المناهج اجعلوا المنهج

بالشكل هذا غير الحكومة حثك بالشكل هذا اجعل فلان هنا وفلان هناك] أليس هذا يحصل؟ لأنّه لم يحصل عند المسلمين موقف ثابت.

﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] ماذا يعني هذا؟ هل استكمل ما يعتبره الآخرون [دعوة حوار]؟ هل استكمل القضية معهم؟ هناك ثلاثة أشياء إذا أنتم تريدون نحن ندعوكم إلى أن تأتوا وهي قضية معروفة عندنا وعندكم ولو تحاورنا أليست هذه ثوابت؟ لم يرضوا يقبلوا مع السلامة، اشهدوا أنتم أننا مسلمون، هذا أيضاً يعطي ثقة بما نحن عليه من كلمة: [تعالوا] وعندما نقول في الأخير ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] لم يقل: [إذاً هذا البند إذا لم يعجبهم قدم بندياً ثانياً تنازل قليلاً قليلاً] ما حصلت هذه؟

هذه الدعوة أهم بكثير مما قدمه [خاتمي] التي يسمونها دعوة: [حوار الحضارات] لأنّه هنا في نفس الآيات هذه ليس فيها إقرار أنّهم على شيء حقيقة، فهم هناك شيء متكامل يؤمن باستقلاليتهم ويؤمن بكذا، إنّما نحاول كيف يكون تعاملنا مع بعضنا بعض، كيف تكون حركتنا مع بعضنا بعض، في هذه الحياة مثل مسألة: [حوار الحضارات]، يدعوهم إلى ما هو عليه، وهذه المقاييس التي قدمها ألم يقدمها مما عنده هو؟ إنّما باعتبار أنّ لديهم في كتبهم ما يعتبر إيماناً بهذه، فتعتبر شاهداً عليهم، أي ما جاء الإنتقاء أنّه ينتقي أشياء من داخل ما لديهم، من عنده، أليس هذا توجيهاً من الله؟ هذا توجيه من الله ﴿قُلْ... تَعَالَوْا﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤].

ألم يأت هذا من عند الله؟ البنود هذه جاءت من عند الله ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] لو أتوا إلى هذه واعتبروها مقاييس هم كيف ستنتهي القضية بالنسبة لهم، هل سيبقون هناك حضارة أخرى أو سيكونون مسلمين؟ يبين لك أنّ المطلوب أن يكونوا مسلمين عندما قال بعد: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] أما نحن فنحن مسلمون ليس موضوع [حوار حضارات] أن يردهم إلى الإسلام لله، إلى الحضارة الصحيحة الوحيدة، الحضارة الصحيحة الواحدة التي تبني الإنسان وتبني الحياة هي هذه: الإسلام لله.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٥] في موضوع إبراهيم كلّ منهم يريد أن يدعي أنّه أولى به! اليهود عندهم: أنّ إبراهيم يهودي والنصارى يقولون: إنّ إبراهيم نصراني كيف هذا وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده! واليهودية قد قدموها برؤية أخرى هي ماذا؟ من بعد إنزال التوراة، من بعد إنزال التوراة بل وصلوا إلى حالة أعلى من هذه يقولون عنهم: إنّ كل واحد منهم يعتقد أنّ الله يهودي! أنّهم هم عندهم أنّ الله على كيفهم مثلهم مثل أي [حاخام] منهم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٦] في موضوع عيسى مثلاً في موضوعات من هذه لكن أنّه يأتي ليحاجج في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل ودعاوى يهودية ونصرانية إلاّ من بعد

بكثير يرد عليهم بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٦ - ٦٧].

لاحظ هنا ظاهرة من مظاهر التلاعب بالدين يقولون للناس: كونوا هوداً أو نصارى يسحبون من هنا من تحت ويريدون الآخرين يحاولون يؤقلمونهم معهم إبراهيم هو كان يهودياً! وأنتم تيهودوا! الأسلوب هذا غلط كله لأن الموضوع هو إسلام لله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] فقال لهم: إبراهيم كان مسلماً وجاء بكلام من كلام إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨] يعقوب عندما أوصى أولاده قال ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٢] وهنا أيضاً جاء بكلمة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٧] إذا هذه تعتبر مثلاً بالنسبة للناس أعني بالنسبة للمسلمين أنفسهم المسلمون أنفسهم عندما أصبحوا طوائف لديها عناوين داخلية؟ السني يريد يحول الشيعي سني والشيعي حريص أن يحول السني إلى شيعي، وداخل السنية الشافعي يريد يحول الحنفي شافعي والحنفي يريد يحول الشافعي حنفي، وأشياء من هذه، الإثنا عشري يعمل يريد يحول الزيدي إثنا عشري أليست هذه تحصل؟ هذه أساليب ليست صحيحة، الصحيح أنه كيف نعود إلى العنوان الرئيسي العنوان الأصلي: الإسلام لله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩] هذا العنوان الذي يجب أن نحمله جميعاً وهذا العنوان الذي مقوماته يلتقي عليها

المسلمون فعلاً هذا العنوان، فنرجع إلى كتاب الله لنكون مسلمين نبعد عناوين من هذه العناوين الخاصة التي كل واحد قد ثقف ثقافة تجعله أنّه ينظر نظرة مشتمزة إلى الآخر أليست هذه قد حصلت؟ بغض النظر عن محق أو مبطل داخلها.

ما يزال هناك طريقة هي التي علمنا القرآن الكريم أنّها هي أقرب إلى أن نلتقي عليها تعالوا إلى ماذا؟ إلى العنوان الرئيسي، أن نكون مسلمين لله، حتى عندما يعرض علينا قصة بني إسرائيل هذه القصص الطويلة العريضة ليس فقط أنّه ننظر كيف كانوا [الله أكبر عليهم كيف كانوا وأشياء من هذه] لا، نحن نأخذ عبرة منها نأخذ عبرة نحن في واقعنا حتى في مسألة كيف يمكن أن يلتقي الناس ليست قضية تقول: المسلمون وصلوا إلى حالة مستحيل أن يكون هناك ما يمثل عامل يمكن أن يلتقوا حوله؟ هو موجود ولكنّه لم ينزل لم ينزل العنوان الرئيسي وما هو يعتبر ماذا؟ فعلاً شبيه بتلك الآية السابقة ﴿كلمة سواء بيننا﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤]. أليس القرآن هو كلمة سواء بيننا؟ إذاً فلنعد إلى القرآن ونحمل اسم إسلام لله هذا الإسم الذي سمانا الله به وسمانا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحمل الإسم هو وسمانا إبراهيم من قبل آلاف السنين.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا نأتي لنقول: [هل كان شيعي أو سني أو حنفي أو مالكي أو شافعي أو جعفري أو زيدي] أو أشياء من هذه شبيهة بهذه. لاحظ الناس عندما يأتون يؤطرون الدين في عناوين أخرى في الأخير تنتهي المسألة إلى ادعاءات، أليس الآخرون يدعون أنّ السلف

الصالح هم كانوا على ما هم عليه عندما يقول لك: [نحن على ما عليه السلف الصالح] يعني: هو يدعي أنّ السلف الصالح كانوا على ما هو عليه والسلف الصالح عندهم [ما أنا عليه أنا وأصحابي] أليس بعضهم يقولون هكذا؟ يجعلون السلف الصالح رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إذاً فرسول الله هو كان سنياً! لم يأت عنوان سنّية أو عنوان شيعة كطائفة بهذا المعنى، تشيع كاعتقاد كمبدأ، لم يقدم كطائفة، كاعتقاد ومبدأ لا يختص بطائفة معينة، يجب أن يكون الناس متشيعين في الإمام علي أي: شيعة له أتباعاً له؛ لأنّ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جعله ولياً للمؤمنين من بعده أليس هذا في [حديث الغدير]؟ وحديث الغدير لدينا ولديهم؟.

لا يأتي مثلاً في موضوع محاولة الإلتقاء أنّه هذا شيوعي يحاول يسحبهم إليه وذلك سني يحاول يسحبهم إليه وأشياء من هذه! يكون بعنوان: الكلمة السواء التي بين الجميع وهي: القرآن الكريم، وإعطائه الأولوية المطلقة والحاكمية المطلقة القرآن؛ لأنّ القرآن هو حاكم على ما قدموه هم من السنة أليس [حديث العرض] ينص على هذا؟ «فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله» لأنّ كتاب الله هو المرجع نرجع إليه هو الكلمة السواء عندما تقول لي: وسنته! السنة التي - كما قال الإمام الهادي - السنة المعلومة لدى الجميع باعتبارها أيضاً تمثل ماذا؟ قواعد عامة وتمثل ماذا؟ قواسم مشتركة يمكن أنّنا نعتبرها مقاييس للحوار وقواعد ننطلق منها للحوار هذا فيما لو... وإلا فالمسألة أساساً لا تقدم إلى هذا، وهذا من مظاهر رحمة الله بعباده أنّه لا يعلق الفرغ عنهم بما

هو شبيه بالمستحيلات أو بما قد جعلوه وكأنّه مستحيل، هل تستطيع أنت أن تحول الشيعة إلى سنية أو السنية إلى شيعة؟ هل أحد يستطيع الآن؟ لا يستطيع وخاصة، أنّهم أيضاً يقدمونها قضية حساسة جداً يستغلها العدو. الطريق الذي يمكن أن يكون طريقاً صحيحاً لا يرتبط بهذا لا يقوم على أساس محاولة التقريب لأجل الشيعة سني أو السني شيعي، منهج قائم هنا حركة على أساس القرآن الكريم تترفع عن كل العناوين الخاصة وتعطي أولوية للقرآن الكريم وتسير على هديه وتتحرك في الساحة هذه، دائرة قابلة للتوسع لأن كل طرف لا يعتبر أنّك تقدم الشيء الذي هو قد ثقف على أساس النفور منه نهائياً، وعندما يراك أيضاً بأنك تقيّم ما لديك ولديه بنظرة واحدة على أساس القرآن وليس أنّك تحاول تؤولم القرآن على ما لديك من تراث ثقافي وما لديك من ماذا؟ من مرجعيات سواء شخصية أو مرجعيات من الكتب.

على الطريقة التي نسير عليها، الطريقة التي نسير عليها، ألسنا ننقد ما لدينا وما لدى الآخرين؟ هل يستطيع أحد من السنية يقول: إنّ هذه نظرة متعصبة؟ قل له: لا، نحن نظرنا إلى أنّه يجب علينا جميعاً أن نرجع إلى القرآن الكريم ونقيّم ما لدينا جميعاً ولدينا أخطاء، كلنا لدينا كلنا أخطاء شيعة وسنة زيدية واثنى عشرية السنة بمختلف طوائفهم لدينا أخطاء كلها ناشئة أننا ابتعدنا عن القرآن الكريم، إذاً فلنرجع إليه.

ولا يوجد هناك أنّك تحاول أن تؤولم القرآن معك وتقول للسني يتحول إلى عنوان آخر إنّما نرجع إلى ماذا؟ مسلمين لله هذا العنوان

الرئيسي نرجع إلى أن نحمل عنوان مسلمين، والنّاس ربما في المرحلة هذه أحوج ما يكونون إلى أن يحملوا هذا العنوان وحده فعلاً في المرحلة هذه بالذات في موضوع صراع عالمي، أليس هناك صراع عالمي الآن؟ لأنّ هذا هو العنوان الهام الذي يجعل هذا الدين مقبولاً عند الآخرين عند البشر جميعاً لا يُوْطر بأطر قومية بأطر عرقية معينة بأطر إقليمية نهائياً؛ لأنّ كلمة إسلام كلمة عامة بمعنى: إسلام لله والبشر لديهم معرفة بالله سبحانه وتعالى.

لاحظوا في الآية هذه عندما قال: ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] ألم يقل هكذا بعدما دعاهم اشهدوا بأننا مسلمون؟ وهم جالسون مشغولين كلّ واحد يحاول يرد النّاس يقول اليهود: كونوا هوداً إبراهيم كان يهودياً قال أولئك: كونوا نصارى إبراهيم كان نصرانياً! الجنة لن يدخلها إلاّ من كان يهودياً والنصارى يقولون هناك: لن يدخلها إلاّ من كان نصرانياً! أليست بهذا الشكل؟ قد صار هناك عمل غريب جداً، وهم يدعون إلى أن يكونوا مسلمين.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ مسلماً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٧، ٦٨] وهذه فيها تعريض بالنسبة لليهود والنصارى وبالنسبة لأيّ فئة أخرى. لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً كان مسلماً. وفيها تعريض أيضاً بأنّه ممكن أن تعني العبارة هذه فيها إحياء بالنسبة لواقع اليهود وواقع النصارى أنّ هناك نوعاً من الشرك بشهادة أول الآية ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٤] ولما حكاها في مقامات أخرى.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٨] والذين آمنوا بهذا النبي وبما أنزل إليه والله ولي المؤمنين لاحظ هنا القضية إبراهيم ثم فوق إبراهيم إلى الله هي هنا ولاية الله هي هنا. لا يكون اليهودي عنده أنه ولي الله والنصراني عنده أنه ولي الله^(١).

٤- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحل: ١٢٠-١٢٣].

٥- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

٦- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٥، ١٢٦].

٧- يقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه يوسف (عليه السلام):

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الثالث عشر، سورة البقرة.

٨- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأَنْعَام: ١٦١-١٦٣].

٩- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٣].

وحول هذه الآيات المباركات يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي

(رضوان الله عليه):

"﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: من الآية ١١١] أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كانوا هوداً، والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١١١] مجرد أمانى ومجرد أكاذيب متشاجرين على الجنة وما هم حولها كلهم ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: من الآية ١١١] على هذا الإدعاء كيف يستطيعون أن يقدموا برهاناً في الحالة هذه وواقعهم على هذا النحو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى؟ هم يعلمون بأنهم قتلوا الأنبياء وكانوا يكذبون ويحرفون، كيف يستطيع أن يدعي اختصاصه بالجنة بل كيف

يستطيع أن يدعي بأنّه من أهل الجنة؟! ما بالك بالإختصاص: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا والآخر لن يدخل إلا من كان نصرانيا.

هنا يقدم المسألة أيضاً بما يتنافى مع ما هو أساسي في الآيات هذه: أن دين الله لا يكون قومية ليس قومية، ليس - فقط - دينا لقومية أو لعنصرية أو لفئة معينة، دين الله هو يتسع للجميع، هم كيف أصبحوا؟ أصبحوا منزويين على أنفسهم بل سموا الدين باسم قوميتهم هم أصبحت اليهودية تعني دينا عندهم سموا الدين باسمهم وجعلوها قومية، وجعلوا دين الله شريعة عيسى أيضاً قومية؛ لأنّ كلمة يهود وكلمة نصارى هي: قوميات جعلوها ديانات هذه هي من السلبيات ومن السيئات هي في حد ذاتها مما تظهر بأنهم أصبحوا يقدمون الدين على خلاف ما أنزله الله على الإطلاق، هو أنزله للبشر جميعاً، وجعل اسمه عنواناً لا يرتبط بقومية على الإطلاق [إسلام] والإنسان الذي هو يدين بدينه يعني: أسلم وجهه لله ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١١٢] الدين ليس دينا ينبغي أن يسمى ويطلق عليه عبارات قومية عبارات عنصر معين يهودية نصرانية، لا يصح أن تسمي الإسلام عربيّة أعني: هم بالنسبة للدين سموه كما لو جئنا نسمي الإسلام عربيّة.

دين الله يحمل عنواناً هو فوق الأشياء هذه بكلها ويستوعب الأشياء كلها مفتوح، لماذا؟ لأنّه أحياناً العنصرية القومية تشكل عوائق أمام الآخرين؛ لأنّه في الأخير يترافق معها يترافق معها ماذا؟ تثقيف عنصري تثقيف قومي، والآخر هناك من عنده شكل كل طرف أسوارا على أنفسهم

فلم تعد هناك إمكانية لأن يكون الدين بالشكل الذي يدخل فيه القوميات الأخرى، فهذه من مساوئهم الكبيرة.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: من الآية ١١١-١١٢] لاحظ كيف العبارة رفعها تماماً عن موضوع ماذا؟ القوميات ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١١٢] فليكن من داخل مجتمع اليهود أو مجتمع النصارى أو مجتمع العرب أو الفرس أو الأفارقة أو من أي منطقة كان ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١١٢] أليس هذا ردا عليهم ويبين خطأهم في كيف مزقوا الدين وحولوه إلى قوميات وعنصريات ثم الجنة صاروا يتنازعون عليها مثلما تقول: قد آل فلان وآل فلان متنازعون ولم تعد المنازعة عليها تحت عنوان مثلاً دين قد صار نزاعاً بين اليهود والنصارى مثلما تقول: بين العرب والفرس على الجنة، ليست القضية بالشكل هذا، الجنة الله جعلها على هذا النحو ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: من الآية ١١٢] كلمة أسلم وجهه: أخضع نفسه، عبّد نفسه، من كان على هذا النحو سيكون قابلاً لأن يسير على هدي الله ويأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيهِ ويتوجه بتوجيهاته يقبل، هم لو أنهم على هذا النحو: مسلمون وجوههم لله لقبولوا لكن لا، أطروا أنفسهم بأطر قومية؛ ولهذا جاء في سياق الآيات الكلام عن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً وكان مسلماً وأوصى أولاده بالإسلام ودعا الله أن يجعله وأولاده مسلمين ويعقوب كذلك. تراها أيضاً كيف كانت قضية تحدث عنها بشكل

كبير موضوع الإسلام لله.

إذا نفهم من هذه: أن القضية هامة جداً جداً يعني: قضية تقديم الدين، لاحظ الآن عندما تنظر إلى الأمريكيين أنفسهم من العوائق أمامهم الكبيرة أنهم قدموا أنفسهم للعرب كأمركيين أمريكا كدولة كأمة مستقلة لم يعد بالإمكان مثلاً أن يقدموا أنفسهم بحيث يكونون قابلين أن العربي إذا ما كان على ما يريدون فهو منهم أو أي بلد يدخلونه سيعتبر أهل هذا البلد هو منا له مالنا وعليه ما علينا، أبدأ يدخل الأمريكي وهو يريد من بلدك أن ينهب ثرواته لشركاته هو، شركات أمريكية أن يفرض نفسه كأمركي أي كعنصر معين وبلد معين وفئة معينة من الناس.

الإسلام عندما كان يفتح بلدانا كيف يكون أهلها؟ لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ألم يكن هو بالشكل هذا؟ الآن تراها عندما قدم الأمريكيون أنفسهم بعنوان قومي أمريكا؛ شكلت عائقا كبيرا أمامهم أليس العراقيون يطالبونهم يخرجون؟ هل كانت الشعوب التي كان يفتحها المسلمون يطالبونهم بأن يخرجوا منها؟ لا، لأنه لا يرى أن هناك فئة احتلته احتلالا بحسب منطلق الإسلام العام أبدأ مسلمين يعني: لنا ما لهم وعليهم ما علينا غاية ما هناك اتسعت الدائرة فقط، لا يأتي كطرف آخر ينهب ثرواتك هناك مثل لو كان ملكاً له يذهب به إلى هناك، الأمريكيون الآن أليسوا الآن يظهرون يريدون نهب ثرواتهم لمن؟ للإنسان الأمريكي.

إذا فالمسلمون هم يحملون عنواناً هاماً جداً - من إيجابياته الهامة إزالة عوائق كثيرة تخلق عند الشعوب وتخلق في النفوس، فيما إذا ما قدم

الموضوع بعناوين قومية أو عنصرية - إسلام، فإذا دخل المسلمون بلداً غاية ما هناك ماذا؟ لن يجد أهل ذلك البلد أنّ هؤلاء جاءوا يحتلوننا جاءوا ينهبوننا جاءوا... أبداً، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ثرواتهم لهم ثرواتنا أيضاً لهم ثروات الكل لبعضهم بعض، هل يستطيع الأمريكي أن يعتبر العراقي: له الحقوق التي يتمتع بها الأمريكي؟ أبداً، لو تأتي انتخابات في أمريكا سيشركون العراقيين فيها؟ هل يعتبرون أنهم شركاء في الجنسية الأمريكية؟ أبداً، إذا ترى هذه بأنّها شكلت عائقاً كبيراً جداً أمام الأمريكيين على الرغم من قوتهم الكبيرة وتمكنهم الكبير.

لاحظ أحياناً الأمريكيون يتهربون من عبارة: القوات الأمريكية أو الجيش الأمريكي يأتون بعبارة التحالف باعتبار أنّه عنوان عائم شيئاً ما كأنّهم لمسوا هذه لمسوا من البعض الإشكالية هذه فحاولوا يأتون إلى عنوان يعتبر عائماً نوعاً ما لا يعد يمثل إشكالية معنى التحالف، قوة معينة لم يخرج عن إطار قومية نهائياً؛ لهذا كان مهماً جداً هذا العنوان بالنسبة لدين الله الذي هو لعبادة جميعاً أن يحمل العنوان الذي يمثل الإسلام له الإسلام، تجد كلمة إسلام لا تعني قومية معينة لا تعني عنصراً معيناً لا تعني لونا معيناً أبداً.

إذاً عندما تأتي مثلاً ترجع إلى موضوع: أنّ القرآن عربي، الرسول عربي، يقول عن العرب: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فما المعنى انطلاقات قومية أبداً، معناه ماذا؟ النهوض بمسؤولية هذه المسؤولية كلها لتصل بهذا العنوان، وهو: الإسلام لله، ليس المعنى: أنّ العرب أنفسهم هم يتحركون

ليحتلوا هم كعرب بلدان الآخرين وامتيازاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين وشركاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين لا يوجد، هي مسؤولية أن ينهضوا بها هم. إذاً عندما تكون القضية مبنية على أساس أنّ هذا فعلاً هو دين للعالمين جميعاً ويهدي للتي هي أقوم، العالم يحتاج إلى لغة واحدة لغة عالمية فأن يربط هذا الكتاب الذي هو للناس جميعاً بأرقى لغة واللّه يعلم بأنّها أرقى لغة وأفضل لغة يعني: ربطهم بلغة عالمية ما معناها ربطهم بقومية أبداً.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] لاحظ كيف الإشكالية ظهرت أي أنّه عندما يتأطر الدين بأطر قومية سيصبح محط ماذا؟ اختلاف بين قوميات، عندما يتأطر بأطر قومية أول شيء يتنازعون على الجنة فادعى أولئك أنّه لن يدخل الجنة إلاّ من كان يهودياً، وادعى أولئك بأنّه لن يدخل الجنة إلاّ من كان نصرانياً، أيضاً وفيما بينهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] إذاً لو فهمت القضية لديهم وقدموها إسلام لله، إسلام لله نلتقي عليه جميعاً نلتقي عليه جميعاً لما وجدت أيّ إشكالية أعني: هذه هي من سلبيات تأطير الدين بأطر قومية ما يترك عنوانه العنوان الإلهي: إسلام.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] هذا الذي فيه عنوان الدين كيف هو؟ ليس عنوان يهودية ولا عنوان نصرانية؛ لهذا نقول: يجب أن نفهم بأنّه من المغالطات الكبيرة عندهم عندما يقدمون اليهودية هي ديانة

سماوية النصرانية ديانة سماوية! أبدأ، اليهودية قوميّة، فإذا هم سماوا الدين باسمها فلا يمكن أن يكون هو الدين السماوي أبدأ، الدين السماوي هو واحد: إسلام لله.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] الذي فيه ما يحسم هذا الإختلاف يحسمه. الإمام زيد يقول في الآية هذه: «بأنّ الله عجبنا من بني إسرائيل فقال: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] أي: وهم يتلون الكتاب الذي هم متفقون عليه» يعني: التوراة؛ لأنّها كانت محط اتفاق ما بين اليهود والنصارى أي: في الواقع هي مازالت محط اتفاق وهم يتلون التوراة ويتلون الإنجيل وفيها ما يحسم الخلاف!.

يؤكد هذا بأنّ الكتاب الإلهي هو بالشكل الذي يحسم الخلاف تماماً بين الناس لكن أحياناً متى ما أطروا الدين بأطر معينة أحياناً متى ما نزلت ثقافة معينة تعطي مفاهيم مغلوطة في تناول الدين في الأخير يصبح الكتاب بالشكل الذي لم يعد يحسم الموضوع فيما بينهم، لأنّ كل واحد قد صار يتناوله لا يتناولونه على أساس ليحسم موضوع الخلاف، أعني: لم يعودوا يعتبرون الإشكالية الرئيسية هي: كونهم مختلفين.

هذا حاصل عند المسلمين الآن، أليس القرآن قائم بين أيدينا؟ القرآن موجود وكلهم يقولون: إنّ القرآن هو مرجع هو المرجع، لكنّ الإشكالية أنّهم يختلفون على مسألة معينة أو موقف معين وكلّ واحد يحاول يرجع ليعطف القرآن على رؤيته، والآخر مثله، والآخر مثله دخلوا القرآن وخرجوا مختلفين! لو اعتبر أنّ الإشكالية الأساسية كوننا مختلفين أي: ما

دام أنّه ظهر ونحن مختلفون إذاً فلنرجع إلى ما يحسم موضوع الإختلاف من حيث هو، أي نرجع إلى ما يحسم الإشكالية وهو كوننا مختلفين وليس إشكالية المسألة فقط التي نحن مختلفون فيها كلّ واحد يرجع ويحاول يطلع القرآن ويؤوله على ما يسند رأيه هذا قال أبدأ وهذا قال أبدأ وهذا قال أبدأ، وكل واحد تمسك برأيه، وقد دخلوا القرآن وخرجوا وقد طبقوا ما يقولون بأنّ القرآن يمثل حلاً للإختلاف، لكن كيف قدموه؟ بواسطة الطريقة هذه!.

الرجوع الحقيقي: أنّ المسألة من أولها هو ظاهرة الإختلاف، ظاهرة الإختلاف يجب أن تحسم أي أنّه لا بد أن هذا الكتاب يهدي إلى طريقة لا اختلاف فيها لا نختلف إذا سرنا عليها، عندما يرجع إلى الكتاب على هذا النحو فعلاً ستحل الإشكالية التي هي الإختلاف من أصله في المسيرة كلها في المسائل كلها.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] الحكم في الإختلاف شيء البيان الذي يحول دون الإختلاف قد حصل، ليس معناه بأنّ الله أرجأ المسألة تماماً إلى يوم القيامة، الحكم الذي يترتب عليه الجزاء، أما نفس التبيين للطريقة التي تحسم الخلاف ولا يختلف الناس إذا ساروا عليها فهي بينات عليها قائمة بينات وليس فقط غوامض، إذاً عندما يصل المسلمون إلى الحالة هذه ماذا يقال عنهم؟ لا يعلمون. المسلمون طوائف، ما كل طائفة هي تعتبر الطائفة الأخرى تقريباً ليست على شيء ونحن جميعاً نتلوا الكتاب؟

وعندما يقول: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: من الآية ١١٣] يعني: أنه لو كان هناك فكرة صحيحة في عملية الرجوع إليه فإن من ظاهره من خلال ظاهره، تلاوته وليس فقط التعمق في أعماقه من خلال تلاوته هناك آيات بينات تحسم الموضوع من أصله تماماً ويرجع الناس كلهم إلى الطريقة التي إذا ساروا عليها لا يختلفون في كل المسائل نهائياً^(١).

١٠- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٣-١٥].

الدين عند الله الإسلام:

الدين عند الله هو الإسلام، الذي يعني التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى، وهو فطرته التي فطر الناس عليها، وما سواه فليس إلا مجرد أهواء متبعة، وملل وأديان مستحدثة ومبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، لا تمثل شريعته ولا أنبيائه ورسله، وإنما ملل ونحل جاءت نتيجة

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس السادس، سورة البقرة.

الإنحراف عن دين الله، والتحريف لرسالاته.

إنّ الدين الواحد الذي عليه جميع الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى خاتمهم هو دين الإسلام، الذي اصطفاه الله لعباده، وبعث به جميع أنبيائه ورسله، وأنزل به جميع كتبه ورسالاته، وما يثار اليوم حول موضوع "الديانات السماوية" وتعددتها وتنوعها ما بين يهوديّة ونصرانيّة وإسلاميّة، وأنّها كلها من عند الله ليس صحيحاً، وإنّما هو امتداد للإنحراف والتحريف السابق الذي حصل على أيدي اليهود والنصارى، كما عرض وبين القرآن الكريم وكشف كلّ هذه الحقائق، ومقولات الأديان السماوية وتعددتها هي جاءت من وسط ركाम الثقافات اليهودية والإسرائيلية المنحرفة والمحرّفة، وقد أكد القرآن الكريم على بطلانها وانحرافها وحذّر منها ومن إتباعها.

صحيح أنّ هناك ديانات وملل ونحل أخرى، ولكنّها ليست "ديانات سماوية" كما يقولون، أعني إلهيّة، بل هي مجرد أهواء وغرور، وافتراء، وليس هناك إلاّ ملّة واحدة، ودين واحد هو دين الإسلام، الذي هو دين سماوي من عند الله اصطفاه واختاره لعباده يمثله جميع أنبيائه ورسله، ونزلت به كتبه ورسالاته، وهذا واضح من خلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [من الآية [٢٤] سورة آل عمران]، ومن هنا يتضح أنّ هناك دين

آخر غير دين الله ودين الإسلام، لأنّ الطريقة التي يمشي ويسير عليها النّاس يمكن أن تسمى ديناً، وإن كانت مجرد أهواء وافتراءات، وبهذا تبقى كما هي عبارة عن أهواء، وافتراءات، واعتقادات خرافية لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يطلق عليها دين الله أو "ديانات سماوية"، لأنّ دين الله هو الدين الحق الذي أرسل به رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليظهره على الدّين كلّّه، وبعث به جميع أنبيائه ورسله، وما سواه هي اعتقادات وأديان باطلة تمثل الغرور، والأهواء، والإفتراءات.

إنّ كلّ ما يثار اليوم من ضجة مفتعلة حول "الأديان السماوية"، وكلّ ما يقدم من أطروحات فكرية، وثقافية، وإعلامية، وسياسية حول الأديان باعتبار أنّ اليهودية والنصرانية والإسلام كلّها أديان سماوية لا يصدّق ذلك إلاّ على الإسلام فقط، الذي هو دين الله الحق ورسالته، وهذا التثقيف الباطل هو تثقيف غربي إسرائيلي لإنتزاع اعتراف باليهودية والنصرانية كأديان سماوية، وصبغتها بالصبغة الإلهية كإقرار واعتراف لهم بما هم عليه، ويندرج ضمن وسائل وأساليب الصراع الفكري والحضاري، والحرب الناعمة ضد الإسلام لتجميد دعوته وتقييد حركته، والصّد عن سبيل الله بأسلوب فكري، وثقافي، وإعلامي، وسياسي يندرج كما سبق ضمن الحرب المعاصرة ضد الإسلام والمسلمين لا أكثر، مع أنّهم ليسوا معترفين بالإسلام أصلاً، ولا برسول الله ولا برسائله التي تمثل ملّة إبراهيم الحنيفية، وخلاصة الرسالات السماوية، والبعثات النبوية، وضمن أساليب ووسائل هذه الحرب المعاصرة تنظم الندوات والمؤتمرات، وتقام الورش والحلقات والنقاشات تحت عنوان (حوار الأديان)

أو ما يسمى : (حوار الحضارات) لتمرير مخططات ومؤامرات هذه الحرب الناعمة والمعاصرة.

لقد انخدع الكثير من المفكرين، والمثقفين، والكتاب، والباحثين، والإعلاميين، والسياسيين، وبعض العلماء والدعاة المعاصرين والسابقين بهذه النظريات والأطروحات وانساقوا وراء هذه الدعوات بقصد وبدون قصد، وما من شك أنّ أكثرها يندرج ضمن مخطط هذه الحرب الثقافيّة، وتموّل من جهات وجماعات يهودية، ومراكز أبحاث ودراسات غربية، بالتوازي مع مشاريع الحرب العسكرية، والإستخباراتية، والإقتصادية التي تقودها أمريكا وإسرائيل ضد الإسلام والمسلمين، لهذا يجب أن يتنبه العلماء والدعاة، وكذلك المفكرون، والمثقفون، والإعلاميون، والسياسيون لخطورة هذه المؤامرة بحيثياتها وتفاصيلها، ويتصدون لها كميدان من ميادين الحرب والصراع المعاصرة، وذلك بالإعتماد على القرآن الكريم.

إنّ القرآن الكريم يؤكّد في سوره وآياته أنّ الدين عند الله الإسلام (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وأنّ كلّ رسالات الله جاءت بدين الإسلام فقط، وأنّ جميع أنبياء الله ورسله كانوا مسلمين جاءوا بالدعوة الإسلامية، ودعوا قومهم وأممهم ومجتمعاتهم وشعوبهم إلى الإسلام، يتحركون تحت عنوانه ومظلته فقط لا غير، ونحن هنا في هذا البحث نستعرض عدداً من الآيات القرآنية التي تؤكّد أنّ كلّ رسالات الله جاءت بدين الإسلام، وأنّ جميع أنبيائه ورسله كانوا مسلمين تحركوا بحركة ومسيرة الإسلام كأمة واحدة يكمل كلّ منهم الآخر، ولا وجود لأيّ دين آخر سماوي وإلهي غير دين الإسلام.

١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩، ٢٠].

وحول هذه الآيات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩] وهذا عنوان لدين الله، الدين عند الله هو الإسلام له وما ذكر سابقاً عن المتقين، وما وعدهم به من النعيم العظيم، والرضوان منه أليس هو يعكس ما لديهم من تسليم في أنفسهم لله عندما قال: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِتِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]؟ هذه قدمت في الأخير ناس مسلمين أنفسهم لله، ناس خاضعين لله، هذا هو الدين، التسليم لله يجعلك تدين بما قدمه لك، وتلتزم بما فرضه عليك، بما دعاك إليه، بما أمرك به، التسليم لله، والتسليم لله هي قضية عملية، لاحظ المسلمين لله، صابرين، صادقين، قانتين، منفقين، مستغفرين، كلها أليست قضية عملية؟.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩] لم يكن هناك تسليم لله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أي: التسليم له، الإسلام له أي: التسليم له، الخضوع له، قابلية ما وجهه به وما هداه إليه وشرعه له. تلاحظ كيف يأتي من النفوس التي

ليست مسلمة لله ﴿بَغِيّاً بَيْنَهُمْ﴾ بعدما بين البيان الكامل ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيّاً بَيْنَهُمْ﴾ هذه تجدها - مثلما قلنا بالأمس - من الآيات تأتي كلما يذكر هذه، وكلها قضية هامة، يعني يكون لديك نظرة بأنه لا يأتي الإختلاف بسبب قصور في بينات الله، أو تقصير في أنبيائه أبداً إنما يأتي هكذا وقد علموا لكن اختلفوا بغياً بينهم، والبغي هو في المقدمة يتنافى مع التسليم لله، وفي نفس الوقت اعتداء على الطرف الآخر فهنا يحصل اختلاف.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩] ألم يأتي في الآية هذه ﴿يَكْفُرُ﴾ بعد ما ذكر أهل الكتاب وبعد ما ذكر دين؟ معناه: الرفض لما يجب أن يكون الإنسان من الإلتزام به مسلماً لله، وتحول إلى باغٍ، تحول إلى مخالف، سماه كافراً بمعنى: رافض ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ هذا أيضاً في الدنيا وفي الآخرة، أعني لا يكن في ذهنيتك أبداً العناوين هذه، أو إطلاقات الوعيد كلها فقط في الآخرة! وفي الدنيا يحصل، في الدنيا، وفي الآخرة على أعلى مستوى من النعيم أو العقاب.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: من الآية ٢٠] جادلوك حول موضوع دين، حول موضوع أشياء من هذه بعد ما قال هناك ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩] أنا أسلمت وجهي لله ومن اتبعني إما يكون معناها: ومن اتبعني أسلموا وجوههم لله، أو أنا مسلم وجهي لله وأمامي من اتبعني مثلما قال في آية أخرى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: من الآية ١٠٨] أي ما أنا وراء

أن أبحث عن أرقام ألففها وأداهنكم وأجاملكم يكفيني من اتبعني، من اتبعني أنا أنظر إليه أنا مسلم وجهي لله ومن اتبعني، قد يكون بعيداً أن يكون ومن اتبعني معناها: مسلمين وجوههم لله لأنها قضية داخلية هذه هل تستطيع أن تقول أنت إلا عن نفسك، إذا صدقت مع نفسك؟ هل يمكن أن تقولها عن الآخرين؟! تقول: والآخرين هم مسلمين وجوههم لله! قضية ثانية.

فهذه فيها ما يوجد عند الإنسان بأنه في موضوع الحاجة لن يدخل معهم في مداهنة أو تنازلات أو أشياء من هذه، إن كنتم تريدون أن تكونوا مسلمين لله وتتبعوني - كما قال في آية أخرى - : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ٣١] أما أنا فماذا؟ سأمشي على الطريقة هذه، أنا مسلم نفسي لله ومكتفي بمن اتبعني. لأنه أحياناً قد يأتي مثلاً - إذا ما زال عندك نظرة أنك تريد تلف الآخرين وتلف لك ناس - لا يوجد فكرة من البداية تكون ثابتة، تكون لديك رؤية ثابتة، فهنا قد تغلط، تحاول تداهن تحاول تقدم تنازلات في موضوع الحجاج، في موضوع الحوار، في موضوع مفاوضات، وأشياء من هذه، وإن كانوا كثيراً أولئك، وإن كانوا كبار شخصيات، من الذين يكون وراءهم كثير قدم لهم الموضوع بأنه موضوع تسليم لله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩] أنا وأنت وأي واحد أن نكون مسلمين لله ليس المقصود أنك تسلم لي أنا، أنا في المقدمة وأي إنسان يجب أن نكون مسلمين لله لأن الدين عند الله هو الإسلام ومع السلامة إذا.... يكفيني من اتبعني.

﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأففال: من الآية ٦٢] هل يعطي نظرة إلى من اتبعه؟ فإن كان من سيتبعه على الطريقة هذه: إسلام لله، ويسير بنفس المسيرة، ويكون كباقي الناس في المسيرة باعتبارهم مسلمين لله من أكبر رجل فيهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فمرحباً به ما لم فيجلس هناك حتى يأتي أمر الله.

﴿قُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٢٠] الأُمِّيِّين: اسم يطلق على من يقابل أهل الكتاب يعني كان العرب يقال لهم، والأُمم الأخرى التي ليست من أهل الكتاب يقال لهم: أميون، أي: الأُمم التي تقابل من يقال لهم أهل الكتاب: أهل التوراة والإنجيل، يسمون أهل الكتاب ﴿أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: من الآية ٢٠] عبارة أسلمتم؟ هي تكشف بأنه هناك تبيين، هناك عملية تبيين وبلاغ أن يقول: أسلمتم الآن بعد البلاغ والتبيين؟ وما قدم إليكم؟ ما قد هو وقت أن تسلموا؟ أي أن معناه: ما قد هو وقت أن تسلموا؟ ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ لأنّ هذا استفهام.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ لاحظ الآية هذه لا يوجد فيها [ديانة سماوية أخرى واتركهم وتعايش سلمي وننظر إليهم نظرة مثلما ننظر إلى الباقي، وهي كلها ثلاث ديانات سماوية] مثلما يقولون أليسوا يقولون هكذا؟! لا، هذا موقف ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا﴾ والإسلام لله هو: قبول هذا الدين الذي هو امتداد لدينه من يوم استخلف آدم فإن اسلموا لله، وآمنوا بما جاء به محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله، وبهذا القرآن ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾، يعني: ليست القضية أنهم إذا تولوا إذا كيف تحاول أن تعمل استرضاءات، أو تنازلات، أو تليفقات، أو ترضى بشيء معين مقابل شروط معينة، لا.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ كلهم. هذه عندما يقول: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي أن الطرف الآخر هذا نفسه الذي يتولى قد يأتي في يوم من الأيام شيء من جانبه يجعله عرضة لأن يضرب إذا هناك مؤمنون فاهمون لدورهم، إذا ما يزال يوجد عند الناس إيمان بالشكل الذي كان حاصلًا عند الأولين كرؤية لديهم من خلال ما كان يقدم لهم من عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من الذين حكى الله عنهم ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: من الآية ٥٢] هذه سنة إلهية أخرى بالنسبة للمعارضين.

لهذا نقول أكثر من مرة في موضوع أهل الكتاب: ليس معناه إقرار لهم على ما هم عليه عندما قيل مثلاً [يحصل مصالحة معينة أو هدنة وعهد يأتي من لديهم بأن لا يدعوا إلى ما هم عليه وأن لا يتأمرؤا على الإسلام وأن، وأن....] شروط من هذه هم نفوسهم إمّا أن يكونوا بالشكل الذي يذوبون في المجتمع فيسلمون وإلا سيحتاج يطلع من عندهم شيء، سيحتاجون ينقضون العهد، سيحتاجون يخالفون فيضربون، والله بصير بعباده يعني أنت لا تعتبر [إذا معنا هذا ستبقى هناك أمة أمامنا أعداء وهم كذا.. نحاول كيف نعمل من أجل نسلم شرهم!] ليست هكذا أنت ومن اتبعك أسلم وجهك لله، ويكون عندك رؤية اقتناع بمن اتبعك، وأنت

أفهم بأنّ عليك البلاغ، والبلاغ ماذا معناه؟ ليس كما يقال (دعوة) الآن مجرد دعوة! البلاغ هنا: دعوة وتربية، وبناء أمّة، والآخريّن الله بصير بهم سيأتي في يوم من الأيام يعملون شيئاً، يخالفون فيضربون ماذا حصل بالنسبة لليهود الذين كانوا عند المدينة وفي خيبر وفي...؟ جاء من عندهم أشياء اتجه ضريهم.

﴿وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ﴾ هنا في الدنيا، وفي الآخرة سريع الحساب، يحاسبهم هنا في الدنيا وفي الآخرة وكثير منها نقول: ليست قضية صحيحة الذي يقول معناها [في الآخرة، في الآخرة، في الآخرة هناك!] لأنّه أحياناً في الأخير تضرب الآخرة عندنا، أعني: لا نعد نسير في طريق الآخرة إذا ما صحت نظرتنا الدينية ودور الدين هنا، هنا في الحياة هذه، ومسؤوليات من يقومون بهذا الدين في الحياة هذه فيكونون هم يحولون على الآخرة، سيقدمون على الآخرة وهي بشكل آخر، قد يقدمون على الآخرة وهم مصيرهم جهنم، لا بد أنّ الإنسان يعرف هنا وقلنا هذا أثناء قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] إذا ما أنت عارف ﴿وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ﴾ ماذا تعنيه هنا؟ سيكبر أمامك أنّه [ما زال باقي هناك كثير، أمّة هناك معارضين، ومشاققين] فتأتي رؤى أخرى: كيف نحاول نسترضيهم، أو ندخل في مصالحتات معهم! ويكون فيها تقديم تنازلات، مفاوضات يكون فيها تقديم تنازلات مذلة، يكون فيها فضح للناس، وفضح للدين، كما يحصل الآن، كالمفاوضات التي تتم الآن بين العرب وبين اليهود أعني بشكل مخزي

أليست تحصل بشكل مخزي؟ ليسوا متذكرين ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ استقيموا لأن معنى ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ﴾ [آل عمران: من الآية ٢٠] معناه استقامة، وثبات، وأنت عليك البلاغ، أنت وأنت في دورك مبلغ وتهدي، وتربي، وتعلم، وتبني، أنت جزء من التدبير الإلهي الذي يشملهُ ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾.

هذه قضية هامة إذا عند الإنسان معرفة بالآية هذه وكثير من نظائرها في القرآن تكون مساعدة على الإسلام لله، على الإستقامة، وأن يبقى الناس مسلمين لله، وأن يبقوا في مواقف صحيحة وليس كما يحصل لا تدري إلا وهم قد صاروا يوزعون الدين تنازلات، ويقسمونه وفق رؤية أنه: [نحاول نتفادي أشياء كثيرة من كذا] لاحظ موقف الإيرانيين الآن فيما يتعلق بالطاقة النووية هو موقف ليس بالشكل اللائق أبداً ما بالك أمّا العرب قدهم أولئك في مفاوضاتهم، في مبادراتهم كلها تقوم على نظرة ناسين لهذه السنن الإلهية داخل القرآن^(١).

٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فاشهدوا

(١) درس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الثاني عشر، سورة آل عمران.

وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿آل عمران: ٧٩-٨٥﴾.

وحول هذه الآيات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدرالدين الحوثي

(رضوان الله عليه):

"﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٩] أنه لا يحصل لمن أوتوا فعلاً لا يحصل هذا منهم ولا ينبغي لمن أوتوا الكتاب أن يكون هذا حاصلًا منهم. على ما قلنا سابقاً في موضوع أهل الكتاب وأوتوا كتاب، أنها تكون أحياناً بالمعنى الخاص وأحياناً بالمعنى العام مثل: أنزل إلينا وأنزل إليكم، فمن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة لا تحصل هذه من عنده لا يحصل هذا على الإطلاق من عندهم من لديهم كتاب وأورثوا كتاب يجب أن يكونوا على هذا النحو ما ينبغي أن يكونوا بشكل آخر أن يكونوا هكذا ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٩]."

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٩]

ربانيين: دعاة إلى الله، دعاة إلى الرب أنتم في أنفسكم ودعوتكم للآخرين كلها إلى الله وليس أن يجعل عباد الله عبيداً له من دون الله، هو يختلف المنهج: إما أن تكون دعوتهم إلى الله ربانيين فيقدمون ما يأتي من عند الله.

ومن يكون دعوتهم إلى أن يجعلوا الناس عبيداً لهم من دون الله يقدمون ما هو من عند أنفسهم لأنّ ما هو من عند الله لا يمكن أن يكون بهذا الشكل عندما تدعو بما هو من عند الله وتعلم الناس بما هو من عند الله لن يكون بالشكل الذي يجعلهم عباداً لك من دون الله على الإطلاق.

لهذا نحن نقول: إنّه بعيد عندما يقولون: إنّ هناك أشخاصاً ألهوا الإمام علياً وادعوا ألوهيته وحرقتهم على أساس أنّهم أشخاص معجيين به! هذا غير صحيح إذا كانوا ممن يسمعون كلامه لأنّ ما يقدمه الإمام علي هو بالشكل الذي يجعلهم عبيداً لله كما وجدنا من كانوا مختصين به كعمار بن ياسر ومالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وأمثالهم، ألم يكن بالإمكان أن يؤلّفه هؤلاء لو كانت المسألة صحيحة؟ لكن ما يقدمه الإمام علي هو عمل إنسان رباني، أي يدعو الناس إلى الرب إلى الله سبحانه وتعالى ليكونوا عبيداً له، فلا يمكن أن تحصل هذه الظاهرة عند أناس معجيين به ويسمعون كلامه إلا أن تكون بطريقة أخرى ثانية محرّفة، أعني ناس لم يسمعوه وليسوا حوله ولا يعرفونه وقدم لهم تحريف فهذه قد حصلت داخل النصراني فقدم المسيح رباً من دون الله، ألم يحصل هذا بتحريف؟ لكن من كانوا معاصرين للمسيح ويسمعونه كيف قالوا؟ ﴿أَمَّنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٢ - ٥٣].

أليس هذا كلام يعني عبودية لله؟ فمعنى هذا بأنّ من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة لا تحصل هذه من عنده على الإطلاق فعندما يأتي النصراني يعملون كذباً لأنّه فعلاً عملوا عبارات قدموها على لسان المسيح

بالشكل الذي وكأته يدعوهم إلى عبوديته أو يقدم نفسه رباً هذه لا تحصل على الإطلاق ﴿مَا كَانَ﴾ لا يحصل هذا على الإطلاق، ولكن هكذا يكون عمله معهم وقوله لهم وتوجيهه لهم: أن يكونوا ربانيين ويجب على من أوتوا كتاب بمعنى أن لديهم كتاب الله أوتوا الكتاب أوتوا الحكمة من جهة الله سبحانه وتعالى لأنّ الكتاب هو فيه حكمة يجب أن يكونوا على هذا النحو لا ينبغي لهم أن يكونوا خارجين عن هذا لأنّه حصل في داخل اليهود والنصارى باسم أنّهم حملة كتاب أحبارهم ورهبانهم يقدمون أنفسهم ليجعلوا الآخرين عبيداً لهم من دون الله لهذا قال عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: من الآية ٣١].

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٩] يجب أن تكونوا ربانيين تدعون إلى الله ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٩] تدرسون الكتاب وتطلعون عليه تتلونه ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: من الآية ٨٠] لا تحصل هذه ما كان لبشر أن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولا أن يقول عبداً لآخرين من ملائكة أو نبيين على الإطلاق فعندما تجد دعاوى أخرى فاعرف بأن لا علاقة لها على الإطلاق بأنبياء الله مثل دعاوى النصارى: بأنّ المسيح رب. أنّه لا يأتي من عنده أبداً أوّل كلمة يقولها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ [مريم: من الآية ٣٠] لاحظ العبارة هذه ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: من الآية ٣٠] أليست هذه كلها عبارات تعني أنّه عبد لله ورسول من عند الله، الله هو الذي آتاه الكتاب، هو الذي جعله نبياً، هل يمكن للمسيح أن يجعل نفسه رباً والله هو الذي جعله نبياً؟ فالنوعية هذه لا

يحصل من عندهم أبدأ الأشياء التي تجعل الناس عباداً لهم من دون الله أو أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً.

﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٨٠] لا يحصل هذا تطمئن هذه أعني مما يستفاد منها بالنسبة لأهل الكتاب بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما يقول لهم اتبعوني ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ٣١] وعندما يقول هناك: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: من الآية ٣٢] لأنه قد يكون في ذهنيتهم أنّ المسألة تنافس على مقامات هذه تحصل عند الناس منافسة على مقام أنه يريد أن يجعل الناس عبيداً له ويريد أشياء من هذه! لا، هذه النوعية لا يمكن أبدأ أن يدعوا الناس إلى أن يكونوا عبيداً له من دون الله ولا أن يكونوا عبيداً لآخرين على الإطلاق أن يكونوا عبيداً له أو عبيداً لآخرين على الإطلاق. هذه تحصل حتى داخل المسلمين أنفسهم؛ لأنه أحياناً متى ما حصل ثقافة معينة فيبدو وكأنه حركة الناس كلها منافسة على مقامات ويكون كل واحد يريد أن يكبر نفسه فيأتي أحد مثلاً هو يهدي إلى الله فينظرون إليه نفس النظرة أنه فقط يريد أن يكبر نفسه بجمع له أتباعاً ويجمع له أصحاب مثلاً هم! وفق النظرة القائمة لديهم؛ لأنّ بعض الناس يكون عنده نظرة مغلوفة بالنسبة لواقع الحياة هذه، وأحياناً يصبغونها بصبغة شرعية، أحياناً يصبغونها بصبغة دينية، بأنه يجمع له أصحاب هو هو وقد هي تعتبر عبادة لهم أنّهم ماذا؟ يعظمونه ويجلونهم ويقدمونه وهو هناك! يقول لهم: لا، هو لن يكون عمله كعملكم؛ لأنه لا

يمكن أن يدعو الناس لأن يكونوا عبيداً لإلّا لله، لا أن يعبدوه هو، ولا أن يعبدوا أنبياء ولا أن يعبدوا ملائكة ولا يعبدون إلا الله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٨١]. لاحظ أنّ الأنبياء السابقين يؤخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا فيما إذا جاء نبي أن يؤمنوا بالأنبياء الذين سيأتون والأنبياء المتأخرين يؤخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بالأنبياء الذين قد مضوا، وهذه هي طريقة من أوتوا الكتاب والحكم كما قال الله، أعني: هذه النوعية لا يمكن أن يحصل من جانبها ما يعبّد الناس لها بل تراها هي يؤخذ عليها الميثاق أن تؤمن بمن لم يأت بعد: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ أن يكون عندهم إيمان بأنهم مستعدون أن يؤمنوا بذلك الذي لم يأت بعد، لأن جاء نبي من جهة الله أن يؤمنوا به وينصرونه، أي أن يكونوا أتباعاً له فهل هؤلاء يمكن أن يكون عندهم نفسية أنّه ماذا؟ أنّه يجرجر الناس له ليكونوا عبيداً له من دون الله؟! بل فيها ما يكشف أهمية الإيمان بوحدة المسيرة الدينية أنها مسيرة واحدة السابق يؤمن بمن سيأتي ومن يأتي يؤمن بالسابق.

أي أنّ هذه لها أثر مهم فيما يتعلق بحركة الناس فيما يتعلق بإيمان الناس يجب أن يكون عندهم هذه النظرة ولهذا أوجب على المؤمنين فيما تقدم في أكثر من آية أن يقولوا ماذا؟ [آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم] ويأتي بقائمة من الأنبياء يذكر أنّنا آمنا بما أنزل على إبراهيم

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إلى آخر القائمة من الأنبياء ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِهِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٥].

قضية مؤكدة لأنها في نفس الوقت هي لها علاقة بالإيمان بملك الله
بألوهية الله وأنّ الله هو ملك الناس وملك السموات والأرض وما فيها
وما بينها هو الذي فطرها ثم ماذا؟ هو ملكها وإلهاها على طول هذا
التاريخ الطويل القرون المتعاقبة ليس معناه فقط من الآن بدء بيعث
رسولاً وينزل كتاباً وإلاً فهو كان مهملاً للبشر على طول التاريخ أبداً.

الإصر هنا: كأنه الثقل أي كأنه ميثاق فيما لو أخلوا به يحصل عقوبة
معينة مثلما يأتي واحد يقول: [هو ملتزم بكذا وكذا وأنه إذا خالف فهو
متحمل كذا وكذا] أليست هذه تحصل عند أخذ المواثيق؟.

﴿قَالُوا أَفَرَزْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٨١ - ٨٢] هنا يقول البعض في تفسيرها: إن معناه إن
الأنبياء هم أخذوا من أتباعهم لئن جاءهم رسول! هذه القضية تتوفر من
خلال المسألة من أساسها أنه عندما يكون النبي نفسه ملزم لئن جاء رسول
ليؤمنن به وحصلت هذه يحيى بن زكريا نبي عندما بعث عيسى آمن به
مثلما يقولون: إنهم كانوا فعلاً متعاصرين في زمن واحد آمن به فهذه ليست
فقط نقول إنّما الأنبياء هم أخذوا على أتباعهم أن يكونوا مستعدين أن
يؤمنوا بمن أتى من الأنبياء هذه القضية مفروغ منها وثابتة ويحصل الإيمان
بها على درجة أعلى أن ترى أنّ النبي نفسه ملزم بهذه فبالأولى غيره أليس

بالأولى غيره من الاتباع، لاحظ كيف أخذ الميثاق هنا بعبارات ﴿أَقْرَرْتُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ [آل عمران: من الآية ٨١] أعني ميثاق دقيق في
عملية أخذه منهم.

إذا فنفس اليهودي والنصراني ليعرف بأنه بالنسبة لموسى وعيسى أنهم
ضمن الميثاق هذا أنهم لو لحقوا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)
أو بعث محمد في عصر أيّ واحد منهم أنّه مأخوذ عليه الميثاق أن يؤمن
به وينصره عندما تعرف بأن نبيك نفسه لو لحق هذا النبي الذي تدعى
إلى الإيمان به لآمن به هو ونصره فكيف تتمرد أنت.

إذا فهذا أبلغ أنّه فعلاً ميثاق النبيين ليس معناه الأنبياء أخذوا ميثاق
الأتباع هناك قراءة ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ وكانّ النبيين هم قالوا للأتباع لما آتيناكم
من الكتاب والحكمة أنّه الله أخذ ميثاقهم لما آتاهم وعلى أساس أنّه
آتاهم كتاب وحكمة. ولها علاقة بالآية السابقة فيما يتعلق بأنّ هذا لا
يحصل على الإطلاق أن تكون هذه الفئة تتخذ الناس عبيداً لها من دون
الله بل تراهم أخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بمن لم يحصل بعد فيما لو
جاء أن يكونوا أنصاراً له وأتباعاً له يؤمنون به وينصرونه.

فعندما يقول النصراني لنا [ألستم مؤمنون بموسى وعيسى؟ إذا أنتم
مؤمنون بموسى وعيسى كأنبياء ونحن لسنا مؤمنين بمحمد] قد حصل
جواب في هذا من آخرين بأنّه نحن ما عرفنا موسى وعيسى إلاّ من
خلال محمد (صلوات الله عليه وعلى آله). ثم حقيقة [موسى وعيسى] لكن
انظر إلى موسى وعيسى أخذ عليهم ميثاق هم أنت يجب عليك أن تؤمن

بمحمد؛ لأنّ نفس نبيك الذي تدعي بأنك من أتباعه وأنتك تنتمي إليه هو نفسه مأخوذ عليه ميثاق أنّه لو عاش إلى زمن محمد لآمن به ونصره ليس معناه بأنّه تقول: [إذاً فعلاً هو أنّنا ملتقون على موسى وعيسى] موسى وعيسى ملزمون بأن يؤمنوا بمحمد قبل أن يأتي، وأنّه لو أتى وأحد منهم عاصره أو عاش إلى زمنه لكان واجباً عليه أن يؤمن به وينصره.

إذاً فأنت يجب عليك أن تؤمن به وتنصره ليس معك عذر أبداً هذه قضية قد يحتاج إليها الناس لأنهم يقدمون هذه كمسألة يقولون: [نحن متفقون على كذا ومختلفين، نحن متفقون على أن موسى وعيسى أنبياء ومختلفين معكم على أنّ محمداً نبي، إذاً فلنكن جميعاً على ما نحن متفقون عليه ونترك ما نحن مختلفون فيه] شبهة يحاولون أن يقدموها. النصرارى هم يقدمون موضوع موسى وعيسى، أمّا اليهود فهم فقط يقدمون موضوع موسى لأنهم كافرون بعيسى.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٨٢] فمما جعل البعض يستبعد أن تكون خطاباً للأنبياء لأنّ فيها هكذا ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ما معنا هذا إلحاق بالأنبياء أنّهم فاسقون ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ وهم ليسوا متولين ولم يتولوا لم يعرضوا هذا تأكيد للمسألة ألم تأت عبارة أكثر من هذا ﴿إِنَّ أَسْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلَكَ﴾ [الزمر: من الآية ٦٥].

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٨٣] إذاً فهذا دين الله، الدين الواحد المترابط هكذا السابق يؤمن باللاحق واللاحق يؤمن بالسابق مسيرة واحدة، أعني يقفل مجال التجزئة ولهذا يقول ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ يقفل

مجال التجزئة في المسيرة الدينية في الأخير يقول: [هذا لنا وذلك لكم وهذا لآل فلان] ثم يكون المطلوب أن كل واحد يؤمن بما عند الآخر فقط نصارى هناك ويهود هناك ومسلمين هناك، يقال للمسلمين فقط هم يكونون بالشكل هذا يقدمون القضية للمسلمين.

﴿أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَكَهْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: من الآية ٨٣]
 دين الله الذي هو الإسلام أغيره يبغون يطلبون ﴿وَكَهْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٨٤] لا يأتي كل نبي ويكون معه جزء من الدين يختص به حتى تحصل هناك تفرقة أبداً، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٨٥] غير الإسلام لله الذي قدم في الآية السابقة كثير من مظاهره وسيأتي بعد كثير من ما يعتبر من مظاهر الإسلام لله بل في حركة منهم يعتبرون مسلمين لله ودعاة للناس أن يكونوا مسلمين لله أنه قدمها أيضاً شخصها بشكل متميز ﴿مَا كَانَ لِيَسِّرَ أَنْ يُزَيِّتَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٩] إلى آخر الآية، فعلى أساس وحدة الدين أنها مسيرة واحدة من عند الله وعنوان الدين هو الإسلام: هو الإسلام لله الذي البشر كلهم ملزمون أن يدينوا به ويكونوا عليه مسلمون أنفسهم لله ويقبلون ما جاء من عند الله سبحانه وتعالى وما دعاهم إلى أن يدينوا به

ويلتزموا به ولهذا قدم عليها مثلما نقول: [إعلان عقائدي] هو ماذا؟ هو مترتب على ما قدمه من نظرة إلى الدين كدين واحد ومسيرة واحدة.

﴿قُلْ﴾ بناء على هذا كله وفي مواجهة من يجزؤون ويفرقون بين الله ورسله ويفرقون بين الرسل ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ - أي الله سبحانه وتعالى - مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٨٤].
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٨٥]
يقدمون اليهودية ديناً لا تقبل، يقدمون النصرانية ديناً لا تقبل التجزئة تلك [هذا حقنا وهذا حقكم وهذا نبيكم!] مثلما قال سابقاً عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنُومُنْ بِيَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَكُفْرُونَ بِيَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة: من الآية ٩١].

أيضاً هذه تشمل حتى داخل المسلمين ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ وهم طوائف متعددة عندما يكون كل واحد يتمسك بما هو عليه يجب أن يرجع الجميع إلى ما هو فعلاً يمثل إسلاماً لله إسلاماً لله، لأن ما يعتبر خارجاً عن هذا هو في الواقع يمكن يسمى ديناً باعتبار أنه شيء أصبحوا يدينون به بعضهم بعض وأعطوه عنوان دين، كلمة دين تشمل ما هو دين من عند الله، وما هو من عند غيره بالنسبة لكلمة دين يقال لها دين حق ودين باطل دين من عند الله ودين من عند آخرين بمعنى منهج قام عليه التعامل فيما بينهم واتفقوا به وأصبحوا يدينون به سواء يدينون به لله، أو يدينون به بعضهم بعض، يتعاملون على أساسه مع الله، أو يتعاملون على أساسه مع بعضهم بعض، يسمى دين لكن ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

الإسلام ديناً فَلَئِنْ قَبِلْتُمْ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿آل عمران: الآية ٨٥﴾.

لأنّ معنى هذا حالة خطيرة عندما يكون مثلاً كثير من الطوائف هي في الواقع برمجت وضعيتها وقدم لها أشياء لم تعد تمثل الإسلام لله بما تعنيه الكلمة لن يقبل منها معناه في الأخير لن يقبل منها وهو في الآخرة من الخاسرين فما بالك ما عند اليهود والنصارى وصابئين وبوذيين وطوائف أخرى كم يا طوائف في الدنيا هذه! ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ ﴿آل عمران: الآية ٨٥﴾^(١).

٣- يقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح (عليه السلام):

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ * فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمُ مِنِّي إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١، ٧٢].

٤- يقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه إبراهيم ونبيه لوط (عليهم السلام):

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣١-٣٧].

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الثالث عشر، سورة آل عمران.

٥- يقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه يوسف (عليه السلام):

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

٦- يقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه موسى (عليه السلام) ودعوة

قومه إلى الإسلام:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ يَبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٣-٨٧].

٧- يقول الله سبحانه وتعالى عن فرعون وإسلام السحرة:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبِّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣-١٢٦].

٨- يقول الله سبحانه وتعالى عن فرعون وإقراره واعترافه بالإسلام:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

٩- يقول الله سبحانه وتعالى عن ملكة سبأ ودعوة نبي الله سليمان (عليه السلام) لها ولقومها إلى الإسلام:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

١٠- يقول الله سبحانه وتعالى عن نبي الله سليمان (عليه السلام):

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨].

١١- يقول الله سبحانه وتعالى عن إسلام نبيه سليمان (عليه السلام) وإسلام ملكة سبأ:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَمْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ بَجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٤١-٤٤].

١٢- يقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه عيسى (عليه السلام):

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٦-٩].

١٣- يقول الله سبحانه وتعالى عن إسلام الحواريين:

﴿وَإِذْ أُوحِيَٰتِ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

١٤- يقول الله سبحانه وتعالى عن إسلام الحواريين أيضاً:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥١-٥٣].

وحول هذه الآيات يقول الشهيد القائد السيد / حسين بدرالدين الحوثي

(رضوان الله عليه):

"﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٢] هو يريد إذا الخلاصة يريد صفوة الناس حتى يعرف كم معه مؤمنين صادقين ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٢] أليس هنا العنوان مسلمون والدين الإلهي كلّ دين الله عنوانه إسلام..

ثم يأتي في نص كلام الحواريين أنفسهم ما يعتبر أيضاً تكذيباً لكل الإفتراءات التي جاءت من بعد من داخل النصارى، الإيمان بعيسى كان على هذا النحو: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٢] أي مسلمون لله ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٣] ﴿رَبَّنَا﴾ أليست خطاباً؟ دعاء لله سبحانه وتعالى ﴿آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٣] بما أنزلته على أنبيائك بما فيه بما أنزلته على عيسى. ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾

رسولك الذي هو عيسى ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٣].

اختلفت المسألة بالنسبة للنصارى من بعد يقدمون عيسى ويجعلونه إلهاً يجعلونه إلهاً ناسين بأن عيسى ولد في فترة معينة! هم يذكرون هم عندما يتحدثون عن عمر الدنيا وعن الإنسان هذا كم له في الدنيا أليسوا يذكرون آلاف السنين. وأحياناً أرقاماً أكبر من آلاف السنين أي أنّ هذا هو العنوان الإيماني في كلّ المراحل، وفي أيام موسى ﴿أَمَّا بِأَيَّ أَنْزَلْنَا وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٣] وفي أيام عيسى ﴿أَمَّا بِأَيَّ أَنْزَلْنَا وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٣] أليست شهادة لله وشهادة برسالة من أرسله؟ في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نفس الشيء أن يشهدوا بوحدانية الله ويشهدوا برسالة رسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أنّه حتى العنوان الديني أو تقول: بطاقة الدخول في الدين هي واحدة في كل مراحل التاريخ شهادة: إيمان بالله وإيمان برسوله وما أنزل على رسوله إيمان بأن أولئك هم رسل، هم رسل من عند الله ليس فيهم أحد يمكن تسميه إله أو يجعلونه إلهاً^(١).

١٥- يقول الله سبحانه وتعالى عن إسلام الأنبياء:

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحَكِّمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِضُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الثالث عشر، سورة آل عمران.

تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِنَا ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٣﴾ [المائدة: ٤٤، ٤٤].

١٦- يقول الله سبحانه وتعالى عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله):

﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

وحول هذه الآية يقول الشهيد القائد السيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه):

"﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] وهذه القضية أساسية: أن يبين لهم بأنه هو الشخص الأول الذي يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده، أنه هو في المقدمة، بمعنى أن الشيء الذي يتحرك فيه، قضية لديه ثابتة، لا يتزحزح عنها، ليست مجرد فكرة طرأت، [تخزينية] جاءت لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فجاء يعمل له تطانين ثانية، هنا يبين أن القضية لديه ثابتة لا يتراجع عنها، ويبين كيف أنه يسخر من الطريقة الأخرى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، هذا شيء، يبين لهم بأن القضية هو واثق من نفسه فيها، وثابت عليها، هذا مؤثر في الطرف الآخر، ومؤثر في الأتباع أيضاً لا يكونون متشددين معه، ثم يظهر لهم أنها كانت مجرد تطنينة فقط، طريقة ثابتة عنده.

الطرف الآخر كان يحاول يعمل عروضات، ألم يحصل هذا؟ أشياء معينة، [قد ربما تكون تطنينة هذه، أو فورة شباب، أو طموح لشيء] ألم

يعرضوا عليه إذا كان يريد مالا، أو يريد يتزوج بأجمل امرأة فيمكن يزوجه، أو يريد ملكاً ملكوه عليهم، عرضوا عليه الأشياء هذه، ويسكت، ويترك ما يدعو إليه! هنا يقدم بأنه مؤمن بالقضية هذه التي يتحرك فيها، وأنه مأمور من جهة الله بها، وليست فكرة عنده هو، أنها فكرة طرأت، لا، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾، ليست تطنينة، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، هذه قضية هامة جداً في موضوع الدعوة: أن يفهموا بأنه ليس هو الذي يملئ أشياء من هذه عليهم، وأنها فكرة طرأت له، أبدأ هو مأمور من جهة الله، وأنه يخاف الله فيما لو فرط ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وهذه يكون لها أثرها؛ لأنه بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أنبياء الله هم لا يكونون أشخاصاً أعني: بالشكل الذي قد تراه مؤمناً بقضية، ويكون عندك أنه شخص غير متزن مثلاً، يكونون أشخاصاً متزنين، وأشخاصاً معروفين في المجتمع أنهم أشخاص فاهمين، وأشخاص أفكارهم متزنة، وأحلامهم كبيرة، وأشياء من هذه، فيكون عندما يقرر هو قضية ويقدمها لك قضية ثابتة، وقضية هامة، هذه تترك أثراً في النفوس، لأنّ منطلق الكلام يكون أثره على حسب الجهة التي صدر منها.

وعندما يقول: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾، وفي نفس الوقت يقول: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، هذا الإنسان وإن كان آخرون يقولون: مجنون، أو يقولون: ساحر، هو شخصية ثانية، أمامك

مجتمع، أليس هذا الذي حصل بعد؟ ألم يسلموا في الأخير؟ تلك النوعية لا يعني أنها تمثل الكل، وتمثل كل أفراد المجتمع، الذين حكى عنهم في البداية أنهم قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: من الآية ٧٧]، أو ناس يقولون: مجنون، وناس يقولون: شاعر، هناك ناس يعرفون محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، إنساناً على مستوى عالي جداً من الفهم والذكاء، والالتزان، وأنه ليس إنساناً ممكن أن يلصق به دعاية من دعاياتهم، عندما يبدو بأنه مهتم بقضية إذاً هي قضية هامة، أنه يخاف من كذا إذاً هي قضية لا بد أن تكون واقعية؛ فيكونون قريبين لأن يستجيبوا"^(١).

١٧- يقول الله سبحانه وتعالى عن الإسلام والدعوة إليه:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْتَبِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُتَّبِعِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

١٨- يقول الله سبحانه وتعالى عن الإنابة إليه، والإسلام له والدعوة إليه:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ... الخ . [الزمر: ٥٣-٥٥].

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، دروس رمضان، الدرس الرابع والعشرون، سورة الأنعام.

١٩- يقول الله سبحانه وتعالى عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله):

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ إِنِّي نُبِيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِمَا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

٢٠- يقول الله سبحانه وتعالى عن إسلام الجن:

﴿وَأَنَا لِمَا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْتَابُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٣-١٥].

٢١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ... الخ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

٢٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٢-١٤].

٢٣- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾...

الخ [الأنبياء: ١٠٧-١٠٩].

٢٤- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْمِيِّ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٢، ٥٣].

٢٥- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْمِيِّ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠، ٨١].

٢٦- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦، ٤٧].

٢٧- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا

مِنَ الْمُتَذَرِّينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيْرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿[النمل: ٩١-٩٣].

٢٨- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرِّبَاكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * رَبِّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿[الحجر: ١-٣].

٢٩- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿[النحل: ٨٩-٩٠].

٣٠- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿[النحل: ١٠٢].

٣١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا بَدَأْتُمْ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿... الخ [القصص: ٥٠-٥٤].

٣٢- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

٣٣- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ ... الخ [الزخرف: ٦٨-٧٠].

٣٤- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

٣٥- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ... الخ [القلم: ٣٤-٣٧].

٣٦- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ... الخ [البقر: ٢١-٢٣].

٣٧- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ آوَلِي بِأَسِ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

٣٨- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِتِينَ وَالْقَائِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٣٩- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

٤٠- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا **أَسْلَمْنَا** وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا **الْمُؤْمِنُونَ** الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ **أَسْلَمُوا** قُلْ لَا تُمِنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿[الحجرات: ١٤-١٨].

٤١- يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَارْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [من الآية [٣] سورة المائدة].

من خلال كل هذه النصوص القرآنية يتضح بما لا يدع أي مجال للشك أنّ ملة النبي إبراهيم، وجميع الأنبياء والرسل هي ملة الإسلام، وأنّ الدين عند الله هو الإسلام، وكلّ ما سوى ذلك ليس إلا مجرد غرور، وأهواء، وافتراءات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا وجود لشيء اسمه (الديانات السماوية) ما عدا الدين الإسلامي، ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

مُحتَوَاتُ الْكِتَابِ

الإهداء.....	٥
مقدمة مركز الشهيد الصمد للدراسات والبحوث.....	٧
مقدمة.....	١١
عملي في هذا البحث.....	١٢
طريقة البحث.....	١٣
هدف ومنهج البحث.....	١٤
أهمية دراسة شخصية النبي إبراهيم (ع).....	١٧
تمهيد:.....	١٧
(١) أسلوب الحوار والمحااجة.....	٢٣
تأمل النبي إبراهيم.....	٢٩
(٢) موقف النبي إبراهيم من الأصنام وبراءته من المشركين.....	٥٥
حوار النبي إبراهيم (ع) مع أبيه.....	٥٩
حوار النبي إبراهيم مع قومه.....	٦٥
الهجرة في الإسلام.....	٧١
البراءة من الأصنام.....	٧٢
تحطيم الأصنام.....	٧٧
النبي إبراهيم (ع) القدوة والأسوة الحسنة.....	٨٨
(٣) كرم وحلم النبي إبراهيم (ع).....	٩٩
(٤) إرتباط الحج بالنبي إبراهيم (ع).....	١٠٧
أوّل بيت وضع للناس.....	١٣٧
هجرة النبي إبراهيم (ع) إلى البلد الحرام.....	١٥٢

- التسليم المطلق لله ١٥٥
- وأذن في الناس بالحج ١٦٠
- الجانب الأمني في الحج ١٦٣
- قصة أصحاب الفيل ١٦٤
- نعمة البيت على قريش ١٦٦
- البراءة من المشركين في الحج ١٦٨
- اليهود يسعون للسيطرة على الحج وعلى الحرمين الشريفين ١٧٧
- لماذا يستولون على الحج؟ ١٨٥
- (٥) ملة النبي إبراهيم (ع) ١٩٣
- الدين عند الله الإسلام: ٢٣٧

«الإمام الخميني (رحمة الله عليه) هو الشخص الوحيد - فيما أعلم - ممن قرأت لهم - ومقروءاتي قليلة، لكنني لم أسمع حتى ولا ممن قرؤوا أكثر مني عن آخرين - هو الشخص الذي كان يقول للناس: يجب علينا أن نهتم بدراسة حياة الأنبياء، وأن نتعرف على الأنبياء، وأن نستلهم منهم - ونحن في ميدان العمل - الكثير، الكثير من أساليبهم وحركتهم، أن نتعرف على حركة الأنبياء، والقرآن الكريم قدم هذا، نحن كدعاة ونسعى أنفسنا أحياناً دعاء لماذا لا نحاول أن نتعرف على أساليب الأنبياء في الدعوة؟. أساليب مهمة، أساليب بالغة الدقة، وشخصيات قوية، ومواقف جريئة، مع تواضع كامل لله، مع رحمة عظيمة لعباد الله، وحرص على هدايتهم».

محاضرة [الهوية الإيمانية].

الشهيد القائد السيد/

حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه)

مركز الشهيد الصمد للدراسات والبحوث
اليمن - صنعاء